



# الدين والثورة

في مصر

١٩٥٢ - ١٩٨١

٣- الدين والنضال الوطني

دكتور حسن هنفي

الناشر  
مكتبة مدبوني



## الجذور التاريخية للغزو الصهيوني في التراث الاسلامي

أولا : مقدمة : دوافع البحث .

كثيرا ما يجد الانسان نفسه وقد انتابه الرعب أمام خطر داهم وعجز عن مواجهته الفعلية ، ولا يجد أمامه الا الجهاد المعنوي الفكري الكلامي ، منبها على الخطر ، ومشخصا اياه ، مبينا دوافعه ، ومحذرا الناس منه . وكثيرا ما يجد الانسان نفسه وهو يصور هذا الخطر ليس فقط في الحاضر بل أيضا في الماضي وفي المستقبل ، مكتشفا جذوره في الماضي ، ومتنبئا بخططه وتطلعاته في المستقبل . فهو قديم بتدم الزمان ، وباق ببقائه . وذلك طبيعي على المستوى النفسي الخالص ، فمن أجل التنبيه على الخطر لا بد من تضخيمه . ولاجل بيان أثره على المعاصرين لا بد من البحث عن جذوره في الماضي . فهي مبالغة نفسية تخضع لقانون نفسي وان لم يكن واقعا تاريخيا صرفا على النحو الموصوف ، ومع ذلك يظل الخلاف بين الواقع النفسي والواقع التاريخي خلافا في الدرجة وليس في النوع . حتى ولو كانت الوقائع التاريخية أقل أو أكثر فان ذلك لا يقلل من شأن الوصف النفسي أو الباعث القومي .

ومن هذا النوع الحديث عن الجذور التاريخية للغزو الصهيوني

---

(ب) القى هذا البحث في تونس ١٩٨٤ في مؤتمر الغزو الثقافي الصهيوني للعالم العربي . وهذه الصبغة المزودة بالمراجع كتبت في خريف ١٩٨٧ .

في التراث الاسلامي • فالغزو الصهيوني بالمعنى الحديث حركة استعمارية مرتبطة بتاريخ أوروبا في القرن التاسع عشر ، طالما أن الصهيونية الحديثة احدى نتائجهما • الصهيونية حركة سياسية تركز على مبررات دينية وتعتبر عن حال أوروبا في القرن الماضي من قومية ورومانسية بعد أن رفضت كل القوميات الاوربية وجود أقليات منفصلة عنها ، وبعد أن كانت الروح السائدة هي الرومانسية والعودة الى الاصول والاحلام الطوباوية • صاغت الاقلية اليهودية الانفصالية في الغرب ايدولوجية لها في هذا الجو ، وزادت عليها المبررات الدينية التاريخية نظرا لامتدادها في التاريخ ، وبنفس الدافع وهو الاتجاه نحو الشرق ونحو السواحل لاحتلال الارض المتاخمة لها • صحيح أن المبررات الدينية للصهيونية لها جذورها التاريخية في يهودية التوراة ولكن ذلك لم يكن صهيونية بالمعنى السياسي الحديث بل كانت « النزعة الخاصة »

Particularism التي تغلب على التراث اليهودي ، وهي النزعة التي تقوم على العرق ، والشعب ، والميثاق ، والاختيار ، والوعد ، والارض ، والدين ، واسرائيل ••• الظ • في مقابل النزعة العامة Universalism التي تجعل الشعب اليهودي مثل باقي الشعوب ، وتركز على الايمان والعمل الصالح والطاعة والتوحيد والتي كان الاسلام آخر مراحل التعبير عنها من خلال دين ابراهيم • غلبت النزعة الاولى في التوراة في الزمان القديم ثم تحولت الى بمرر ديني في الصهيونية في العصور الحديثة • وتوارت. النزعة العامة عند الانبياء • ثم غلبت في التراث اليهودي الاسلامي ثم في عصر التنوير الاوربي • وتوارت النزعة

الخاصة. وكادت تنقرض ، ولم تظهر الا عند بعض الاحبار الذين  
أرادوا المحافظة على خصوصية التراث اليهودى الروحى (١) .

والغزو الثقافى الصهيونى جزء من الغزو الثقافى الغربى  
العام الذى تعرضت له البلاد ابان الحقبة الاستعمارية ومازالت  
مستمرة . فارتباط الصهيونية بالغرب ونشأتها فيه جعلتها  
احدى الايديولوجيات الغربية التى تعتمد على مبررات دينية  
لاحدى التوميات النبوذة فيها . وهو موضوع جديد لم  
يتطرق اليه علماء الغرب بطبيعة الحال . فالسارق لا يقول  
انه كذلك . وبدأ العلماء العرب البحث والتنقيب فيه ، والتنبيه  
على مخاطره ، بصرف النظر عن مراحل القديمة أو الحديثة .  
ويصعب فى مثل هذا الموضوع التمييز بين العلم والسياسة ،  
بين التاريخ الموضوعى والالتزام القومى ، ولكن يكفى تقديم  
خطة بحث قومى من أجل تحويل هذا الموضوع الى جزء  
من المشروع القومى العربى العام فى التحرر والنهضة .

وهناك انماط عديدة للغزو الصهيونى للتراث الاسلامى  
تتوقف على طبيعة العلاقة بين التراث اليهودى وتراث الشعوب

---

(١) أنظر دراسائنا :

" God Comlunity and Land " ; " Theology of Land " ; Zionism as  
a counter liberation movement " ; " An open letter on Zionism " ;  
in " Religious Dialogue and Revolution, PP. 174 - 197.  
The Anglo - Egyptian Bookshop, Cairo, 1677.

القديمة والحديثة • ففي تاريخ الحضارات القديمة حدث غزو صهيونى للحضارات القديمة عن طريق النهب والسلب العلى أو التأثير والتأثير غير المباشر • كما حدث مع الحضارة الكلدانية فى فلسطين والديانة المصرية فى مصر والحضارة الاشورية والبابلية فيما بين الرافدين • الغزو هنا لا يعنى هيمنة ثقافية من شعب غالب على ثقافات شعوب مغلوبة بل استيلاء بالقوة من شعب غالب على تراث الشعوب المغلوبة كجزء من النهب الاستعمارى وكما هو حادث الآن فى نهب الفنون الشعبية الفلسطينية وجعلها ممثلة للدولة الصهيونية المعتصبة • وهناك نمط آخر وهو ما يحدث ابان تقدم الشعوب ونشأة الحضارات تم تسرب الاسرائيليات أى الخرافات اليهودية اليها من مواطن ضعف وكنوع من ضرب الحضارات الجديدة من الخلف • هذا الغزو هو نوع من المقاومة السرية الثقافية للحضارات الجديدة الناشئة دون وعى منها • فالمؤرخون المسلمون خاصة المفسرون هم الذين وقعوا ضحية هذا التسرب فى لحظة جمع المعلومات دون التحقق من صحتها • وهناك نمط ثالث للغزو وهو الذى اشتهر فى العصور الحديثة وهو تشويه الثقافات غير اليهودية بما فى ذلك الثقافات الاوربية ، وتغلغل الغزو الصهيونى الى مراكز الابحاث اللغوية والثقافية والحضارية من أجل الاستيلاء على ثقافات الشعوب وحضاراتها وارجاعها كلها الى الحضارة اليهودية ، ديناً ولغة وثقافة • حدث ذلك فى الاستشراق الاوربى ، وفى الفلسفات والمذاهب الاوربية التى روجت للخصوصيات والنحرات القومية حتى يكون لليهودية نصيب والتى روجت للمذاهب

الدولية والاشتراكية والاممية حتى يسهل لليهودية السيطرة عليها  
كما هو الحال في الاشتراكية الدولية والاممية في الغرب •

### ثانيا - الغزو اليهودى للحضارات القديمة :

وقد وجدت الصهيونية الحديثة مبرراتها الدينية في أيديولوجية  
الغزو القديمة التى تقوم على عتائد الارض ، والوعود ،  
والميثاق ، والاختيار • فمن أجل أن تنتصر القبائل العبرانية  
على غيرها من القبائل السامية ومن أجل الاستيلاء على أرضها  
صاغت السلاح العقائدى ، ونقلت بعض العادات اليهودية  
من مستوى المجتمع الى مستوى الله • فتحول حلف القبائل  
الى حلف بينها وبين الله ، حلف أبدي يعطيها الله فيه النصر  
والارض والمعبد والهيكل فى مقابل لاشئ • حروبها حروب  
الرب ، وجيشها جيش الرب ، وانتصارها انتصار الرب •  
ووضعت هذا العهد فى تابوت العهد تحمله فى الحروب وتدافع  
عنه • ونقلت طقوس العهد ، ذبح الحيوان وسيلان الدماء الى  
سيلان دماء من نوع آخر فى طقس الختان ، علامة على الدخول  
فى العهد •

وبالاضافة الى صياغة العتائد من العادات السامية كسلاح  
ايديولوجى للعبرانيين فى حروبهم وغزوهم للقبائل السامية الاخرى  
ثم استيلاء العبرانيين على عتائد التباثل السامية الاخرى وأدبهم  
وادخالها ضمن العتائد العبرانية وآدابها • تكون التراث اليهودى من  
هذين المصدرين ولكن المصدر الثانى كان هو الغالب • أصبحت من طبيعة  
التراث اليهودى القائم على النزعة الخاصة غزو الحضارات المجاورة



أو تلك التى يعيش اليهود فيها عن طريق أخذ دياناتها وقوانينها • ويكون هذا الغزو الثقافى لاحقا للغزو العسكرى ، وكأن الاستيلاء على الارض يعقبه امتصاص الروح ، وتفريغها من كل مضمون خاص بها • وفى هذه الحالة يظهر أثر المغلوب فى الغالب وكأن الهزيمة العسكرية للشعوب المغلوبة تتحول الى نصر ثقافى لها بتغلغل ثقافتها فى الشعب المنتصر • وقد ظهر ذلك فى الغزو اليهودى للقبائل السامية القديمة وأثر الحضارات السامية القديمة فى تكوين العقائد اليهودية وآدابها •

وتتمثل حضارات الشرق القديم فى حضارات ما بين النهرين سواء فى العقائد أو الشرائع أو العادات أو الاعراف الاجتماعية وكما يبدو ذلك فى التشابه المشهور بين ملحمة جلجامش وبين العهد القديم ، بين سفر التكوين البابلى وسفر التكوين التوراتى وعلى ما يبدو فى ثنائيات النور والظلمة ، وخلق السماء والنور، وخلق النبات والحيوان ، وخلق الانسان ثم سقوطه ، وعالم المخلوقات ، والراحة الالهية ، والالواح السبعة ، والايام السبعة وعلى ما هو فى « أنوما اليش » Enuma Elish • فى الملحمة البابلية يشترك الروح الالهى والمادة الكونية فى الوجود والقدم وفى سفر التكوين تخلق الروح الالهى المادة الكونية وتستعمل عنها • وفى التكوين البابلى العماء الاول مغلف بالظلمات وفى سفر التكوين الارض أيضا مغطاة فى أعماقها بها • وفى كليهما يخلق النور والسماء واليابسة والانسان ثم يستريح الله فى اليوم السابع • كما تتشابه شخصيات الملحمة والسفر مثل كيريت ، وأغات ، وروفاعيم ، وحداد ، وبعل وشاشار وشاليم ، ونيكال

وكاتيرتات • لقد كان لبابل والدين البابلي أثر ضخم على التراث اليهودي في فترة تكوين التوراة • كما يوجد كثير من شريعة حمورابي في التوراة في مخاطبة الاله شمش للطبيعة وكلام الوهيم للانبيااء (٢) •

ويمتد الغزو الثقافي اليهودي من العراق الى الشام ومن حضارة ما بين النهرين الى الحضارة الاوغاريتية Ugarite وكما وضح أخيرا في اكتشافات « رأس شمرة » في فينيقتيا القديمة والتشابه الكامل بين ملحمة أغات وبين سفر دانيال ، وبين الشعر الاوغاريني والشعر اليهودي ، وبين الالفاظ والاشكال الادبية والعادات الاجتماعية في الثقافتين الاوغاريتية واليهودية (٣) • ويمتد الغزو أيضا من البابليين والاشوريين الى الكنعانيين والآراميين والعرب والاثيوبيين • فبعد استيلاء يشوع على

---

Alexander Heidel : The Babylonian Genesis p. 82-140 (٢)  
The university of Chicago press, Chicago, 7th. ed. 1972; The same :  
The Gilgamesh Epic and the old Testament parallels; The University  
of Chicago Press, 8th. ed., 1971; Gerald A. Larue : Babylon and the  
Bible, p. 62 - 73; Baker book house, Grand Rapids, Mich. 1969.

(٣)  
Charles F. Pfeiffer : Ras Shamra and the Bible, pp. 36 - 39, pp.  
37 - 61; Baker book house, Grand Rapids, Mich. 2d. ed. 1968; Theo-  
phile James Meek : Hebrew Origins, Harper and Row, New York,  
1960; Cyrus H. Gordon : The Ancien Near East, pp. 292 - 303 Norton,  
New York, 1968.

أرض كنعان استولى اليهود على حضارة الكنعانيين ، ديننا وعقائدا وثقافة وأدبا وفنا . ويبدو ذلك في المقارنة بين أسماء آلهة كنعان وأسماء الاله عند اليهود (٤) . كذلك ظهرت ديانة محر القديمة في الدين العبرى في التوحيد وعبادة العجل ومظاهر الاحتفالات والفنون الشعبية في كثير من أعمال السحر مثل الطاعون وعبور البحر الأحمر والتجليات الالهية (٥) . وظهرت أيضا الثقافة العربية القديمة في الدين اليهودى من خلال الحروف العربية والامثال العربية والديانات العربية القديمة مثل الصابئة (٦) .

وبينما تجاهل الفكر اليونانى اليهود كلية الا أنه تسرب اليهم عن طريق فيلون والمتفسير الرمزى للعهد القديم . كما أنه ساهم في صياغة الاخرويات اليهودية في رحلات الروح

---

Jessie Penn-Lewis : The Conquest of Canaan, Barkstone (٤) 8ih. ed., 1792; Manfred Weippert ; The settlement of the Israelite Tribes in Palestine, Alec & Allenson, Naperville Ill., 1967; C. R. Driver : Canaanite Myths and legends, T. T. Clark, Edinburgh, 1971.

Charles F. Pfeiffer : Tell El - Amarna and the Bible, pp. (٥) 67 - 71; Baker book house, Grand Rapids, Mich., 2d., ed. 1970 Siegfried Hermann : Israel in Egypt, pp. 51 - 64, Alec R. Allenson, Naperville, Ill., 1970.

د. فؤاد حسنين على : التوراة الهيروغليفية ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ( بدون تاريخ )

James A. Montgomery : Arabia and the Bible, pp. (٦) Canaanite Myths and legends, T. T. Clak, Edinburgh, 1971.

الى عالم الموتى ، وصور العالم الاخر ، والبعث وتناسخ الارواح ،  
وزواج الملائكة والجن ، والشياطين والمردة ، رؤساء الملائكة  
والحراس والرعاة (٧) .

وبالرغم من خروج المسيحية من جماعة الاسينيين كما تكشف  
ذلك مخطوطات « قمران » الا أن الفكر اليهودي استطاع غزو  
الفكر المسيحي الناشئ خاصة من البيئة اليهودية . فخرجت  
المسيحية اليهودية في صراع مع المسيحية . ولما كانت اليهودية  
أقوى سلاحا من الوثنية ظهر الغزو اليهودي للدين الجديد من  
الداخل من منافذ عدة منها :

١ - دخول بولس الدين الجديد ، وهو الحبر اليهودي ،  
عالم عصره الذي استعمل كل ثقافته وعلمه لطمس معالم الدين  
الجديد ، يدفعه في ذلك احساسه بالنقض بالنسبة للصواريين  
الذين رأوا السيد المسيح ، ودفعوا عن نفسه احساسه بالذنب  
بالنسبة لتعذيبه المسيحيين ، وعداؤه لليهودية من أجل اقناع  
الناس بايمانه الصادق بالدين الجديد . فتمت مقارنة عيسى  
بموسى ، والكنيسة بالمحكمة اليهودية . ولم يكن هناك شيء في  
الدين الجديد الا وله ما يشابهه في الدين القديم .

---

T. Francis Glasson : Greek influence in Jewish Escha- (٧)  
tology, London, S. P. C. K., 1961; Cyrus H. Gordon : The Greek and  
Hebrew Civilizations, Norton, New York, 1962; Victor Tcherikover :  
Hellinistic Civilization and the Jews, Magness Press, P. 244 -- 380  
Philadelphia ,1966.

٢ - الاشارات المستمرة في كتاب العهد الجديد الى العهد القديم ، ورؤية كل الاحداث الحاضرة وكأنها تحقيق لنبؤات العهد القديم من أجل اقناع البيئـة اليهودية بالسيد المسيح .  
وبالتالى تم تهويد الحاضر من خلال الماضى ، وتنميط الحوادث طبقا لنصوص العهد القديم التى وضعوها على لسان السيد المسيح وكأنه يستشهد بها .

٣ - وضع العهد الجديد مع العهد القديم فى الكتاب المقدس وكأن العهد الجديد تحقيق للعهد القديم وختام له مما فرض على كل مؤمن أن يفهم العهد الجديد بالرجوع الى العهد القديم . ولم تنفع محاولة سلسوس Celsus فى الوقوف أمام هذا الخلط ، ولم تنجح محاولته للتمييز بين الدينين ، والتفرقة بين العهدين بعد أن تصدى له أوريجين وقضى عليه . وأصبحت الحضارة المسيحية الاوربية ازدهارا وانماء للمصدر اليهودى فيها على الرغم من العداة الدفين بين الطائفتين وصراعهما من أجل السطة والريادة ، عنصرية عبرية فى مقابل عنصرية رومانية (٨) .

### ثالثا - الغزو الصهيونى للتراث الاسلامى :

لا يمكن الحديث تاريخيا عن الغزو الصهيونى للتراث الاسلامى

---

Arthur A. Cohen : The myth of the Judeo - Christian Tradition, Schocken, New York, 1971; James Parkes : The conflict of the church and the synagogne, Atheneum, New York, 1969. (A)

لانه في هذه الفترة استطاع التراث الاسلامى أن يتمثل اليهودية ، وأن تصبح اليهودية أحد مظاهره . ولما كان التراث الاسلامى قائما على النزعة الشاملة Universalist طبقا لروح الاسلام فان هذه النزعة نفسها قد تغلبت على التراث اليهودى ، وكادت أن تختفى النزعة الخاصة Particularist باستثناء بعض الاحبار الذين كانوا يمثلون النزعة المحافظة بدعوى الحفاظ على التراث اليهودى . ويؤرخ لهذه الفترة علماء اليهود أنفسهم ويصفونها بأنها كانت العصر الذهبى للتراث اليهودى الذى ظهرت فيه الفلسفة اليهودية العقلانية وقواعد اللغة العبرية المنظمة على أساس من قواعد اللغة العربية ، والتصوف اليهودى الذى اقترب من التصوف الاسلامى ، وأصول الفقه اليهودى الذى تشابه مع أصول الفقه الاسلامى ، والعقائد اليهودية التى تحدثت لأول مرة عن الذات والصفات والافعال كما هو الحال فى علم أصول الدين الاسلامى ، والطب اليهودى الذى كان مع الطب الاسلامى الطب العلمى القديم .

لذلك ، بدلا من الغزو المتبادل على النمط الاول ، سرقة اليهود لتراث الحضارات القديمة أو غزو اليهود للدين المسيحى ظهر نمط اسلامى آخر يقوم على دعامين :

١ — ضياع العنصرية والانعزالية اليهودية أى النزعة الخاصة Particularist العملية وذلك عن طريق تطهير الجزيرة العربية منهم ، والتفويت على دسائسهم مثل محاولات اغتيال النبى ،

وتفرقة المسلمين ، وحديث الافك ، والنفاق ، ومحاربتهم حتى تنكسر شوكتهم ويصبحون مثل باقى الناس •

٢ — التأكيد على اليهودية الشاملة Universalist كما ظهرت عند الحنفاء ، دين ابراهيم واسماعيل ، ولدى اتقياء اليهود في الجزيرة العربية الذين يعترفون بالحق • دخل من شاء منهم في حلف المدينة ، واعتبروا في الشريعة الاسلامية مع النصارى والمجوس من الامة الاسلامية • وقد كان شعراؤهم في الجاهلية مثل شعراء النصارى أقرب الى الشعر العربى منهم الى التراث اليهودى • وقد تجسد ذلك كله في كعب الاحبار الذى آمن برسالة محمد •

وقد جاول اليهود التسرب الى الدين الجديد عن طريق الدس عليه وادخال مشاكل الدين اليهودى وصوره وعقائده في الدين الجديد في جو من الحريات العامة وتسامح دينى عريض • وهنا يظهر النمط الثانى من الغزو عن طريق تسرب الثقافات اليهودية الى الدين الجديد وكنوع من انتقام المغلوب من الغالب على عكس النمط الاول وهو الاستيلاء من الغالب وهم اليهود على ثقافات الشعوب والقبائل السامية المغلوبة • وقد حدث هذا التسرب في النمط الثانى بطريقتين :

١ — تشويه عقائد الدين الجديد وفي مقدمتها التوحيد الخالص أى التنزيه ، وذلك بادخال عناصر التجسيم والتشبيه فيه وأحيانا عقائد الحلول والاتحاد مما يطمس معالم الدين الجديد ويحوله الى تاريخ صرف وكما حدث في التجارب الدينية السابقة في

اليهودية والمسيحية • ظهر التشيع مدعوماً في بعض عتائده  
بعبد الله بن سبأ ووهب بن منبه تأليها لعلى وطعنا فى الاسلام  
مما جعل المتكلمين الاوائل يتصدون له ويدافعون عن التوحيد  
الصافى الخالى من كل شائبة أو شبهة •

٢ — دخول الاسرائيليات فى التفسير بأيدى المسلمين وروايات  
عن الاحبار وذلك من خلال مناهج التفسير عند أصحاب التفسير  
بالمأثور الذين اعتمدوا على النقل ، وجعلوا كل همهم جمع أكبر  
قدر ممكن من المعلومات دون التحقق من صدق الروايات • فدخل  
كثير من الروايات التى دونت فيما بعد فى المشناه والمدراش  
والتلمود ، منها الصحيح ومنها المنحول • فالاسرائيليات ليست  
من غزو التراث اليهودى للتراث الاسلامى بل من عيوب منهج  
التفسير عند المسلمين • ولقد تصدى الفقهاء المسلمون فيما بعد  
لهذه الاسرائيليات ولباقى التراث اليهودى وقاموا بنقدها وبيان  
زيورها اتارىخى ، وأسسوا علم نقد الكتب المقدسة قبل تأسيس  
الغرب الحديث له • وطبقوا مناهج النقل عند المسلمين كما  
وضعها علماء أصول الفقه وعمموها على كل تراث دينى ، نصرانى  
أو يهودى (٩) •

---

(٩) ابن حزم : الرد على ابن النفريلة اليهودى ، تحقيق  
د. احسان عباس ، دار العروبة ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ابن عزم :  
الفصل فى الملل والاهواء والنحل ، صبيح ، القاهرة ( بدون  
تارىخ ) ، الباجى الشافعى : على التوراة ، كتاب فى نقد التوراة



وقد استطاع التراث الاسلامى احتواء ما تبقى من خصوصية Particularism اليهودية داخل بنائه العام . وأصبح من السهل المقارنة بين الحالة الخاصة والبناء العام Universalist والحكم عليهما والانتساب الى العام دون الخاص . ففي علم أصول الفقه رفض الفقهاء شرع من قبلنا باعتباره أحد مصادر الشرع سواء في توراة موسى أو في شريعة عيسى . فالشريعة قد تطورت . والشريعة الاسلامية آخر مراحلها في حين أن التوحيد لم يتطور ، والعقيدة واحدة منذ آدم حتى محمد . وفي علم أصول الدين رفض العلماء التشبيه والتجسيم ، وتحدثوا عن اليهودية ضمن الفرق غير الاسلامية . وتم اخضاع نصوص التوراة للنقد التاريخي كما فعل ابن حزم ، وظهرت الكتابات العديدة في الرد على اليهودية . وقد رفض المتكلمون قصر النبوة على اليهود وحدهم أو قصر نبوة محمد على العرب وحدهم دون سائر الامم كما تفعل العيسوية منهم . كما فندوا انكار اليهود للنسخ دقاعا عن اليهودية وانكارا للاسلام لان النسخ ثابت في

---

اليونانية ، تحقيق د. أحمد حجازى السقا ، دار الانصار ، القاهرة ١٩٨٠ ، ابن القيم الجوزية : كتاب هداية الحيارى في اجوبة اليهود والنصارى ، المكتبة القيمة ، القاهرة ( بدون تاريخ ) ، ابو الحسن اسحق الصورى ( مترجم ) : التوراة السامرية ، تحقيق د. أحمد حجازى السقا ، دار الانصار ، القاهرة ١٩٧١ ، الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن الهندى : اظهار الحق ، القاهرة ( بدون تاريخ ) .

الشريعة ولان التطور واقع فيها • كما فند المسلمون آراء الباطنية  
والشيعية وكل الفرق التي دس اليهود فيها على الاسلام لهدمه  
من الداخل والتشويش على عقائده • وفي الفلسفة تمثل اخوان  
الصفاء اليهودية ، ووضعوها في اطار البناء العام مع كل الشرائع  
والديانات مادام الاسلام دين العقل ، ودين الطبيعة ، وأصبحت  
اليهودية احدى ديانات البشر على قدم المساواة لا تتميز على  
غيرها في شئ • وفي التصوف احتوى الصوفية المسلمون كل أنواع  
التصوف السابقة . اليونانى ، والهندي ، والفارسي ، واليهودي •  
والمسيحي دون تمييز لواحد على الآخر • وفي العلوم الطبيعية  
كان الاطباء اليهود يعملون في الدولة الاسلامية ويعالجون خلفاءها .  
ويعيشون في بلاط الامراء وينالون كل تقدير واحترام • ولقد  
تقلد منهم مناصب الوزارة • كانوا يهودا عقيدة ، ومسلمين ثقافة  
ويدينون بالولاء للامة •

لم يتبق من التراث اليهودي الا النزعة الشاملة Universalist  
والتي ظهرت على نسق البناء الاسلامي العام والتصور الاسلامي  
للكون والحياة والانسان والمجتمع والتاريخ • وقد اتضح ذلك  
في العصر الذهبي للتراث اليهودي خاصة في الاندلس عندما عاشوا  
في كنف المسلمين يحميهم الاسلام ويحافظ على تراثهم حتى لقد  
تحول البعض فيهم الى الاسلام ديناً بعد أن تشبع به ثقافة .  
وعائمه حضارة ، ودافعوا عن النزعة الشاملة التي تجمع اليهودية  
والمسيحية والاسلام ، وغندوا النزعة اليهودية الخاصة التي تنكر

المسيحية والاسلام (١٠) . ونشأ لأول مرة في تاريخ اليهود علم الكلام اليهودي العقلاني معتمداً على الحجج والبراهين . لا فرق بينه وبين علم الكلام الاسلامي . ومكتوبا باللغة العربية وعلى أقصى تقدير باللغة العربية بالحروف العبرية (١١) . ونشأت الفلسفة اليهودية على نسق فلسفات المسلمين عند الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد حتى أنه ليصعب التفرقة بين ابن ميمون وابن رشد . كلاهما في قرطبة . يدرسان في المعبد أو المسجد . يتحاوران أمام جمهور واحد . ويعمل ابن ميمون طبيباً لصالح الدين . تهاجر الحليبيين . ويعرف ابن ميمون نفسه كيهودية بأنه الحكيم الفيلسوف القرطبي الاندلسي أى بالفكر العام ربالمكان وليس الحبر اليهودي (١٢) . وكان سليمان

---

(١٠) ومن هؤلاء : السموال بن يحيى بن عباس المغربي ( شهونيل بن يهوذا بن ايوب ) ( ٥٧٠ هـ ) : بذل المجهود في افحام اليهود ، مكتبة الجهاد الكبرى ، القاهرة ( بدون تاريخ ) ، سعد بن منصور بن كونة ( ٦٨٣ هـ ) : ننقبح الابحاث للامل الثلاث : اليهودية والمسحبة والاسلام ، دار الانصار ، القاهرة ( بدون تاريخ ) تصوير لنشرة

Moshe Perlmann univeristy of Colifornia Press, 1967.

(١١) سعيد بن يوسف الفبومى : الامانات والاعتقادات ، تحقيق لتدور ، ليدن ١٨٨٠ موسى بن ميمون : دلالة الحائرين ، نقلها الى الحروف العربية د. حسين آناى ، انقرة أبو البركات البغدادي : المعتبر في علوم الحكمة ، دائر المعارف العثمانية ، حيدر اباد الركن ١٣٥٨ هـ .

(١٢) انبار دراستنا

Islam and Judaism; A model From Andalusia Unesco, Paris, 1985.

بن جبرول تلميذ الفارابي . يرد مثله على الفيلسفة اليونانية .  
ويقبل منها مثله ما يتفق مع العقل . ونشأ التصوف اليهودى  
فى اسبانيا فى مجموعة « زوهار » Zohar لا فرق فى وضعه  
لتجليات الروح فى الكون بينه وبين ابن عربى فى الفتوحات  
المكية . ونشأ الفقه اليهودى على منوال الفقه الاسلامى .  
فصنف ابن ميمون الاوامر والنواهى كما فعل الاصلوليون  
المسلمون . وظهر علم أصول الفقه اليهودى وموضوعات الاستدلال  
والقياس والحيلة بين الاصول والفروع . وكما أصبحت  
« الهاجاده » جزءا من التلمود أصبحت « الحلقة » كذلك جزءا  
آخر منه . وبيان أثر العبادات الاسلامية فى الشرائع اليهودية فى  
غسل الرجلين ، واغتسال المجانب ، والغاء صلاة السر ، واصلاحات  
الحسيدين Hassides فى الصلاة فى السجود والركوع .  
واستقبال القبلة ، والاصطفاف ، وبسط اليدين (١٢) . كما نشأ  
النحو العبرى على منوال النحو العربى ، وساعد على ذلك أن  
اللغتين فرعان من لغة أم واحدة وهى اللغة السامية . عرّف  
اليهود لأول مرة قواعد النحو والصرف وعروض الشعر ومع ذلك  
ظلت اللغة العربية هى لغة التأليف أو اللغة العبرية بحروف عربية .  
كما ظهرت قواميس اللغة العبرية على منوال قواميس اللغة  
العربية . واشتغل اليهود لأول مرة بالعلوم الطبيعية والرياضية .  
وظهر من بينهم العلماء والاطباء والرياضيون فى الحسب

(١٢) نفتالى فيدر : التأثيرات الاسلامية فى العبادة اليهودية .  
ترجمة د . محمد حسام الجريح ، دار العربية ، القاهرة ١٩٦٥

والهندسة والموسيقى والفك في اسبانيا ومصر والعراق والمغرب  
العربي (١٤) \*

وظل الحال كذلك الى أن خضع حكم المسلمين في الاندلس  
واسترجعها النصارى في بداية الغزو الاستعماري الاوربي \* فوقع  
أبشع ضطهاد للمسلمين واليهود على السواء للتحويل الى النصرانية  
من جديد \* فمن تحول الى النصرانية بقي ، ومن رفض وآثر  
الثبات على دينه قتل أو هرب الى الغرب \* فاستقر هناك  
المسلمون واليهود وحملوا معهم تراثهم \* وخضع التراثان الاسلامي  
واليهودي ابان الحكم المسيحي لاسبانيا ، وانتقلا الي المغرب  
لتدوينه هناك \* وما أن هيمن الغرب الاستعماري الجديد على  
المناطق الحضارية في اسبانيا حتى بدأت نهضة الغرب الحديثة \*  
وكان اليهود والمسيحيون الاسبان قد قاموا من قبل بترجمة امهات  
التراث الاسلامي الى اللغة اللاتينية في الفلسفة والكلام والعلوم  
الرياضية والطبيعية فقامت نهضة الغرب الحديثة من الجنوب  
الى الشمال ، وكان نفس الشيء قد تم عبر ايطاليا وبيزنطة  
ونشأت في الغرب الاتجات العقلانية في الفلسفة والدين والتجريبية  
في العلم والصورية في الرياضة \* وقد استغرق ذلك قرنين من  
الزمان ، الثاني عشر والثالث عشر \* وفي القرن الرابع عشر ، عصر  
الاحياء ، عندما بدأت الثورة على أرسطو العربي الاسلامي

---

A. A. Newmann : The Jews in Spain, The Jewish (١٤)  
Publication society in America, Philadelphia, USA, 1942.

بدأت النهضة الحديثة أيضا بالعودة الى الآداب القديمة على حساب العقل النظري القديم ، ووجد الوعي الاوربي فى الاساطير اليونانية ما لم يجده فى الفلسفة اليونانية . وفى القرن الخامس عشر ، عصر الاصلاح الدينى ، ظهر الاسلام على نحو غير مباشر فى دفاع لوثر عن حرية التفسير ، والصلة المباشرة بين الانسان والله ، واعتبار الكتاب وحده مصدر الايمان ، والتأكيد على حق القوميات ضد الهيمنة الرومانية اللاتينية المتديمة باسم الايمان المسيحى . . . الخ . وفى القرن السادس عشر ، عصر النهضة . تم تطوير العلوم التجريبية بفضل انصار ابن رشد اللاتين والتصوير الحتمى للطبيعة وتسخيرها لصالح الانسان وقـدرة العقل على معرفة قوانينها . وفى القرن السابع عشر ، عصر العقلانية . بدأت آثار العقلانية الاسلامية فظهرت العقلانية اليهودية تؤكد النزعة الشاملة Universalist وكما هو الحال عند اسبينوزا وكأنه معتزلى جديد . وفى القرن الثامن عشر ، عصر التنوير ، ظهر التنوير اليهودى عند مندلسون وكأنه فيلسوف اسلامى يؤكد هفة العمومية للتراث والشمول للروح الانسانى واضعا حدا للخصوصية اليهودية والانعزالية فى السلوك . وقد توجت الثورة الفرنسية ذلك باعلان وثيقة التحرر العام لليهود كمواطنين لهم ما لغيرهم من حقوق وواجبات دون ما تمييز فى دين أو عقيدة وباسم الحرية والاخاء والمساواة .

## رابعاً - الغزو الصهيوني الاوربي في القرنين التاسع عشر والعشرين :

نشأت الصهيونية في القرن التاسع عشر الاوربي كرد فعل على حركة التنوير اليهودي Askala في القرن الثامن عشر فتمركزت حول الذات . وظهرت فيها القوميات . وعادت الخصوصية المعرفية من جديد . وانتهت العالمية والشمول ، ووقعت في حبال الرومانسية والعودة الى الارحام حيث الارض الشعب والروح والتاريخ . تم تحولت الصهيونية من الصهيونية الروحية . مجرد حفاظ على التراث اليهودي من الاندثار . الى الصهيونية السياسية أى تأسيس الدولة اليهودية .

في هذه الفترة نشأ الغزو الصهيوني للتراث الاسلامي عندما ضعف المسلمون بعد سقوط غرناطة في المغرب وفساد الدولة العثمانية في المشرق . فانهارت دولتهم . وضاعت شوكتهم . وهمشوا وشرحوا وتوقفوا في الوقت الذي بدأت الحضارة الاوربية في التقدم . ابتداءً الوعى الاوربي يتحول الى ذات تتذخم تدريجيا حتى ابتلعت ما سواها من الحضارات غير الاوربية وحولتها الى موضوع تلتهمه وتشسوهه باسم الدراسة والبحث . وتأخذ عمارتها . ولا تترك لها الا النفايات . في هذه العصور الاوربية الحديثة التي تعادل فترة التوقف لدينا بدأ الغزو الصهيوني للتراث الاسلامي كجزء من غزو المغرب الثقافي . فقد كانت الصهيونية أحد مظاهر التراث الغربي ، تقوم على اكتافه ، وتتعلق به ، وتتسرب الى الفكر الغربي ذاته والى الحضارات غير اليهودية .

وهنا يبدو النمط الثالث للغزو الصهيوني للتراث الاسلامى .  
ويمتد ويتسع حتى يشمل الارض والشعب والوطن والتاريخ .  
يبدأ الغزو الصهيونى للثقافة الاسلامية على أوسع نطاق ، ينكر  
الجميل والفضل الذين كانا بالامس القريب . فانحسرت النزعة  
العامية ، وسادت النزعة الخاصة ، وتحول الدين اليهودى الى  
عنصرية عرقية تقوم على الدم ، وتنكر اليهود لاصولهم الاولى  
التي منها نشأت حضارتهم سواء فى الشرق القديم أو فى الشرق  
والغرب الاسلاميين . وأرادوا الاستئثار بفضل كل الامم وتنصيب  
أنفسهم معلمى البشرية جمعاء والاوصياء عليها . وفى نفس  
الوقت كانت الدولة العثمانية تقاوم الاستعمار غربا وشرقا فأراد  
الاستعمار النفاذ اليها والنيل منها عن طريق هدم الحضارة  
الاسلامية مصدر قوتها ، وعنصر بقائها فى التاريخ .

انتشر علم الاجناس وسيكلوجية الشعوب وطبائعتها . وظهرت  
النظريات العنصرية التي تجعل الاوربيين وشعوب الشمال أكثر  
رقيا وتقدما ، وأنقى دما ولحما من شعوب الجنوب أو الشرق  
فى أفريقيا وآسيا . ونشأ علم اللغة الحديث وصنفت اللغات .  
وظهر الفرع السامى أصلا للغات ، والعبرائية أصل للسامية ،  
والعربية أحد فروعها . وتمت دراسة اللغة العربية كأحد فروع  
اللغات السامية ، وانقلب الامر على ما كان عليه أيام نشأة التراث  
اللغوى اليهودى فى الاندلس عندما كان فقه اللغة العربى أساس  
النحو العبرى الوليد . ونشأت محاولات تقويض الحضارة  
العربية من داخلها . فظهرت نظريات انتحال الشعر العربى حتى ينسب



القضاء على السجل القومي للعرب • وقارن مرجوليوث وغيره الانتحال في الشعر العربي والشعر اليوناني تعمية وتغطية واخفاء للباعث السياسي تحت غطاء علمي تاريخي . وأسوة بالانتحال في الكتاب المقدس ، واحدة بواحدة • ثم ظهرت محاولات تقويض المصدر الاول للحضارة الاسلامية وهو التران عن طريق انكار الوحي واثبات أنه تلفيق من وتوفيق بين روايات يهودية ونصرانية منتحلة أو روايات صحيحة لم يفهما النبي الجديد أو فهمها وأولها نصالح قبيلته • الشعر منتحل • والقرآن تجميع من روايات منتحلة وغير صحيحة أو أسوء فهمها عن عمد أو عن غير عمد • وكثرت الدراسات عن اليهودية والاسلام لاثبات أن الاسلام مجرد فرع لليهودية في الجزيرة العربية ، وأن النبي قد استقى معلوماته من اليهودية والنصرانية خلال اسفاره من الاحبار والكهنة ، وأن قصص الانبياء ، والشريعة ، والعبادات ، والاخلاق ، والعبادات كلها مستقاة من اليهود في الجزيرة العربية حتى لم يعد للمسلمين شيء يذكر • أصبح الفرع وهو اليهودية مصدرا للفرع الآخر وهو الاسلام ، وتحول الفرع الاول الى أصل ، ونسى الاصل السامي المشترك (١٥) • ثم ظهرت محاولات لاعادة كتابة تاريخ الحضارة الاسلامية من منظور يهودي صهيوني فخرجت « دائرة

(١٥)

Abraham Geiger : Judaism and Islam, KTAV, New York

1970. A. I. Katsh : Judaism in Islam, New York, 1954; Ch. C. Torry : The Jewish foundation of Islam, KTAV, New York, 1967; S. D. Goitein : Jews and Arabs; Their contacts through the ages, Schocken, New York, 1970.

المعارف اليهودية » التي تظهر فيها الحضارة الاسلامية كأحد روافد التراث اليهودي فانقلب الاصل فرعا ، والفرع أصلا . ثم ظهر الاستشراق وسيطرت العناصر الصهيونية عليه من أجل تفريغ الحضارة الاسلامية من ابداعها وماهيتها ووحدتها العضوية ونشأتها من مركز واحد عن طريق المناهج التحليلية والتاريخية والاسقاطية ومناهج الاثر والتأثر (١٦) .

وظهرت الصهيونية على نحو مباشر عن طريق تسلسلها الى معظم الحركات الاوربية الحديثة لاحتوائها والسيطرة عليها . فالماسونية قد بدأت منذ القرن الماضي تعبر عن مثل جديدة لاعادة بناء الروح الانسانية الشاملة باسم وحدة الانسانية واستقلال الروح . وكان الغرض منها القضاء على القوميات حتى يمكن باسم الانسانية الشاملة القضاء على ما ينقص اليهود كأقليات في قوميات غالبية وفي نفس الوقت تتمسك اليهود بقوميتها الخاصة . فالكيل هنا بمكيالين ، الانسانية للغير ، والقومية للانا ، الاخوة والتسامح للغير والتعصب والعدوان للانا ، السلام والوئام والمحبة للغير ، والحرب والضعينة والكراهية للانا . والاشتراكية التي أرادت تحرير الطبقة العاملة وتأسيس مجتمعات بلا طبقات تسودها الحرية والعدالة الاجتماعية سيطرت عليها الصهيونية أيضا حتى يكون لها اليد الطولى في العالم ودون أن تتخلى عن رأسمالياتها . وهنا

---

(١٦) انظر كتابنا ، التراث والتجديد ، موقفنا من التراث القديم ، ص ٧٥ — ١٠٨ ، المركز العربي للبحث والنشر ، القاهرة ١٩٨٠ .

يبدو نفس المنطق المزدوج . الاشتراكية للاخر والرأسمالية للانا . الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية للاخر والاستغلال والتسلط وسيطرة رأس المال للانا . والعلمانية التي أرادت فصل الدين عن الدولة من أجل أن يكون الدين لله والوطن للجميع . وعدم تدخل الدولة في شؤون الدين أو الدين في شؤون الدولة دفاعا عن حرية الاديان وتأسيسا للحق الطبيعي للأفراد وللشعوب تسربت الصهيونية من خلالها من أجل تأسيس الدولة على الدين حتى يسهل بعد ذلك السيطرة على الدولة وتبرير وجودها باسم الدين . وهو نفس المقياس المزدوج . العلمانية للاخر والدينية للانا . أما المذهب الانساني الذي نشأ في الغرب منذ عصر النهضة دفاعا عن الانسان في مواجهة طغيان الكنيسة والدولة فقد تسربت اليه الصهيونية كذلك من أجل جعل اليهودي وحده هو نموذج الانسان والذي له حق الحياة والبقاء » ذلك أنهم قالوا ليس علينا في الامين سبيل « ( ٣ : ٥٧ ) ( ١٧ ) .

---

(١٧) لمزيد من التفصيلات عن الايديولوجية الصهيونية وتسللها الى الحركات الحديثة انظر

A. Hertzberg : The Zionist Idea, Atheneum, New York; 1971.

محمد خليفة التونسي ( مترجم ) : الخطر اليهودي ، بروتوكولات حكماء صهيون ، دار الكتاب العربي ، بيروت . روجيه جارودي : اسرائيل ، الصهيونية السياسية ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨٣ . د. عبد الوهاب المسيري : الايديولوجية الصهيونية ، دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٢ . د. عبد الوهاب المسيري : اليهودية والصهيونية واسرائيل ، دراسات في انتشار

وقد ظهرت حركات جديدة في القرن العشرين حاولت الصهيونية أيضا السيطرة عليها وأمكن لها ذلك بسهولة لان البعض نشأ بتشجيع منها من أجل خدمة أهدافها . ومن ذلك البهائية وتحويل الاسلام الى حركة صوفية اشراقية بعيدا عن الارض لا جهاد فيها لاعداء أو لنصرة الشعوب . لا تعتمد على العقل ولا ترتبط بالواقع . وأصبح معبدها الرئيسي في حيفا . تعلن نهاية الصراع بين الاديان أى بين الاسلام واليهودية ، وتحرف القرآن ، وتحذف منه كل الآيات التي تحتوى على نقد لبنى اسرائيل سواء لتحريفهم التوراة أو لتشويههم العقائد أو لعصيانهم أوامر الله . كما ظهرت نظريات العقل العربى لتستأنف النظريات العنصرية القديمة . فهناك منهج عربى في التفكير وأسلوب عربى فى الحياة له سمات خاصة فى مقابل منهج التفكير اليهودى وأسلوب الحياة اليهودى . والفرق بينها هو الفرق بين التخلف والتقدم ، بين الجهل والعلم ، بين المهزيمة والنصر ، بين الفناء والبقاء(١٨) .

---

وانحسار الرؤية الصهيونية للواقع ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٥ د. اسعد مرزوق : التلمود والصهيونية ، منظمة التحرير الفلسطينية مركز الابحاث ، بيروت ، ١٩٧٠ ، د. محمد ربيع : ازمة الفكر الصهيونى مع دراسة جديدة حول موقع العقيدة من الفكر الصهيونى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٧٩ ، الصهيونية والعنصرية ، ابحاث المؤتمر الفكرى حول الصهيونية ، بغداد ١٩٧٦ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٧٧ .

Philipp Petai : The Arab mind.

(١٨) وذلك مثل

ولسوء الحظ يستعمل بعض المفكرين المتقدمين العرب المعاصرين نفس التعبير « العقل العربى » .

وتمت سرقة الفن العربى وأساليب الحياة العربية وعزوها الى اليهود ، وأصبح « الارابيسك » يهوديا ، والموسيقى العربية يهودية ، والخيمة والنخلة والعقال والناى والصحراء والابل كلها يهودية مع أن اليهود عاشوا فى الطراز المعمارى العربى وكما يبدو لامر من المعبد اليهودى الذى كان يدرس فيه موسى بن ميمون فى قرطبة . وظهر الاستشراق فى دفعة جديدة من داخل اسرائيل عن طريق ترجمة الادب العربى الحديث والفكر العربى الحديث ، ودراسة التراث العربى الاسلامى . واصدار المجلات الثقافية المتخصصة للرواية والشعر والنقد ، ونشر النصوص القديمة ، واعادة فهرسة المعاجم العربية القديمة ، ونشرها نشرا علميا حديثا تسهيلا على الباحثين وكبديل عن جهد العلماء العرب والناشرين العرب . كما سيطرت الصهيونية على كثير من مراكز بحوث الشرق الاوسط فى الغرب ، وروجت لبعض الموضوعات لتشويه الثقافة العربية الاسلامية دفاعا عن اسرائيل مثل « الجنس واللون » فى الاسلام ، والرق فى الاسلام ، وصلة الاسلام بافريقيا حتى لا يقال عن الصهيونية وحدها أنها حركة عنصرية وبالتالي يتم التشريع للتعاون بين اسرائيل وجنوب افريقيا (١٩) .

ثم حاول الغزو الصهيونى الاتجاه نحو العقل العربى الحديث بعد التطبيع حتى يمكنه القضاء على المناعة العربية ضد

الصهيونية والتي بدأناها منذ عدة أجيال وحتى يمكنه تصدير الصهيونية الى العالم العربى ثم من خلاله الى أفريقيا وآسيا والى العالم الثالث كله بعد أن كان العالم العربى قلب تحرره ، ومركز قيادته • فالصهيونية كانت حركة تحرير للشعب اليهودى كما أن القومية العربية حركة تحرر للشعب العربى • كلاهما قوميتان شرعيتان ، وحركتان تاريخيتان ! والصهيونية ، كما تدعى ، نموذج للتحديث : زراعة الصحراء ، انشاء المدن الجديدة ، التصنيع ، التدريب ، الاخذ بأساليب العلم الحديث ، الابحاث النووية • اذن يمكن صياغة مشروع واحد بين القوميتين يجمع بين العبقورية اليهودية والمال النفطى والعمالة العربية ! وذلك يتطلب السلام مع الجيران ، ووقف العداء ، وانهاء حالة الحرب ، وقبول الجسم الغريب ، واعلان الاستسلام ، والتكفير عن الذنوب السابقة • كما يتطلب أيضا الزيارات المتبادلة لاحداث الصدمات الحضارية اللازمة لدى الزوار العرب حين المقارنة بين تقدمهم وتخلفنا • كما يقتضى ذلك انشاء مراكز أبحاث اسرائيلية داخل الوطن العربى لتعويد الطلاب العرب على البحث وابعادهم عن مراكز أبحاثهم الوطنية توجيهها للعقل العربى وامتصاصا لقدراته فى جمع مادة عن التراث الوطنى والتكوين الشعبى ومزاج الامة حتى يسهل قيادتها والسيطرة عليها • وما أكثر التسهيلات التى تقدمها الصهيونية لذلك مثل المنح الدراسية ، وتبادل المعلومات ، والاساتذة الزائرين ،

---

(٢٠) انظر بحثنا : مخاطر السلام ، الدين والثورة فى مصر ، الجزء الثالث ، الدين والنضال الوطنى ، مديولى ، القاهرة ، ١٩٨٨ •

والقيام بمشاريع البحث المتسركة المباشرة أو من خلال مراكز  
البحوث الامريكية بالمنطقة • والهدف من ذلك كله هو تحويل  
المنطقة الى دويلات طائفية صغيرة متناحرة تكون اسرائيل في وسطها  
الدولة اليهودية الكبرى • وبالتالي تعطى الشرعية لوجودها في مواجهة  
أى مشروع آخر يقدمه الميثاق الوطنى الفلسطينى . مثل مشروع  
تكوين دولة علمانية يتعايش فيها اليهود والمسلمون والمسيحيون •  
بصرف النظر عن العقيدة أو العرف أو الثقافة •

والاسوء من ذلك كله أن يمهد لهذا الغزو من بعض الاقلام العربية  
التي كانت تبرز بعض الانظمة العربية اتى استسلمت للغزو الصهيونى •  
وأنتهت مقاومتها • والقت السلاح • وذلك عن طريق الترويج لمجمع  
للاديان فى سيناء فوق جبل الطور حتى يجتمع فيه اليهود والمسيحيون  
والمسلمون ليصلون من أجل السلام أو ليحفظ فيه أحد القادة بكنوز  
الدير المجاور تمهيدا للاستيلاء عليه أو لتهديبه الى الخارج ! فاليهود  
أولاد العم وليسوا غرباء عنا • بيننا وبينهم مجرد حاجز نفسى وليس  
صراعا قوميا على أرض وطن وتضحية شعب •

وتسهل مقاومة هذا الغزو الصهيونى للتراث الاسلامى كمقدمة  
لتأكيد غزوه للتراث الوطنى وتشريعه عن طريق اللجوء الى هذا التراث  
ذاته واستمداد عناصر المقاومة منه • ففى القرآن الكريم . مصدر  
هذا التراث ومنبعه الاول • لا يجوز الصلح مع بنى اسرائيل •  
يكفرون بالحق اذا عرفوه أو يكتمونه ويكذبونه ويبدلونه  
ويحرفونه أو يؤمنون بالبعض دون البعض الآخر وفقا للهوى أو  
يجهلونه كلية • اذا عرفوه فانهم يعصونه أو يؤمنون به ايماننا غير

جاد • يعيشون في مجتمع مغلق يقوم على الهوى والمصلحة • يصدون عن الحق ، يغالون في الدين وينافقون فيه • تسيطر عليهم الانانية وحب الدنيا ويأكل الاحبار أموال الناس بالباطل ، ويعتدون على غيرهم من الشعوب • يجحدون بالنعم مثل النبوة والخلاص والمغفرة • ينقضون الميثاق فلا عهد لهم • ومن ثم تستحيل المصالحة معهم باستثناء البقبة الصالحة التي رفضت الصهيونية كعنصرية وأبقت على اليهودية كدين شامل كما حاول المصححون وفلاسفة التنوير (٢١) •

فالثقافة الوطنية خير ركيزة يقوم عليها الصمود أمام الغزو الصهيوني لروح الامة • وانها مسؤولية كل المثقفين العرب وكل المسلمين المستبشرين حماية وجدان الامة وثقافتها القومية بهذا الدرع الواقى وأمام هذا الغزو • واذا كان النضال الوطنى فى تاريخ الشعوب فى مد وجذر • وكان المد قد وصل الى حده الاقصى فى الصلح فان الجذر قد يبدأ من جديد اعتمادا على الثقافة القومية •

---

(٢١) انظر دارستنا : « هل يجوز شرعا الصلح مع بنى اسرائيل ؟ » فى اليسار الاسلامى ، ص ٩٦ — ١٢٧ ، القاهرة ، ١٩٨١ ، وايضا فى هذا





# هل يجوز شرعاً الصلح مع بنى إسرائيل؟

أولاً : مقدمة :

في هذا العصر الذى تعيش فيه أجيالنا افتترقت فيه الامة الى فرقتين : الاول يريد الصلح مع بنى اسرائيل والاعتراف بالدولة التى اقامها الصهاينة منهم ، والثانى يرفض الصلح معهم وعدم الاعتراف بدولتهم • ونحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر •

ونحن نحاول من جانبنا المساهمة فى حل هذا الخلاف الذى أضع وحدة الامة وذهب بشوكتها • نحاول ذلك من موقف شرعى خالص • مستنبط من رأى كتاب الله فى بنى اسرائيل دون الاعتماد على مصلحة فئة أو قوم دفاعاً عن نظام سياسى أو رفضاً لنظام آخر • وبالتالي يمكننا أن نعزم الامر ونحسم الخلاف دون تدخل الاهواء والاغراض والمصالح « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ، ويسلموا تسليماً » ( ٤ : ٦٥ ) . ومن موقف فقهى خالص لا شأن له بالجبهتين المتصارعتين ، فعسى الله أن يهديهما معا الى الحق ومصالح الامة • وتلك سنة الفقهاء ، حماة الشرع • والمدافعون عن مصالح المسلمين ، منذ تصديهم للغزوات الصليبية وندائهم للجهاد •

وهو أيضا حديث الامنة العربية التى تضع مقاديرها الآن على

أكفها ، والتي تمر بمرحلة حاسمة من تاريخها قد تشطرها شطرين الى الابد — لا قدر الله — وتكون أشبه بالامة الالمانية أو الكورية . في وقت مازالت فيه أطراف الامة في الفلبين جنوبا وأفغانستان شرعا معرضة للتآكل أو الانحسار • وقد تخبو الامة — لا قدر الله — ولا يقوم لها قائمة بعد ذلك اذا ما استشرى الداء في روح الامة . وتخلت عن الجهاد الذي هو فريضة على المسلمين ، على كل مسلم أن ينويه مرة في حياته كالحج تماما ان لم يكن أبدي وأهم (١) • فالحرمان الشريفان في مآمن ولكن المسجد الاقصى وأراضى المسلمين في فلسطين في خطر • والقرآن هو تراث الامة ، ومصدر فكرها . وأساس شرعها ، ومحرك جماهيرها ، ومحي قلوبها • وان لم يكن حتى الآن ملهم قادتها • ومرشد القائمين عليها ، والمسؤولين على ولاية أمورها •

وهو أيضا حديث مصر ، تلك التي ذكرها الله في القرآن والتي وصفها الحديث بأن جندها خير أجناد والارض ، وبأن شعبها في رباط الى يوم التيامة حتى لا تأثم مصر ، وهي كنز الاسلام ، وكعبة المسلمين ، وشقيقة العرب الكبرى ، ومفرق الشرق ، وحتى تتحمل مصر مسؤولياتها الاسلامية ورسالتها العربية ، وشخصيتها القومية ، وتبعاتها التاريخية (٢) •

---

(١) انظر مقالنا : مخاطر السلام ، قضايا عربية ، مارس ١٩٨٠ .

(٢) عمر بن محمد بن يوسف الكندي ، فضائل مصر ، تحقيق ابراهيم

الحدودي ، على محمد عمر ، محسنه وهبه ، القاهرة ١٩٧١ .

ويهمنا أولا توضيح الحقائق الآتية معنا لاي اشتباه أو التباس .

١ — ان قيل ان بنى اسرائيل الذين وصفهم الله في القرآن غير بنى اسرائيل في دولة اسرائيل . فقد اندثر الاوائل وناهوا في الارض ، والاواخر مجموعة من الهجرات الاوربية البيضاء في أوج المد الاستعماري الاوربي في القرن الماضي لا صلة لهم بالاوائل . واليهود الشرقيون عرب خلص تجمعهم وباقي الاعراب من مسلمين ومسيحين عادات العرب وتقاليدهم ولغتهم ودياناتهم الشعبية ، قلنا ان ذلك صحيح تاريخيا وعلميا لا جدال في ذلك . فكرة نقاء الشعب وبقائه في التاريخ واستمرار هويته فكرة عنصرية صرفة وهي احدى أشكال العنصرية الغربية الدفينة . ومع ذلك فان حجة اسرائيل الكبرى هي أنها سليل بنى اسرائيل ، العبرانيين القدماء ، وأن دولة اسرائيل حاليا هي تجميع لشتات بنى اسرائيل القدماء . وسواء كان ذلك الادعاء حقا أم باطلا فانه في كلتا الحالتين واقع سياسى ، يدعم دولة اسرائيل . وتربى اجيالها عليه ، وتستقطب الرأى العام حوله . وقد ضاعت أراضى المسلمين بسبب هذا الادعاء وعدم مقابله من جانب المسلمين بتوضيح زيفه وبطلانه وايضاح الحقائق وصياغة نظرية مقابلة ، وان كانت مازالت مطمورة في صدور المسلمين .

٢ — لا يعنى التوحيد بين بنى اسرائيل في القرآن ، واسرائيل الجاثمة على صدورنا في أرض فلسطين استمرارية في النسل ، وأن اسرائيل اليوم هي من لحم ودم بنى اسرائيل . فذاك ما ينفيه علماء الاجناس نظرا لتداخل الشعوب وتزاوجها . وبالرغم من انعزالية بنى اسرائيل التى تقترب من العنصرية والتى تجعلها أقرب الى الحرص

على بعض الخصائص الثابتة المتوارثة نفسيا واجتماعيا الا أن التماثل القائم بين بنى اسرائيل التي وصفها الله في القرآن واسرائيل الحالية هو تماثل في السلوك وفي المفاهيم وفي النظرة للعالم وفي رؤيتهم لباقي الشعوب وفي طريقتهم في التعامل معها • فهي وحدة معنوية وان لم تكن وحدة جنسية عرقية •

٣ — ان وصف القرآن لبنى اسرائيل يطابق سلوكهم اليوم وادعاهم بأنهم أبناء الله وأحبائه ، ، وأن الله دخل معهم في ميثاق أبدى ، يعطيهم كل شيء ولا يطلب منهم شيئا حتى الطاعة لم يطلبها منهم ، ووعدهم بالارض والنسل والغنم والنصر ، فهو رب الجنود ، وجيشهم جيش الله ، ولغيرهم الاستئصال والغرم والهزيمة والاستعباد • ثم ان سلوك بنى اسرائيل لم يتغير في التاريخ القديم أو الحديث وان تغيرت أساليبه وطرقه ، وهو ما تعتز به اسرائيل وما يؤديه سلوكها طبقا لوصف القرآن له • فالهوية هنا ليست تاريخية بل سلوكية وليست بيولوجية بل أخلاقية • وقد ينطبق على اسرائيل وعلى أى شعب يتسم بهذه الخصائص السلوكية والتي يشارك فيها أحيانا الغرب المسيحي كله بعنصريته وعنجهيته •

٤ — لا يعنى ذلك الوقوع فى أى دعوة للمعاداة للسامية باصدار أحكام عامة وشاملة على بنى اسرائيل ووصف خصائص ثابتة لهم بل يعنى حكما شرعيا طالما أن سلوك بنى اسرائيل قائم على ما هو عليه • لذلك جاءت معظم هذه الاوصاف فى السور والآيات المدنية عند تأسيس الدولة ووصف سلوك الجماعات والافراد كمواطنين فى الدولة حرصا على أمنها وسلامتها • ولا ينطبق الحكم على من يغير سلوكه وموقفه

كما فعل أنبياء بنى اسرائيل والمسيح وأنقياء اليهود مثل أهل الكهف ، وكل من يرفض ادعاءات بنى اسرائيل فى الاختيار الالهى مثل المصلحين اليهود وفى عصر التنوير ، ويكون جزاؤه القتل والتشريد والتعذيب منهم (٣) \* ونحن قادرون على الوقوف أمام علماء بنى اسرائيل ، الحجة بالحجة ، والبرهان بالبرهان ، معتمدين على كتبهم المتدسة وتراثهم الدينى وأبحاث علمائهم ونتائج دراساتهم \* ولكننا لم نشأ الاعتماد على ذلك هنا نظرا لاننا نكتب لجماهير الامة لاسلامية معتمدين على تراثها وكتابها الذى مازال لديهم مصدرا للفهم والتصديق \*

٥ — لا يعنى ذلك دعوة الى الحرب ، فذاك متروك لجيوش المسلمين ، وحكام العرب ، وقادة الامة \* انما الهدف هو الحرص على وعى الامة ، وعلى شرعية نظرتها للعالم ، وعدم تزييف وعينا القومى سواء فى الحاضر أو فى المستقبل \* ليست الخطورة فى أن تهزم الامة عسكريا ولكن الخطورة فى أن يضيع وعيها ، وأن تصيب الهزيمة روحها(٤) \* والعلماء ورثة الانبياء ، وأعوذ بالله من علم لا ينفع ، والساكت عن الحق شيطان أخرس \* مهمتنا مهمة فقهاء المسلمين فى الدفاع عن مصالح الامة ، والحرص على روحها ، والدفاع عن براءة وحيها \* فلسنا فقهاء السلطان ، أو فقهاء الحيض والنفاس(٥) \*

---

(٣) أنظر مقدمتنا وترجمتنا لسبينوزا : رسالة فى اللاهوت والسياسية ، الطبعة الثانية ، الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٧ .

(٤) أنظر مقالنا : اجهاض العقول ، الفكر المعاصر ، العدد الثانى ، القاهرة ١٩٨٠ . وأيضا الجزء الاول : الدين والثقافة الوطنية .

(٥) الامام الخمينى : جهاد النفس أو الجهاد الاكبر ، اعداد وتقديم د. حسن حنفى . القاهرة ١٩٨٠ .

مهمتنا التصدي لقضايا الامة المصيرية وعلى رأسها الاستعمار والصهيونية والتخلف الاجتماعى والقهر السياسى .

٦ - مهمتنا هو ايجاد الصورة الاخرى لبنى اسرائيل بعد أن حاولت أجهزة الاعلام تغييرها . وأصبح بنو اسرائيل نموذج التحديث لمجتمعاتنا فى زرعهم للصحارى ، وتشبيدهم للمستعمرات والمدن الجديدة ، وتأسيسهم للصناعات ، وعلمهم وثقافتهم وخبرتهم وقدرتهم وعبقريتهم . بل ويتعدى الامر الى وصف شرفهم وأمانتهم واخلاصهم ووفائهم وصدقهم وكرمهم وشجاعتهم وعفتهم . وحاول البعض مننا حتى تغيير صورة اليهودى فى التاريخ بأنه لم يعد ذلك الاحدب الظهر ، المتوس الانف ، الاخنف الصوت ، الاعمش العين ، المرابى العجوز ، شيلوك الادباء ، بل انسان معتدل القامة ، حسن المظهر والصوت ، انسان مثل باقى البشر ، دمث الاخلاق ، يعرف معنى الحب والوفاء . واستمرت أجهزة الاعلام فى مدح القدس الموحدة والخدمات الجديدة فى القدس الشرقية من نظافة وطرق ومياه وكهرباء فى حين كان العرب يتبولون على حوائط القدس القديمة ! فى مواجهة هذا الاعلام تهدف هذه الدراسة الى اعطاء صورة بنى اسرائيل فى القرآن الكريم حتى تعرف الامة أى الصورتين أصدق - والمحق أحق أن يتبع .

٧ - ولم استعمل الحديث الشريف تأييدا للقرآن حتى لا يعترض أحد الادعاء برواية الحديث ، وسنده ، ودرجة صحته ، وتضيق القضية فى مباحكات العننة ! هذا بالاضافة الى أنه لا يوجد شئ فى الحديث لا يوجد أصله فى القرآن . والاعتماد على القرآن وحده هو الرجوع الى الاصل أولا وهو أرعى وأشمل وأكمل . أو أن يفسر أحد

وقائع التاريخ النبوى وأقواله بصراعه مع اليهود وتحويل الاحكام العامة الى ظروف ومناسبات طارئة خاضعة لمجريات الاحداث وتقلبات الزمن • كما لم أشأ الاشارة الى وقائع التاريخ سواء في حياة النبي أو الصحابة أو فيما بعد • فالوقائع لابد أن تكون شاملة غير منتقاه سلفا بناء على غاية المؤرخ وهدفه • كما أنها تخضع للتفسير والتأويل • وقد يأتي من هو أعلم منا بالتاريخ وبالتالي تصعب مجاراته في كثير مما يختار • وكثيرا ما يختار المؤرخ وقائع دون أخرى أو يؤول الوقائع على هواه • والتاريخ في نهاية الامر لا يكون حكما شرعيا ، فلا يمكن الانتقال من الفرع الى الاصل ، أو من المواتع الى الفكر • والتاريخ أيضا مد وجزر وان كان اليهود قد عرفوا عصرهم الذهبي في الاندلس أيام الحكم العربي الاسلامى ولم يعانون من الاضطهاد الا في الغرب من مسيحيي الغرب وان كان العرب الآن هم الذين يدفعون الثمن •

٨ — ولا يهمننا في تفسير الآيات القرآنية الرجوع الى الوقائع التاريخية المحددة والتي كانت وراء أسباب النزول • فذلك يهدف الى ضبط معنى الآيات • ولكن الذي يهمننا هو تقييم هذه المعانى والاحكام والاصناف مادامت الوقائع متكررة على ما يحدث في القياس عند علماء أصول الفقه • مهمتنا قراءة أحوال المسلمين المعاصرة في النصوص ورؤيتهم مآسيهم فيها • وليس صدق التفسير في نهاية الامر هــو مطابقة مضمون النص للواقع التاريخي المحدد في الحوادث التي نشأت في عهد الرسول ، وقت نزول القرآن ، بل في الواقع الحي المتكرر والدائم في حياة المسلمين • وبالتالي ، تجد الامة نفسها في القرآن ، ويكون القرآن معبرا عن وضع الامة في التاريخ • ليس المطلوب إذن أن يقول المتعاملون ان هذه الآية في وصف بنى اسرائيل



لا تعنى ما أرمى اليه بل تعنى شيئاً آخر تاريخياً محددًا فان عزل النص عن واقع المسلمين وحبس طاقاته الكامنة التى يمكن أن يولدها فى نفوسهم لهو خوف وجبن وتميع وحرص على الدنيا يأبى فقهاء المسلمين من الوقوع فيه •

٩ — فان قيل : ان مقاومة الصهيونية والصراع مع اسرائيل أقوى وأعتى من أن تنتم المواجهة معه عن طريق بيان أوصاف بنى اسرائيل فى القرآن حتى بعد تعميمها وإطالتها على سلوك اسرائيل ، قادة وشعبا • فالصهيونية حركة سياسية عنصرية توسعية استيطانية قامت فى القرن الماضى وقت نشأة الحركات القومية والنزعات الرومانسية وبالتالي لا يمكن مقاومتها الا بحركات سياسية مشابهة ، حركات تحرر ومناهضة للاستعمار ، وكما قامت على العدوان فانها لا ترد الا بالقوة • وهذا صحيح علميا وتاريخيا أمام مجامع العلماء والرأى العام المستنير • لا ينكره الا مكابر أو صاحب هوى • ولكن الذى يهمنى هو المحرص على الوعى القومى لشعوبنا الاسلامية ، ونقوية مناعتها ضد تسرب الصهيونية الى أعماقها بعد أن ظهوروا فى أجهزة الاعلام على أنهم أولاد العجم ، الاصدقاء الذين يفون بوعودهم ، وبعد أن أصبحت عند البعض منا بعد أن تم تزييف وغيهم القومى ، نموذجا للتحديث فى زراعة الصحراء ، وصناعة الماس ، وتربية الكتاكيت • أما أسباب قوتهم الاخرى من عقائد وتضحية وتجنيد للجماهير فهى غائبة عنا • مهمتنا اذن شحذ وعينا القومى واستعمال الوعى كحصن حصين لنا ضد مخاطر الصهيونية والاعتراف بها والتعامل معها ، وغض النظر عن أطماعها بدعوى ضعف الحيلة والمهادنة المؤقتة •

١٠ — وهذا نداء الى علماء الامة الاسلامية وفقهائها للتكاتف

والاتحاد من أجل الوصول الى حكم شرعى واحد • فقد أخطىء وأصيب • فان أخطأت فأرجو تصويبي ، وان أصبت فأرجو تكاتف الجميع من أجل حماية وعى الامة والحرص على روحها وتاريخها ووحيتها • فهى مسئولية أمام الله وأمام الناس وأمام التاريخ ، وقضية ليست حكرا لاحد لانه موضوع يعم به البلوى ويمس كل مسام ، وتنتشر بسببه الملايين • وحتى لا تأتى أجيال بعدنا . تكون ضحية للصهيونية وتوسعها وأطماعها وانتشارها كنموذج للتحديث لمجتمعاتنا . ونتحول نحن الى حضارات متحفية فى تاريخ البشرية ثم نتساءل : أين كان علماء المسلمين وفقهاء الامة ؟

### ثانيا : الكفر بالحق :

يتناول القرآن بنى اسرائيل ، وهو اللقب الغالب كما يتناول اليهود وهو الاستعمال الاثلى كما يشير اليهم ضمن أهل الكتاب . ويصفهم بصفات دائمة أقرب الى الطبيعة والجبلة بعد أن تكررت أفعال الكفر والنفاق والعصيان •

وأول صفة لبنى اسرائيل هو الكفر بالحق وتجاهله وعدم الاعتراف به والتسليم والاذعان له • فهم شعب لا يعترفون بأية حقوق . وبالتالي لا يسلمون بأية حقوق • ومن ثم يكون انتظار اسرائيل أن تسلم فى يوم من الايام بحقوق شعب فلسطين هو انتظار سيطول الى يوم القيامة •

فأول مظاهر الكفر بالحق هو الكفر بأنبيائهم وعدم تصديقهم لهم

مع أن الحق الذي يأتي به الانبياء ، حتى مطاق من الله ، ليدعو إلى  
التدقيق المباشر والاذعان التام .

فهو أولا لا يصدقون أنبياءهم ولا يؤمنون بهم « ولو آمن أهل  
الكتاب لكان خيرا لهم . منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون » ( ٣ :  
١١٠ ) . عصوا كل الانبياء نوح وابراهيم وموسى وعيسى وصالحا .  
فلقد أمرهم صالح بترك الناقة دون عقرها ولكنهم عثروها . ( ١١ :  
٦٤ — ٦٥ ) ويركز القرآن على عصيانهم الانبياء الاربعة الكبار .

لقد أذهرهم نوح قبل أن يحل بهم العذاب ( ٧١ : ١ — ٢٨ ) .  
وأمرهم بعبادة الله وتقواه وطاعته من أجل أن يغفر الله لهم ويطيئ  
عمرهم ولكنهم لم يسمعوا دعواه . بل كلما دعاهم نفروا منه وهربوا  
ووضعوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم واحصوا ، واستكبروا .  
دعاهم نوح سرا وعلائية ، ووعدهم بكل النعم المادية والمعنوية .  
الاموال والبنين والجنات التي تجري من تحتها الانهار . كما وعدهم  
المغفرة . دعاهم نوح الى النظر في حال الدنيا وما فيها من تغير وتطور  
ولكنهم عصوا ، واتبعوا الباطل ، ومكروا وتشبهوا بالهتهم .  
وخذعوا الناس وظلموهم . وكان عقابهم العرق بعد أن دعا نوح الله  
ليدمرهم كلية واستئصالهم من على وجه الارض . حتى امرأة نوح  
وامرأة لوط قد خانتا وكان الانبياء وحدهم من بنى اسرائيل هم  
الانقياء . « كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون  
وازدجر . فدعى ربه انى مغلوب فانتصر . ففتحنا أبواب السماء بماء  
منهمر . وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر » ( ٥٤ :  
٩ — ١٢ ) .

كذب بنو اسرائيل نوحا ( ٥٠ : ١٢ ) . وقالوا عنه أنه مجنون  
فنصره الله عليهم . قوم نوح قوم فاستون ( ٥١ : ٤٦ ) ، وقوم سوء  
« انهم كانوا قوم سوء » ( ٢١ : ٧٧ ) . لتد اتهموه بأن به جنة وبأنه  
بشر مثلهم يريد أن يتفضل عليهم ولو شاء الله لانزل ملائكة ( ٢٣ :  
٢٣ — ٢٨ ) ولكذبهم قوم نوح أيضا لانهم لا يصدقون بشيء . فالنبي  
لا يتبعه الا راذل من القوم وبنو اسرائيل يستكبرون ( ١١ : ٢٥ — ٤٩ ) .

وقد اعتبروا أنفسهم من نسل ابراهيم ، وأرادوا أن تكون النبوة  
في ذريته وكأن النبوة ميراث خاص بهم . « واذا ابتلى ابراهيم ربه  
بكلمات فأتهمن قال انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لا ينال  
عبدى الظالمين » ( ٢ : ١٢٤ ) . فالنسل هو العمل الصالح وليس الدم  
أو الوراثة . و ابراهيم هو أبر الانبياء وأول المسلمين . وكل من  
ينتسب اليه لا يكون يهوديا ولا نصرانيا بل حنيفا مسلما . « وقالوا  
كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من  
المشركين » ( ٢ : ١٣٥ ) . بل ان أنبياء بنى اسرائيل كلهم مسلمون  
لانهم يدعون الى عبادة الله وحده والاخلاص لطاعته والى التقوى  
والعمل الصالح « أم تتولون ان ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب  
والاسباط كانوا هودا أو نصارى قل أنتم أعلم أم الله . ومن أظلم  
ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون » ( ٢ : ١٤٠ ) .  
فالجدل حول ابراهيم جدل عقيم لانه سابق على التوراة والانجيل .  
فابراهيم هو أول المسلمين الذى استطاع أن يستدل على التوحيد بعقله  
ويصل اليه بفطرته « يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت  
التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون . ها أنتم هؤلاء حاججتم

ففيما لكم به علم فلم تحتاجون فيما ليس لكم به علم . والله يعلم  
وأنتم لا تعلمون ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن حنيفا مسلما .  
وما كان من المشركين . ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه . وهذا  
النبي والذين آمنوا . والله ولي المؤمنين » ( ٣ : ٦٥ — ٦٨ ) . ان  
ايمان ابراهيم هو الذى يعطى الامن والاطمئنان فى حين أن جدل  
قومه له لا يدل الا على الخوف الدفين . « وحاجه قومهم قال اتحاجونى  
فى الله وقد هدان ، ولا أخاف ما تشركون به الا أن يثاء ربي ،  
وسمع ربي كل شىء علما أفلا تتذكرون . وكيف أخاف ما أشركتم  
ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا . فأى  
الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون » ( ٦ : ٨٠ — ٨١ ) .

وبالرغم من أن موسى قد أنجاهم من عذاب فرعون وطغيانه  
الا أنهم عصوه وطالبوه بعبادة أصنام مشابهة لأصنام الشعوب  
المجاورة . « وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون  
على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا آلهة كما لهم آلهة قال انكم  
قوما تجهلون . ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون .  
قالوا أغير الله أبغيكم الها وهو فضلكم على العالمين » ( ٧ : ١٣٨ —  
١٤٠ ) . وكانت عبادتهم للعجل فى غياب موسى قمة عصيانهم وعدم  
ادراكهم للتوحيد . « واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا له  
خوار . ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا » ( ٧ : ١٤٨ ) .  
يستضعفون الانبياء ، ويقوون عليهم ، ولا يرهبون الله . « ولما رجع  
موسى الى قومهم غضبان أسفا قال بئسما خلفتمونى من بعدى أعجلتم  
أمر ربكم . وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه قال ابن أم  
ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلونى فلا تشمت بي الأعداء

ولا تجلبنى مع القوم الظالمين \* \* \* ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا ، وكذلك نجزى المفترين « ( ٧ : ١٥٠ - ١٥٢ ) \* وأن ما فعل موسى لقومه لانجائهم من فرعون لم يفعله نبي لقومه ( ٧٩ : ١٥ - ٢٦ ) \* ومع ذلك عصوه وآذوه \* « واذا قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذوننى وقد تعلمون انى رسول الله اليكم ، فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ، والله لا يهدى القوم الفاسقين « ( ٦١ : ٥ ) \*

وان صدقوا أنبياءهم فانهم لا يصدقون من يأتون بعدهم مثل عيسى ومحمد \* « واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله ، قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم \* قل فلم تقتلوا أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين « ( ٢ : ٩١ ) \* فالايمان بالانبياء واحد لا يتجزأ ، ومن يؤمن بالبعض دون البعض الآخر فان ذلك يطعن فى ايمانه الاول \* لذلك يقول المسلمون « لا نفرق بين أحد من رسله « ( ٢ : ٢٨٥ ) \* هذا الايمان بالانا والكفر بالآخر يكشف عن أنانية وعنصرية تجعل بنى اسرائيل غير قادرين على الاعتراف بالآخرين وحقوقهم \*

ويكفرون أيضا برسالة المسيح وبما أنزل الله عليه من كتاب \* « ومعدنا لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم \* وجئناكم بأية من ربكم ، فاتقوا الله وأطيعون ( ٣ : ٥٠ ) \* وقد أتت رسالة المسيح لصالحهم تخفيفا للتوراة وليحل لهم بعض ما حرم عليهم \* ومع ذلك كفروا به ولم يصدقوا للحق لانهم ليسوا أهل حق ، ولا يعترفون بحقوق أحد سواهم \* « وقفينا على آثارهم بعيسى بن

مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة ، وآتيناها الانجيل فيه هـ : ي  
ونور ، ومصدقا لما بين يديه من التوراة ، وهدى وموعظة للمتقين «  
( ٥ : ٤٦ ) \* وهم يكفرون بعيسى بل ويفترون عليه وعلى أمه مريم \*  
وقد أتى عيسى مصدقا لما بين أيديهم من التوراة \* « وبكفرهم وقولهم  
على مريم بهتاننا عظيما \* وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم  
رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم \* وان الذين اختلفوا  
فيه لفي شك منه \* ما لهم به من علم الا اتباع الظن \* وما قتلوه  
يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما \* وان من أهل الكتاب  
الا ليؤمنن به قبل موته ويؤمنن بالقيامة يكون عليهم شهيدا « ( ٤ : ١٥٦ —  
١٥٩ ) \* لم يصدقوا بعيسى وبشارته بالرغم من البينات التي أتى  
بها واتهموه بالسحر \* « واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل انى  
رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول  
يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين \*  
ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام :  
والله لا يهدى القوم الظالمين \* يريدون ليطغثوا نور الله بأفواههم  
والله متم نوره ولو كره الكافرون \* هو الذى أرسله رسوله بالهدى  
ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ( ٦١ : ٦ — ٩ ) \*  
لقد خاسموا عيسى وجادلوه وتكبروا عليه \* وقد أتى ليبين لهم  
ما كانوا فيه يختلفون \*

وهم يكفرون بمحمد وقد أتى مصدقا لما بين أيديهم من التوراة  
والانجيل « ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق  
من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون «  
( ٢ : ١٠١ ) \* مع أن الوحي الذى نزل لهم على محمد والذى يصدق

ما معهم من وحى نزل على موسى أوجب للتصديق اذا كان الايمان لديهم ايمانا شاملا كاملا دون تفرقة بين الرسل • ولكن بنى اسرائيل اعتبرت انزال الوحي عليهم وارسل الانبياء لهم ميزة خاصة بهم يتفردون بها على غيرهم من الشعوب • فهم أول الكافرين بالوحي الاسلامي وبالقرآن بالرغم من تصديقه لما معهم من كتب سماوية • « وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ، ولا تكونوا أول كافر به : ولا تشكروا بآياتي ثمنا قليلا وايأى فاتقون » ( ٢ : ٤١ ) • فايماهم بالوحي ايمان أنانى خالص • يصدقون ما أنزل اليهم ويكفرون بما أنزل الى غيرهم • « نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل » ( ٣ : ٣ ) • وعدم الايمان بالوحي الاسلامي ليس له عذر ويستوجب اللعنة ومسح البشر لان الايمان بآخر الرسائل نتيجة طبيعية للايمان بأوائلها • « يأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أه نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت ، وكان أمر الله مفعولا » ( ٤ : ٤٧ ) •

وقد أتت رسالات الانبياء على فترات حتى يتعود بنو اسرائيل على الايمان درجة فدرجة وحتى لا يكون لهم عذر في النهاية • « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسول يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير ، فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير » ( ٥ : ١٩ ) ومع ذلك فانهم يستعجبون من ذلك ، ويتناسون الوحي السابق • « وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا الله لعلمكم ترحمون • أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكننا أهدى منهم ••• » ( ٦ : ١٥٦ — ١٥٧ ) •



وبالرغم مما يبدو بين اليهود والنصارى من تحالف واتحاد ضد المسلمين الا أنهم فيما بينهم يناهضون بعضهم بعضا . وكل منهم لا يعترف بالآخر ، ويكفره ولا يؤمن بما انزل الله له . « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ، وهم يتلون الكتاب ، كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم . قاله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » ( ٢ : ١١٣ ) . اجتمعوا معا على عداوة المسلمين ونهب ثرواتهم والاستيلاء على اراضيهم ، وضياع همتهم ، والاتضاء على وعيهم مع أن المسلمين وحدهم هم الذين يعترفون بهم . ويسلمون بما أنزل الله لهم . كل فريق منهم أنانى لا يحب الا نفسه ، وبالتالي استحالته الوحدة الداخلية بينهما . كل منهم لا يرى أبعد من حدود أنف . ولا يقدر على الخروج من جنسه وعنصره وجاده ولونه . ومن ثم وقعت الحروب بينهما ، ورأى كل فريق بقاءه في استئصال الفريق الآخر ، وهذا هو أحد الجذور التاريخية للعنصرية الغربية المتمثلة في الاستعمار والصهيونية .

ولا تنفع معهم البيانات والآيات والبراهين لان كفرهم بالحق كفر جبلى طبيعى ملى . « سل بنى اسرائيل كم آتيناكم من آية بينة ، ومن يبذل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب » ( ٢ : ٢١١ ) .

وبالرغم من كل ما لديهم من آيات يشاهدونها فانهم يكفرون بها وبما يثبتها . « يا أهل الكتاب لم تكفرون بلآيات الله وأنتم تشهدون » ( ٣ : ٧٠ ) . والذي يكفر بالآية فانه يكفر بكل شيء ويكون كالأعمى

وأضل سبيلا لانه قضى على وسائل المعرفة لديه فيعيش كالحَيوان  
الاعجم • « ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء  
بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » ( ٣ : ١١٢ ) • والعجيب  
أن الكفر بآيات الله لا يمكن انكاره لان الله شاهد على كل شيء •  
« قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله ، والله شهيد على  
ما تعملون » ( ٣ : ٩٨ ) •

• وبالرغم من معرفتهم بالوحي معرفة حسية الا أنهم يكفرون به •  
« والذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم • الذين خسروا  
أنفسهم فهم لا يؤمنون » ( ٦ : ٢٠ ) • وهم بكفرهم يخسرون أنفسهم  
لان الانسان لا يستطيع أن يعيش الا مدركا للحق متمثلا له •

• وهم يتركون ما ينزل على الانبياء ويأخذون ما تتلوه الشياطين •  
أى أنهم يتركون الحق ويأخذون الباطل • وبالتالي فهم غير قادرين  
على الاختيار بينهما بل تدفعهم طبيعتهم الى ترك الحق وأخذ الباطل •  
« وانبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان ولكن  
الشياطين كفروا ، يعلمون الناس السحر ، وما أنزل على الملكين ببابل  
هاروت وماروت • وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتننة  
فلا تكفر » ( ٢ : ١٠٢ ) يستبدلون بالوحي السحر ، وبالحق الاسطورة •  
فالانبياء لم تأمر بما تفعله الصهيونية حاليا •

ويضر بنى اسرائيل أنفسهم بالكفر وتركهم رسالات الانبياء  
وأخذهم تعاليم الشياطين • فيتعلمون ما يفرقون به بين المرء وزوجه ،  
وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله ، ويتعلمون ما يضرهم  
ولا ينفعهم ( ٢ : ١٠٢ ) • وبالتالي فانهم سبب عداة الشعوب لهم •

وذلك ضرر يلحق بهم هم سببها . لانهم لا يتعلمون ولا يسلمون  
الا بما يضرهم .

وهم يؤمنون بالجبت والطاغوت أى بالظلم والعدوان .  
ويروجون للكفر ضد الايمان . « ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من  
الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ، ويقولون للذين كفرا هؤلاء أهدي  
من الذين آمنوا سبيلا . أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعنه الله فلن  
يجد له نصيرا . أم لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا  
( ٤ : ٥١ - ٥٣ ) .

### ثالثا : عصيان الحق :

ويظهر الكفر بالحق عمليا في مظاهر عصيانه ومخالفته ومنها :

١ - الجهل التام بالحق واستبدال الباطل به « وقالت اليهود  
عزيز ابن الله . . . ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا  
من قبل . . . » ( ٩ : ٣٠ ) . ومن ثم يستحيل اقناعهم بالحق ، والحق  
عندهم لا يخطر على بال . بل ان مهمتهم هو وضع الباطل في مقابل  
الحق حتى يشوشون به عليه . لن يجدى معهم اقناع أو افهام . بل  
ان مهمتهم اطفاء نور الله ومحو الحق « يريدون أن يطفئوا نور الله  
بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » ( ٩ : ٣٢ ) .

٢ - فان عرفوا الحق فانهم يكتُمونه ولا يعلنونه للناس وكأن  
معرفة الحق جريمة لا بد من التستر عليها لان الاعتراف بالحق  
يدمغ كفرهم ، ويكشف نفاقهم ، ويدحض سلوكهم ، ويبين للناس

عصيانهم • « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » ( ٢ : ١٤٦ ) • فهم يعرفون الحق معرفة عيانية تقوم على الحس والمشاهدة ، طبقا لطبيعتهم المادية • ومع ذلك فإنهم يتكتمون عليه ، ومن يكتم الشهادة فإنه آثم قلبه • « وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم ، وما الله بغافل عما يعملون » ( ٢ : ١٤٤ ) • فهم يعلمون الحق ولكن لا يعترفون به ولا يظهرونه حتى لا تدحض أعمالهم ، وتظهر عورات سلوكهم • لذلك أتى القرآن ليكشف عما كانوا يخفونه • « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير • قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » ( ٥ : ١٥ ) • ويقومون بذلك عمدا وكتابة اخفاء للقراطيس • « قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلون قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا ، وعلمتم ما لم تعلمون أنتم ، ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون » ( ٦٠ : ٩١ ) • ومن ثم يبدلون كلام الله • « فبدل الذين ظلموا منهم قسولا غير الذي قيل لهم » ( ٧ : ١٦٢ ) •

٣ — فاذا عرفوا الحق وأعلنوه فإنهم يكذبون على الرسل ، ويزيفون رسالاتهم ، ويكذبون على الله ، ويزيفون كلامه •

٤ — فاذا عرفوا الحق وأعلنوه وزيفوه فإنهم بذلك يلبسون الحق بالباطل والباطل بالحق حتى يضيع الحق في غمرة الباطل • « ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون » ( ٢ : ٤٢ ) • ويكون الخلاف بينهم وبين باقى المشعوب هو

خلاف على الحق وليس على المساحة ويضيع الوقت في البحث عنه وتخليصه من الباطل • « يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل . وتكتمون الحق وأنتم تعلمون » ( ٣ : ٧١ ) •

٥ — فاذا أظهروا للناس بعض الحق فانهم يحرفونه حتى يتم التمويه على الناس يحرفون نصوصه ، ونطقه ، ومعانيه « وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » ( ٣ : ٧٨ ) • يحرفون الكلم عن موضعه عمدا على غير معناه • « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويقولون سمعنا وعصينا ، واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ، ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وأنظرنا لكان خيرا لهم وأقوم • ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا » ( ٤ : ٤٦ ) • يسيئون نطق الكتاب حتى يفيد غير معانيه « يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا أنظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم » ( ٢ : ١٠٤ ) • ويكون التحريف كتابة باليد ، « أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عتلوه وهم يعلمون » ( ٢ : ٥٧ ) • يكتبون بأيديهم ويقولون من عند الله ، « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت بأيديهم ، وويل لهم مما يكسبون » ( ٢ : ٧٩ ) •

٦ — فاذا أظهروا الحق فانهم يؤمنون ببعضه ويكفرون

بالبعض الآخر حتى لا تكتمل الحقائق وتظهر كلها أمام الناس • وذكر الحقائق الى المنتصف هو نوع من الكذب كمثنا المشهور فيمن قول « ولا تتربوا الصلاة » وحتى يختاروا من الكتاب ما يتفق مع هواهم ، ويرفضون ما يختلف معه « أفنتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » ( ٢ : ٥٨ ) •

ويحتجون بالاعذار لتبرير الكفر • ومن هذه الاعذار الغباء • وعمى القلب ، وهو عذر أقبح من ذنب • فأى انسان يعترف بظلام قلبه فانه ينكر انسانيته • « وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون » ( ٢ : ٨٨ ) • فهم يعترفون بصدأ قلوبهم وبعدم قدرتهم على فهم الحق والاذعان اليه وهو في الحقيقة تراكم لعصيانهم • « وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلاً » ( ٤ : ١٥٥ ) • والحقيقة أن قسوة قلوبهم هي السبب « وجعلنا قلوبهم قاسية » ( ٥ : ١٣ ) لانهم لا يشعرون بغيرهم من البشر ، ولا يعترفون بوجودهم ، ولا يعرفون معنى الانسان • « ثم قسوت قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة • وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار ، وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء : وان منها لما يهبط من خشية الله ، وما الله بغافل عما تعملون » ( ٢ : ٧٤ ) •

وأحياناً يحاجون المؤمنين ويجادلونهم من أجل نصره الباطل على الحق وما ينفع معهم جدال « فان حاجوك فقل أسأمت وجهي لله ومن اتبعن ، وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين أسلمتم •

فان أسلموا فقد اهتدوا • وان تولوا فانما عليك البلاغ .  
والله بصير بالعباد » • ( ٣ : ٢٠ ) ، فالوسيلة الوحيدة للمصالحة  
هو الاسلام لله والتوحيد للواحد ، وتمثل ما يتطلبه التوحيد  
من تخل عن العنصرية والعدوانية ، وما يتطلبه من العمل الصالح ،  
وما يقتضيه من مساواة بين الشعوب •

ويرفضون الحق حكما بينهم وبين الناس . لانهم لا يعتبرون  
الحق مقياسا لسلوكهم • « ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا  
من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق  
منهم وهم معرضون » ( ٣ : ٢٣ ) • وبالتالي لا تنفع معهم  
محاكم دولية أو لجان تحكيم أو وساطة ، ولا تفلح معهم  
مفاوضات أو اقناع أو دعوة لهم للاعتراف بالحق أو الاذعان  
له • « قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة  
والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل  
اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين »  
( ٥ : ٦٨ ) • ولا تعامل معهم الا بالتحكيم ، تحكيم كتاب الله  
أو الاعراض عنهم « فان جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم .  
وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم  
بالتوسط ، ان الله يحب المقسطين • وكيف يحكمونك ، وعندهم  
التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك  
بالمؤمنين ••••• ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون »  
( ٥ : ٤٢ - ٤٤ ) •

وهم سيئو النية كثيرو السؤال ، ليس من أجل المعرفة بل

من أجل التلكؤ والتباطؤ في تنفيذ الاوامر الالهية • لا يدعون  
للامر الالهي لانه الحق بل يلجؤون الى اللجاجة والتلكع • ويتضح  
ذلك من قصتهم مع موسى وذبح البقرة • « واذ قال موسى لقومه  
ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة • قالوا : أنتخذنا هزوا ؟  
قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين • قال ادع لنا ربك  
يبين لنا ما هي ؟ قال أنه يقول أنها بقرة لا فارض ولا بكر •  
عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون • قالوا ادع لنا ربك يبين لنا  
ما لونها ؟ قال أنه يقول انها بقرة صفراء فاقح لونها تسر  
الناظرين • قال ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابهه  
علينا وانا ان شاء الله لمهندون • قال أنه يقول انها بقرة  
لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث مسامة لا شوية فيها •  
قالوا الآن جئت بالحق ، فذبحوها وما كادوا يفعلون » ( ٢ : ٦٧ —  
٧١ ) • فيسألون عن البقرة أولا فاذا ما تحدد عمرها يسألون  
عن لونها • فاذا ما أجيب عنه بطريقة واضحة سئل عن ماهيتها  
حتى تصعب الاجابة • فأجيب عن الماهية بوظيفتها أى بطريقة  
حسية عملية مرئية حتى لا يكون لديهم حجة • وهو بالضبط  
موقف المفاوض الاسرائيلي الذي يكثر من السؤال ويتمحك في  
الحق وهو يعلمه ، حتى يضيع جوهر الاثيـاء ويقع الجميع في  
مناهاة لا مخرج منها •

وقد نزلت التوراة للحكم بها • « أنا أنزلنا التوراة فيها  
هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ،  
والربانيون والاحبار بما أستحفظوا من كتاب الله وكانوا  
عليه شهداء • فلا تخشوا الناس واخشون + » ( ٥ : ٤٤ ) •



وقد كانت العقوبات لديهم للردع حتى يتعودوا على العدالة المطلقة والقصاص من النفس • « وكتبنا عليهم أن النفس بالنفس، والعين بالعين ، والانف بالانف ، والاذن بالاذن ، والسن بالسن ، والجروح قصاص • فمن تصدق به فهو كفارة له • ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » ( ٥ : ٤٥ ) • « ولو أنهم أتموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم • منهم أمة مقتصدة ، وكثير منهم ساء ما يعملون » ( ٥ : ٦٦ ) •

والحق واحد ولكنهم يختلفون فيه طبقا لمشاربهم وآراءهم، ونظرا لتضارب أهوائهم وتعارض مصالحهم • فضاعت وحدة الحق ، وتحولوا الى شيع متنافرة • « ان الدين عند الله الاسلام • ما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم • ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب » ( ٣ : ١٩ ) • والطبيعي أن الانسان مادام قد علم الحق فانه لايقع الاختلاف حوله الا أن بنى اسرائيل علمت الحق بعد أن أعطاهم الله اياه ، ولكنهم اختلفوا فيه نظرا لتضارب أهوائهم ، واختلاف مشاربهم • « ولقد بوأنا اسرائيل مبواً صدق ورزقتاهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم • ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » ( ١٠ : ٩٣ ) ، وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم • ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لتضى بينهم ، ان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب » ( ٤٢ : ١٤ ) • « ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه • ولولا كلمة سبقت من ربك

لقضى بينهم وانهم لفي شك منه مريب » ( ٤١ : ٤٥ ) • فعلى الرزق والمادة والنعم يتفقدون • وعلى العالم والحق يختلفون • « ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكمة والنبوة • ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين • وآتيناهم بينات من الامر • فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم • ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » ( ٤٥ : ١٦ - ١٧ ) • وقد اتاهم القرآن ليتضى على خلافهم • ويعودون الى وحدتهم من خلال وحدة الحق • « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة • رسول من الله يتلو صحفا مطهرة • فيها كتب قيمة • وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة • وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة » ( ٩٨ : ١ - ٥ ) • ثم تحول هذا الخلاف الى عداوة وايقاظ لنار الحرب والعدوان • « وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة • كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله • ويسعون في الارض فسادا • والله لا يحب المفسدين • ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم » ( ٥ : ٦٥ ) • وعدوان اليهود الغربيين على اليهود الشرقيين واحتتارهم لهم معروف ومشهود • ويؤكد ذلك أيضا المجتمع العسكري الاسرائيلي وقيامه على الحرب ومكانة المؤسسة العسكرية فيه •

فاذا ما آمنوا بالحق بعد كل هذه المحاولات لطمسه وضياعه

وايهام الناس بعكسه وهو الباطل فان ايمانهم يتصف بالآتى :

١ — هو ايمان وقتى لا يدوم لهم لانهم ينوون الكفر ويضمرون الغدر • « وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون » ( ٧٢ : ٣ ) •

٢ — هو ايمان تنقصه الجدية ؛ ويتخذونه مجرد لعبا رهزوا ؛ يطابون الايمان فاذا ما جاءهم ليؤمنوا به تراجعوا لانهم لا يطيقون الايمان • ولا يستطيعون مواجهة الحق أو الثبات عليه • « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » ( ٢ : ٨٩ ) •

٣ — ومجتمعهم مجتمع مغلق ، لا يثقون الا به ، ولا يكسرون حصاره • فاليهودى لا يكون يهوديا الا اذا كان يهوديا عن يمينه ، ويهوديا عن يساره ، ويهوديا أمامه ؛ ويهوديا خلفه • « ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم » ( ٣ : ٧٣ ) • فهم ذو شخصيتين • شخصية علنية مع غيرهم وهى شخصية مزيفة ، وشخصية سرية مع أنفسهم وهى الشخصية الحقيقية • « واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون • أولا يعلمون أن الله ما يسرون وما يعلنون » ( ٢ : ٧٦ — ٧٧ ) •

٤ — وهو ايمان يقوم على الهوى والمصلحة وليس على الاقتناع والتصديق • « أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى

« يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ، ولا تقولوا على الله الا الحق \* \* » .  
( ٤ : ١٧١ ) \* فالغلوا في الدين لا يدل على زيادة الايمان بل يدل  
على الكفر الدفين والتستر عليه بالايمان \* « قل يا أهل الكتاب لا تغلوا  
في دينكم غير الحق ، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل .  
وأضلوا كثيرا ، وضلوا عن سواء السبيل السبيل » ( ٥ : ٧٧ ) \*

وهم في نهاية الامر لا يفهمون ايمانهم ، ولا يعقلون كتابهم ،  
 ويفصلون مضمونه عن عملهم ، وتكون معرفة الحق النظرى في  
جانب والسلوك العملى المخالف له في جانب آخر . ويكونون  
كالحمار يحمل أسفارا \* « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها  
كمثل الحمار يحمل أسفارا ، بئس مثل القوم الذين كذبوا  
بآيات الله ، والله لا يهدى القوم الظالمين » ( ٦٢ : ٥ ) أو على  
أكثر تقدير يسقطون من أنفسهم على الكتاب ، ويتمنون ما يريدونه  
منه \* « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أمانى وان هم  
ألا يظنون » ( ٢ : ٧٨ ) \*

وهم منافقون ، يؤمنون بأفواههم وليس بتلوبهم « يأبها الرسول  
لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم  
ولم تؤمن قلوبهم » ( ٥ : ٤١ ) \* ينافقون حتى يخدعون المؤمنين \*  
« يقولون أن أوتيتهم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا \* ومن  
يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا \* أولئك الذين لم يرد  
الله أن يظهر قلوبهم ، لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب  
عظيم » ( ٥ : ٤١ ) \* ومن مظاهر النفاق سماعهم للكذب ، وتحريفهم  
كلام الله ، « ومن الذين هادوا سماعون للكذب ، سماعون لقوم

أنفسكم استكبرتم ، ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون « ( ٢ : ٨٧ ) \*  
يمنعهم الاستكبار من التصديق \* والاستكبار هو التعالي على  
الحق لدرجة الانانية والزهو والخيلاء \* وهو ما يسمى  
بلغة اليوم التمرکز على الذات أو العنصرية \* لذلك يكذبون الانبياء  
أو يقتلونهم حتى لا يوجد أمامهم شهداء على الحق \*

٥ — وهم يتخذون الاحبار أربابا من دون الله بطاعتهم  
دون الله \* « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة  
ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين  
بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون \* ولا يأمركم أن  
تتخذوا الملائكة والربانيين أربابا ، أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم  
مسلمون « ( ٣ : ٧٩ — ٨٠ ) \* فمقياس الوحي هو التحرر من  
عبادة البشر وطاعتهم الى عبادة الله وحده وطاعته \*  
« اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ،  
وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو ، سبحانه عما  
يشركون « ( ٩ : ٣١ ) \*

٦ — وهم يصعدون عن سبيل الله كل من آمن به ، يبعونها  
عوجا ، ولا يريدون الايمان لاحد حتى لا ينكشف زيفهم وحتى  
يظل العالم كله فى كفر ونكران \* « قل يا أهل الكتاب لم تصدون  
عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء \* وما الله  
بغافل عما تعملون « ( ٣ : ٩٩ ) \*

وهم يغالون فى الايمان مزايده منهم على كفرهم وتغطية له

آخرين لم يأتوك . يحرفون الكلم من بعد مواضعه » ( ٥ : ٤١ ) •  
ومن مظاهر النفاق كتمان الحق في قلوبهم • « واذا جاؤوكم  
قالوا آمنا ، وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به ، والله أعلم  
بما كانوا يكتُمون » ( ٥ : ٦١ ) •

وهم أنانيون يحسدون الآخرين على إيمانهم • « ود كثير  
من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند  
أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق » ( ٢ : ١٠٩ ) • يريدون أن  
يتخلوا عن إيمانهم ويعودون الى الكفر مثلهم • « أم يحسدون  
الناس على ما آتاهم الله من فضله ، فقد آتينا آل ابراهيم  
الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما • فمنهم من آمن بربه •  
ومنهم من صد عنه ، وكفى بجهنم سعيرا » ( ٤ : ٥٤ — ٥٥ ) •  
بل انهم لا يرجون أن ينزل الله على غيرهم من الشعوب أى وحى  
حتى ينفردوا بهذه النعمة دون سواهم • « ما يود الذين كفروا  
من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم •  
والله يختص برحمته من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم »  
( ٢ : ١٠٤ — ١٩٥ ) • يأمرون غيرهم بالبر ، وينسون أنفسهم وهم  
أحق بالدعوة والتوجيه • « أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم  
وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » ( ٢ : ٤٤ ) فاسرائيل تطلب من  
غيرها السلام وهى تود الحرب ، وتطلب لنفسها الامن وتهدد  
غيرها ، وتستحوذ على الارض وتطلب من غيرها التخلي عنها •

وهم يشترون الدنيا بالآخرة ، ويؤثرون الحال على المال ،

ويشترتون بآيات الله ثمانا قليلا . « أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون » ( ٢ : ٨٦ ) . وذلك عندما يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون بالبعض الآخر الذى لا يوافق هواهم ، وعندما يتركون الوحي الى تعاليم الشيطان . « وللبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » ( ٢ : ١٠٢ ) . وعندما يرفضون التصديق بالقرآن الذى يصدق ما معهم فانهم أيضا يشترتون بآيات الله ثمانا قليلا . « ولا تشتروا بآياتي ثمانا قليلا وايأى فاتقون » ( ٢ : ٤١ ) .

وقد أدى حبهم للدنيا الى انكار البعث والحياة بعد الموت . « ان هؤلاء ليتولون : ان هى الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين ، فأتوا ببائنا ان كنتم صادقين » ( ٤٤ : ٣٤ - ٣٦ ) . وقد كان الصدوقيون منهم بالفعل ينكرون البعث حتى ظهور المسيح . ولم يؤمن البعض منهم به الا بعد الاسر البابلوى وظهور الاخويات فى حالات الضنك والقهر والعذاب « أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون . هيهات هيهات لما توعدون . ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين » ( ٢٣ : ٣٥ - ٣٧ ) . وقد بين الله لهم بمثل حصى بعث الموتى . ومع ذلك لم يؤمنوا به ، وحاولوا اخفاء الجسد ! « واذ قتلتم نفسا فادارءتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون . فقلنا أضربوه ببعضها ، كذلك يحيى الله الموتى ، ويريكم آياته لعالمكم تعقلون » ( ٢ : ٧٢ ) . وحقيقة الايمان بالآخرة هو الخشوع فى الدنيا . « الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون » ( ٢ : ٤٦ ) .

ويأكل أحبارهم أموال الناس بالباطل ، وهم رؤساؤهم ،  
ونموذج سلوكهم • « يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار  
والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل  
الله » ( ٩ : ٣٤ ) • فهم لا يعترفون بحقوق الناس ، ولا يتمثلون  
قيمة أو مبدأ للسلوك ، يبيغون المادة ، الذهب والفضة •  
لذلك أصبحوا في التاريخ تجار ذهب ومصوغات ، ورجال أعمال  
وصيارف وبنوك • ويتمثل أكل أموال الناس بالباطل في الربا •  
« وأخذهم الربا وقد نهوا عنه ، وأكلهم أموال الناس بالباطل •  
وأعدنا للكافرين منهم عذابا أليما » ( ٥ : ١٦١ ) قد عرف  
اليهود بأنهم مرابون ، يستغلون ضنك الناس لزيادة ثروتهم •

ويأكلون الحرام « أكلون للسحت » ( ٥ : ٤٢ ) • ولا يعرفون  
الا جشع المال • « وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان  
وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعلمون • لولا بناهم الربانيون  
والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون »  
( ٥ : ٦٢ - ٦٣ ) •

وقد أسقط بنو اسرائيل صورتهم على الله فتصوروا الله  
بخيلا مثلهم • « وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ، ولعنوا  
بما قالوا ، بل يده مبسوطنان ، ينفق كيف يشاء ، وليزيدن  
كثيرا منهم ، ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا » ( ٥ : ٦٤ ) •

#### رابعا — الجحد بالنعمة •

وبنو اسرائيل جاحدون بنعم الله • فهم كافرون بالحسق



النظري وكافرون بالحق العملى • وكما لم تنفع الآيات والبراهين معهم كذلك لم تنفع النعم المحسوسة التى أعطاها الله لهم •

ومظاهر النعم كثيرة • فقد نجاهم الله من عذاب فرعون ومن استئصال شأفتهم من على وجه الارض بذبح ذكورهم واستبقاء نسائهم فيستحيل النسل والتكاثر • « واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ، يذبحون أبناءكم ، ويستحيون نساءكم ، وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم » ( ٢ : ٤٩ ) • وهم مهددون بالاستئصال باستمرار ما لم يسمعوا كلام الله ويذعنون لاوامره • فالله أبقاهم من الفناء ، ونجاهم من العذاب ولكن اسرائيل كفرت بهذه النعمة وجحدت بها • وما فعله فرعون بها تفعله اسرائيل غيرها من الشعوب محاولة استئصالها كما تفعل حاليا بشعب فلسطين • ولقد نجى الله اسرائيل من عذاب فرعون ومن استكباره وجبروته واستعلائه • « ولقد نجينا اسرائيل من العذاب المهين • من فرعون انه كان عاليا من المسرفين » ( ٤ : ٣٠ — ٣١ ) • واسرائيل تفعل نفس الشئ مع غيرها •

كما أنقذ الله بنى اسرائيل من الغرق فى البحر بعد أن تبعهم فرعون وجنوده « واذ فرقنا بكم البحر ، فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون » ( ٢ : ٥٠ ) ، واسرائيل الآن تقضى على غيرها فى المخيمات وتحت وابل من الرصاص وبين ألسنة النيران •

ثم بعثهم الله من بعد موتهم حتى يشكروا الله بالرغم من أنهم ينكرون البعث والحياة الاخرى ، « ثم بعثناكم من بعد

موتكم لعلكم تشكرون » ( ٢ : ٥٦ ) \* ولا تشكر اسرائيل موما تم العفو عنها ورجب الناس فى نسيان آثامها والعيش معها \*

وقد أعطاهم الله من النعم المادية الكثير : الراحة والسكن والظل الوفير ، والطعام والشراب والغذاء الكثير \* « وظللنا عليكم الغمام ، وأنزلنا عليكم المن والسلوى ، وكلوا من طيبات ما رزقناكم ، وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » ( ٢ : ٥٩ ) \* ولكن يبدو أن بنى اسرائيل قد ظلموا أنفسهم بالرغم مما لديهم من أمن واطمئنان فاتخذوا ذلك وسيلة لبث عدم الامن والاستقرار فى نفوس الغير \*

وزاد لهم الله على الطعام الشراب \* « واذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشر عينا \* قد علم كل أناس مشربهم ، كلوا واشربوا من رزق الله ، ولا تعثوا فى الارض مفسدين » ( ٢ : ٦٠ ) \* ولكن يبدو أنه فى مقابل الماء عثوا فى الارض مفسدين ، وفى مقابل الرزق وخيرات الله يفسدون فى الارض بالبغي والعدوان \*

وآثامهم الله النبوة ، وأنزل عليهم الكتاب حتى يهتدوا \* « واذا آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون » ( ٢ : ٥٣ ) \* وهى هبة لا تقدر بثمن ، يعتز بها صاحبها ، وتوجه الى الطاعة لا الى المعصية \* « واذا قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يأت أحدًا من العالمين » ( ٥ : ٢٥ ) \* بل وأعطاهم الله الدولة ،

ولكنهم بعصيانهم فقدوها ودمروها • بل انهم بدلوا كلام الله ،  
ورفضوا التوبة والاستغفار ، ورفضوا الطاعة والامتثال لاوامر  
الله • « واذ قلنا أدخلوا هذه القرية فكلوا فيها حيث شئتم رغدا  
وادخلوا الباب سجدا ، وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد  
المحسنين • فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم ، فأنزلنا  
على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون » ( ٢ : ٥٨ -  
٥٩ ) •

ثم عفا الله عنهم ، ونسى آثامهم ، وغفر ذنوبهم • « ثم  
عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون » ( ٢ : ٥٢ ) • ولكن  
يبدو أن اسرائيل لا تعرف معنى العفو أو مقابلته بالشكر •  
ومهما نسى العرب من مآسيها فانها تعيد فتذكرهم بذنوبها بارتكاب  
الكثير منها •

وليس الوحي خاصا ببني اسرائيل « وان من أمة الا خلا فيها  
نذير » ( ٣٥ : ٢٤ ) • بل هو فضل من الله • « أن ينزل الله من  
فضله على من يشاء من عباده ، فباءوا بغضب على غضب للكافرين  
عذاب مهين » ( ٢ : ٩ ) • والهدى هدى الله يؤتيه من يشاء  
« قل ان الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم  
عند ربكم • قل أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع  
عليم » ( ٣ : ٧٢ ) • ليس الوحي ميزة لشعب على حساب شعب  
آخر بل ان الوحي معطى للناس جميعا • « لئلا يعلم أهل الكتاب  
ألا يقدرون على شيء من فضل الله ، وأن الفضل بيد الله يؤتيه  
من يشاء » ( ٥٧ : ٢٩ ) •

ومع ذلك جحدت اسرائيل بهذه النعم كلها ، ولم تشكر الله عليها ، ولم تقابل هذه النعم بطاعة الله وتنفيذ أوامره والايمان برسله والتصديق بكتبه • فقتلوا الانبياء وكذبوا الرسل . وعبدوا العجل ، وبدلوا قول الله ، وقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ، وأنكروا البعث والحياة الاخرى ، ولم يتناهوا عن المنكر ، واعتدوا في السبوت ، وجبنوا في القتال •

فقد أعطى الله لهم ما شاؤوا من خيرات الارض على مستوى طلبهم : البقول ، والفول ، والعدس ، والبصل ، والقضاء مستبدلين الذى هو أدنى بالذى هو خير • « اذ قلتُم يا موسى لن نصبر على طعام واحد ، فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها • قال أَسْتَبْدِلُونَ الذى هو أدنى بالذى هو خير • أهبطوا مصر ثأن لكم ما سألتُم ، وضربت عليهم الذلة والمسكنة ، وباعوا بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » ( ٢ : ٦١ ) • فهم شرهون ، لا يكتفون بطعام واحد بل يريدون جميع أنواع الطعام سواء الموجودة لديهم أم الموجودة عند غيرهم من الشعب خاصة عند جارتهم مصر • أعطاهم الله الوحي ولكنهم يستبدلون به خيرات مصر • وكان جزاء كل من يطمع في خير مصر الذلة والمسكنة وغضب الله • تركوا الوحي ، وقتلوا الانبياء ، وعصوا أوامر الله ، واعتدوا على جيرانهم • فالاستثمار المشترك في سيناء ، ورغبتهم في مياه مصر ومحاصيلها • كل ذلك لا يستجاب له بل ويعاقبون عليه •

فما أن غاب عنهم موسى حتى ظنوا كفرهم وكأنهم لا يؤمنون  
الا في حضور الرقيب ، فعبدوا العجل • « واذا واعدنا موسى  
أربعين ليلة ، ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون » ( ٢ : ٥١ ) •  
ان الثقل الطبيعي والارتكاب الدائم الى الارض جعل بنى اسرائيل  
يرجعون الى الوثنية باستمرار فهم لا يتزحزون عن المادة ،  
ولا يتركون الارض • « ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم  
العجل من بعده وأنتم ظالمون » ( ٢ : ٩٢ ) • فهم في حاجة الى  
رقيب من نبي حتى يحدث التوازن في شعورهم ويذكرهم بالله •  
ولكن الايمان لا ينشأ طوعا واختيارا من أنفسهم في قلوبهم ،  
وبمحض ارادتهم ، وببرهان عقولهم ، ويتمثلهم للخير • ومن ثم  
فان يقظة العرب ضرورية حتى لا تترك اسرائيل الى الارض  
وتستحوذ عليها • « واذا قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم  
أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم •  
ذلك خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم »  
• ( ٢ : ٥٤ )

وقد بلغت ماديتهم وحسيتهم أقصى حد في طلبهم رؤية الله  
جهارا ! « واذا قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة  
فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون » ( ٢ : ٥٥ ) • وكل هذه  
المطالب تعبر عن طبيعة حسية واحدة • طلب كتاب ، عبادة العجل  
أو طلب رؤية الله عيانا ، « يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا  
من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة ،  
فأخذتهم الصاعقة بظلمهم • ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم

البينات فحفونا عن ذلك ، وآتينا موسى سلطانا مبينا » ( ٤ : ١٥٣ ) • فاسرائيل تطلب المستحيل المادى ، وكان جزاؤها على طلبها العقاب والردع • وبالتالى فطلب الارض العربية مستحيل ، وطلب التوسع مستحيل ، وطلب اقامة المستوطنات مستحيل ، ولا يقابل ذلك كله الا بالردع والصواعق •

وشيمة بنى اسرائيل العحييان والعدوان وجزاؤهم اللعنة والغضب من الله • « لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داوود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون • كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » ( ٥ : ٧٨ — ٧٩ ) • ولم يأمرؤا بالمعروف أو ينهون عن المنكر ولم يذكرؤا بعضهم بطاعة الله ، أمثال أوامره واجتناب نواهيہ •

ويتمثل العدوان والعحييان فى عدم امتثالهم لقوانين السمبت والطعام • فقد اعتدوا فى السمبت ولم يراعوه ، « ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السمبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ، فجعلناهم نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين » ( ٢ : ٦٥ — ٦٦ ) • وقد أخذ الله منهم ميثاقا ألا يعتدوا فى السمبت ولكنهم نتضوا الميثاق ، « قلنا لهم لا يعتدوا فى السمبت ، وأخذنا منهم ميثاقا غليظا » ( ٤ : ١٥٤ ) • وقد شرع الله السمبت لهم لتعويدهم على طاعته وامتثال أوامره • والحقيقة أن الحياة القورى من السمبت ، وأن منفعة الانسان وخيره ينحتمان فى السمبت ، « واسم اللزم عن القرية التى كانت حاصرة البحر اذ يمدون فى السمبت اذ نأتهم

حيثانهم كذلك نبأوهم بما كانوا يفسدون « ( ٧ : ١٦٣ ) • كما  
شرع الله السبب لهم نظرا لاختلافهم فيه وتحقيقا لوحدتهم  
ولكنهم ظلوا على خلافهم ، « انما جعل السبب على الذين اختلفوا  
فيه ، وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون »  
• ( ١٦ : ١٢٤ )

أما بالنسبة لقوانين الطعام فقد كان كل الطعام حلالا  
لبنى اسرائيل ولكنهم زيادة منهم فى النفاق ومزايدة منهم فى مظاهر  
الايمان حرموا على أنفسهم بعض الطعام • ولكن طبيعتهم المادية  
لم تستطع الصبر عليه • « كل الطعام كان حلالا لبنى اسرائيل الا  
ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة • قل فأتوا  
بالتوراة فاتلوها أن كنتم صادقين • فمن افترى على الله الكذب  
من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون » ( ٣ : ٩٣ - ٩٤ ) • وجزاء على هذا  
الظلم والبغى حرم الله عليهم ألوانا من الطعام عقابا لهما وردعا  
لهم وتطويبا لارادتهم • « فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات  
أخذت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا » ( ٤ : ١٦٠ ) • فالاصل  
فى الاشياء هو التحليل ولكن التحريم أتى لهم تربية لنفوسهم  
وتحريرا لوعيتهم من أسر المادة ، « وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى  
ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما  
أو الحوايا أو ما اختلط بعظم • ذلك جزيناهم ببغيهم وأنا لصادقون »  
• « ١٤٦ : ٦ »

وهم ليسوا أهل قتال ، لا يريدون الموت والاستشهاد فى سبيل

الله ، نظرا لانهم يؤثرون الدنيا على الآخرة • « ألم تر الى الملا من بنى اسرائيل من بعد موسى اذا قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله • قال : هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا ؟ قالوا : وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ؟ فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين » ( ٢ : ٢٤٦ ) • فهم يطالبون بالقتال لاستدراك الانبياء فاذا جاءت المعركة ولوا الادبار • ويقبلون سبب القتال نظرا وهو الاخراج من الديار ، ولكنهم لا يجاهدون في سبيله وكأنهم يقبلون الظلم والطرده من الديار عملا • فاذا ما واجهوا غيرهم نكصوا وولوا الادبار وتراجعوا • « وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا • فقاوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ، ولم يؤت سعة من المال ؟ قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم ، والله يوتي ملكه من يشاء • والله واسع عليم • وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتىكم التابوت فيه سكبنة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة ، ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين • فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى الا من اغترف غرفة بيده ، فشربوا منه الا قليلا منهم • فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده • قال الذين يظنون أنهم ملائقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين • ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ صلبنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين • فهزموهم باذن الله ، وقتل داود



جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء • واولا دفعي  
الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض • ولكن الله ذو فضل علي  
العالمين » ( ٢ : ٢٤٧ — ٢٥١ ) • وهنا تبدو مقاييس اسرائيل  
في تصورهما للملك وهو الملك الغنى أى ذو المال الوفير اسقاطا من  
أنفسهم في حب المال في حين أن مقاييس الملك النبي هما العلم  
والقوة • ومع ذلك أعطاهم النبي آية حسية وهو التابوت الذى  
به العهد تحمله الملائكة وسطهم • وفي أول امتحان في الحرب  
لم تستطع اسرائيل طاعة النبي في عدم الشرب من النهر • فاذا  
ما ظهر العدو تراجع اسرائيل وخافت • ودب الرعب في قلبها •  
ليست اسرائيل اذن بالدولة الحربية ، وليس جيشها بالجيش الذى  
لا يقهر ، وليس رجالها هم أشجع الرجال • وانتصاراتها على غيرها  
لم تتم لقوتها بل لضعف الآخرين •

فاذا ما حدث النزال وتمت المواجهة فانهم يولون الادبار •  
« وان يقاتلوكم يولوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون » ( ٣ : ١١١ ) •  
بل انهم حتى في دخولهم الارض المقدسة التى يزعمون أن الله  
قد وعدهم بها يولون الادبار • « يا قوم ادخلوا الارض المقدسة  
التي كتب الله لكم ، ولا ترتدوا على أديباركم فتتقلبوا خاسرين •  
قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين ، وانا لن ندخلها حتى يخرجوا  
منها ، فان يخرجوا منها فانا داخلون • قال رجلان من الذين يخافون  
أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون ،  
وعلى الله فتوكلوا أن كنتم مؤمنين • قالوا يا موسى لن ندخلها أبدا  
ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا أنا هنا قاعدون • قال رب انى

لا أملك إلا نفسي وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين • قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض فلا تأس على القوم الفاسقين » ( ٥ : ٢١ - ٢٦ ) • فهم لا يدخلون أرضا بها شعب • ولا يقدرّون على مواجهة الشعوب الكابامة في الارض • ويتركّون المواجهة لله وللنبي • يقومون بتهجير عرب فلسطين حتى تظل خاوية لهم • ولكن لا أرض بلا جهد ، ولا نصر بلا حرب ، لذلك ظلت اسرائيل نائمة بين الشعوب بلا أرض •

وإذا حاربوا فانهم لا يحاربون الا داخل حصون مشيدة يخشون المواجهة والنزال • « هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ، ما ظننتم أن يخرجوا ، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ، غاعتبروا بأولى الابصار • ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار • ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب » ( ٥٩ : ٢ - ٤ ) • فهم جنّاء في القتال يحاولون تغطية رعبهم الداخلى بالحصون المشيدة • « لانتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون • لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة أو من وراء جدر ، بأسهم بينهم شديد ، تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » ( ٥٩ : ١٣ - ١٤ ) • فهم يخشون المسلمين أكثر من خشيتهم الله • والله أخرج أهل الكتاب من ديارهم وهم يظنون أنهم لن يخرجوا وظنوا أن حصونهم تمنعهم • فأتاهم الله بغتة من حيث لم يحتسبوا ، وقذف في قلوبهم الرعب • كتب

الله عليهم الجلاء من الارض جزاء عصيانهم له • فاذا كانوا لا يعترفون  
بأن هناك قوة فوقهم فقد أجلاهم الله وأراهم قوته • ومن ثم فإن ردهم  
الى حجمهم الطبيعي أمر الهى •

### خامسا : نقض الميثاق :

وأكبر نعمة أعطاها الله ابنى اسرائيل هو الميثاق • ميثاق الايمان  
والطاعة ، ميثاق الصلاة والزكاة ، وطالبهم بالوفاء به وذكر نعمه •  
« يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ، وأوفوا بعهدى  
أوف بعهدكم ، وايى فارهبون » ( ٢ : ٤٠ ) • فذكر النعمة والوفاء  
بالعهد مرتبطان والا كان الجحود والكفران • وهو عهد مشروط وليس  
عهدا مطلقا كما تدعى الصهيونية الآن ، « وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم »  
أى أن اسرائيل لو أوفت بعهدها من جانبها فى الطاعة والاخلاص فان  
الله يفى بعهد من جانبه • ولكن اسرائيل لا تذكر النعمة ، وتكفر بها ،  
ومهما أعطى لها من اعتراف ورضى بها من قبول فانها تظل جاحدة  
كافرة ، ومهما يعطى لها من أموال فانها تطلب المزيد وتنتكرها لمن يعطونها •  
اسرائيل لا تفى بعهد ، ولا تبقى على كلمة ، ولا تحرض على وعد ،  
ولا ترعى قانونا ، ولا تلتزم بمعاهدة • ومن ثم فطريق المعاهدات معها  
مسدود ، والحديث عن الشرعية الدولية معها لا يؤدي الى شىء •  
اسرائيل لا تخشى الا من هو أقوى منها « وايى فارهبون » ، ولا تعلم  
الا لغة القوة والرعبة • لا تخشى الله ولا تتقيه بالرغم من نداء الله  
« وايى فاتقون » ، ونداء الله لها بأن تقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتركع  
وتسجد ، « وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، واركعوا مع الراكعين »  
( ٢ : ٤٣ ) ، وأن تصبر على الطاعة حتى يتم ترويضها « واستعينوا

بالصبر والصلاة ، وانها لكبيرة الا على الخاشعين » ( ٢ : ٤٥ ) • نيس الميثاق كما تقول الصهيونية ميثاق الغنم والنعيم والنسل والارض والمعبد ، ميثاق الحظ والهبات بل هو ميثاق الطاعة والاخلاق • « واذا أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين ، وقولوا للناس حسنا ، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون » ( ٢ : ٨٣ ) • وليس عبادة المال والطاغوت ، وترك الفقراء واليتامى والمساكين ، وتشريد الشعوب خارج أوطانهم ، « واذا أخذنا ميثاقكم لا تتسفكوا دمائكم ، ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون • ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم ، وتخرجون فريقا منكم من ديارهم ، تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان ، وأن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم • أفنتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب ، وما الله بغافل عما تعملون • أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون » ( ٢ : ٨٤ — ٨٦ ) •

والميثاق ميثاق حكمة ونبوة وليس ميثاق أرض وغنم • « واذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا • قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين • فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » ( ٣ : ٨١ — ٨٢ ) •

والميثاق من أجل التبيين والاعلان وليس لاجل التكتيم والاختفاء ،

«...واذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبدؤوه وراء ظهورهم ، واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون »  
• ( ٣ : ١٨٧ ) •

ولكن اسرائيل نقضت الميثاق ، ميثاق اقامة الصلاة وايتاء الزكاة والايمان بالرسول وتأييدهم ، وايثار الله على ما سواه ، « ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منه اثني عشر نقيبا وقال الله انى معكم لئن اقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لا تكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار ، فمن كفر بعد ذلك منكم فبدلنا سواه السبيل • فيما نقضوه ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ، ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين » ( ٥٠ : ١٢ - ١٣ ) • وكان جزاؤهم لعنة الله عليهم ، قسوة قلوبهم ، نظرا لتحريفهم كلام الله ولنسيانهم أوامره ونواهيه ، باستثناء البقية الصالحة منهم • لقد نكس بنو اسرائيل ، على أعقابهم وتولوا بعد أن عقد الله معهم ميثاق الخير والفضيلة والعمل الصالح • « واذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور ، خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون • ثم توليتم من بعد ذلك ، فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين » ( ٢ : ٦٣ - ٦٤ ) •

ذنبوا الميثاق بكفرهم بآيات الله وبقتلهم الانبياء وباعتدائهم في السبت ، « ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا ، وقلنا لهم لا تعبدوا في السبت ، وأخذنا منهم ميثاقا غليظا • فيما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغسير حق ،

وقولهم قلوبنا غلب يل طبع - الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا « ( ٤ : ١٥٤ - ١٥٥ ) \* والميثاق ثقيل ثقل جبل الطور ، ولكنه يقضى بالطاعة سجدا لله ، فالارتفاع بالعهد اعلانه خفض الجباه \* « ولقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل وأرسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون \* وحسبوا الا تكون فتنة فيعموا ووصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا ووصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون » ( ٥ : ٧٠ - ٧١ ) \* فنقضهم الميثاق نتيجة لعماهم ووصمهم . لا يرون آيات الله ولا يسمعون كلامه \*

ونقضوا ميثاق الايمان بعبادتهم العجل ، « واذا أخذنا ميثاقكم \* ورفعنا فوقكم الطور \* خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشرىوا في قلوبهم العجل بكفرهم تل بتسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين » ( ٢ : ٩٣ ) \* فبدلا من الحرص على الميثاق وطاعته سمعوه وعصوه ، وعبدوا العجل من قلوبهم \* ذهب العجل لديهم أفضل من طاعة الله والوفاء بعهده ، « فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا \* قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتكم ان يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي \* قالوا ما أخلفنا بملكنا ولكننا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري \* فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فتالوا هذا الهكم واله موسى فنسى \* أذلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا » ( ٢٠ : ٨٦ - ٨٩ ) \* غضب منهم الانبياء وتأسفوا على حالهم \* ولم يروا سببا للعصيان الا تسرعهم الى الغنم سعيا وراء الذهب ، « ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم انما فتنتكم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري \* قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى \* قال يا هارون

ما منعك اذا رأيتهم ضلوا • ألا تتبعن فعصيت أمرى • قال يا بن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى انى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب تولى • قال فما خطبك يا سامرى ، قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى • قال فاذهب فان لك فى الحياة أن تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخافه ، وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليوم نسفا « ( ٢٠ : ٩٠ - ٩٧ ) •

والاختيار الالهى لاسرائيل ليس اختيارا عشوائيا لا مبرر له وليس اختيارا عن جهل ولكن اختيار عن علم مسبق وببرهان مبین ، « ولقد اخترناهم على علم على العالمين • وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين » ( ٤٤ : ٣٢ - ٣٣ ) • وهذا الاختيار أحد مظاهر نعم الله عليهم • « يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين » ( ٢ : ٤٧ ) • والفضل هنا ليس لعنصر أو جنس بل هو تكريمهم بالوحي وبنصرهم وتأييدهم ضد الطغيان • ومن ثم فان عصيانهم للوحي وطغيانهم على غيرهم يذهب فضلهم • وتكبرهم واستعبادهم للشعوب يقضيان على أسباب تفضيلهم • ويتكرر نداء القرآن لهم ، « يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين ، واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ، ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون » ( ٢ : ١٢٢ - ١٢٣ ) • فالتفضيل اذن مشروط بتقوى الله فى الدنيا حتى تنتم النجاة فى الآخرة • وهدفه هو تربية الجنس البشرى ممثلا فى اسرائيل حتى تتحقق المسؤولية الفردية طبقا لقانون الاستحقاق •

لا يفضل الله شعبا على شعب • وليس له أبناء ولا أحبباء الا بمقدار تمثلهم نلفضيلة وبمقدار طاعتهم له • « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه فلماذا يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق ، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء » ( ١٨ : ٥ ) • فلا توجد « علاقة شخصية » بين الله والانسان الا العمل الصالح ، « قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ، ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليهم بالظالمين • قل ان الموت الذى تقرون منه فانه ملائكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبؤكم بما كنتم تعملون » ( ٦٢ : ٦ - ٨ ) •

وكما بدعى بنو اسرائيل أنهم أبناء الله وأحباؤه يدعون ان الله لن يعذبهم ولن يدخلهم النار بل سيرسلهم الى الجنة قذفا ، « قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين • ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم ، والله عليهم بالظالمين • ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا ، يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه عن العذاب أن يعمر ، والله بصير بما يعملون • قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزل على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين • من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين » ( ٩٤ : ٢ - ٩٨ ) • والذى يضمن الجنة لنفسه فانه يتمنى الموت حتى يفوز بها ، وهذا ليس حال بنى اسرائيل لانهم يعضون على الحياة بالنواجذ حبا للدنيا وليس خوفا من عذاب الآخرة • فبالرغم من أن بنى اسرائيل تجعل الجسد



لأنفسهم والنار لغيرهم فانهم لا يتمنون الموت ليحصلوا على ما يريدون ويحرصون على الحياة ، يود كل منهم لو يعمر ألف سنة حتى ينهل من الحياة الدنيا • ولن يمنعه ذلك من العذاب • لذلك استنكر بنو اسرائيل ملائكة الموت ولعنوهم لانهم يقبضون الارواح ، وعداوة الملائكة عداوة لله ، « وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان يهودا أو نصارى ، تلك أمانيتهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ، بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ( ٢ : ١١١ - ١١٢ ) ، وفرق بين التمنى والواقع • ان من مظاهر أنانيتهم أن الجنة لهم وحدهم والنار لغيرهم في حين أن الجنة ثواب على الاعمال الصالحة والنار عقاب على أفعال السوء لاي فرد ومن أى شعب • وأحيانا يتواضعون ويضعون أنفسهم في النار أياما معدودة ! « وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة ! قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون • بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون » ( ٢ : ٧٩ - ٨١ ) • فالثواب والعقاب مشروطان بالاعمال ، « ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون • فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » ( ٣ : ٢٤ - ٢٥ ) • بل أن لعنهم في الدنيا بنقضهم الميثاق يجعل عذابهم مؤكدا ، « اذا قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا • قالوا معذرة الى ربكم ولعلمهم يتقون • فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين يبنهون عن السوء ، وآخذنا الذين ظلموا بعذاب بئس بما كانوا يفسقون • فلما عتوا عن

ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين • واذا تأذن ربك لبيعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب • ان ربك لسريع العقاب ، وأنه لغفور رحيم « ( ٧ : ١٦٤ — ١٦٧ ) • فمقياس الثواب والعقاب هو العمل الصالح ، « ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية ، ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » ( ٩٨ : ٦ ) •

وكانت النتيجة أيضا العذاب فى الدنيا والتهيب والتشتت والضياع • « وتطعنهم فى الارض أما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ، وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلمهم يرجعون • فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا • وان يأتيهم عرض مثله يأخذوه ، ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه ، والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون • والذين يمشكون بالكتاب وأقاموا الصلاة ، انا لا نضيع أجر المصحين • واذا ننتنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم ، خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلمكم تتقون » ( ٧ : ١٦٨ — ١٧١ ) •

#### سادسا : استحالة المصالحة •

ما دامت هذه أصاف بنى اسرائيل فانه يستحيل عقد الصلح معهم أو موالاتهم أو اتخاذهم بطانة أو تلقيبهم بالاصدقاء الاوفياء أو بأولاد العم • فلن تؤمن بنو اسرائيل بغيرها من الشعوب ولن ترسخ لحقوق غيرها • تستحيل مصالحة بنى اسرائيل فهم ينكثون بالوعود ، وينقضون اليوم ما يعاهدون عليه بالامس • لن يؤمنوا بحق أحد سواهم • ولن

ترضى اسرائيل عن غيرها من الشعوب حتى تحيلها الى عبيد لهم  
يرضخون لها ، « ولن ترضى عنك اليهود والنصارى حتى تتبع ملتزم  
قل ان هدى الله هو الهدى ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من  
العلم مالك من الله من ولى ولا نصير » ( ٢ : ١٢٥ ) • لن ترضى اسرائيل  
الا بصهيئة جميع الشعوب والقضاء على هويتهم والتخلي عن مبادئهم  
والتنازل عن شخصيتهم • تود اسرائيل اخراج كل شعب من دينه ،  
« وددت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم ، وما يضلون الا أنفسهم  
وما يشعرون » ( ٣ : ٦٩ ) • تبغى اسرائيل اخراج كل الشعوب من  
دياناتها وحضاراتها حتى يضيع الحق كله ولا تبقى الا اسرائيل  
ومطامعها ، « يأبى الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب  
يردركم بعد ايمانكم كافرين ، وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله  
وفيكم رسوله • ومن يعتصم بالله فهدى الى صراط مستقيم » ( ٣ :

١٠٠ - ١٠١ ) •

ولن تصدع اسرائيل لحقوق غيرها مهما قدم لها من حجج وراهب  
ومهما عرض عليها من آيات بينات ، « ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب  
بكل آية ما تبعوا قبلتك ، وما أنت بتابع قبلتهم ، وما بعضهم بتابع قبلة  
بعض ، ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذن ان  
الظالمين » ( ٢ : ١٤٥ ) • فالعلاقة الطبيعية بين اسرائيل وغيرها من  
الشعوب هي علاقة التضاد والتناحر ، وبالتالي تستحيل المصالحة  
لاستحالة توحيد المآرب والاهداف • والصراع بينها وبين غيرها هو  
صراع الحق ضد الباطل ، والخير ضد الشر ، والعلم ضد الظن ، والوحي  
ضد الهوى ، والايمان ضد الكفر •

ولذلك يحذر القرآن من اتخاذ بنى اسرائيل أولياء للمسلمين .  
« يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولاه منكم فإنه منهم ، ان الله لا يهدي القوم الظالمين »  
( ٥ : ٥١ ) \* فاليهود والنصارى أولياء بعض ، ولن ينصر النصارى المسلمين على حساب اليهود ، ولن ينصر اليهود المسلمين على حساب النصارى \* الاتفاق بين اسرائيل والغرب أكثر من الاختلاف بينهما : والاختلاف بين المسلمين من ناحية واسرائيل من ناحية أخرى أكثر من الاتفاق بينهما \* فالاتفاق والاختلاف فى المبادئ والعقائد والنظريات أولا قبل أن يكون فى المصالح الوقتية ، « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء ، واتقوا الله ان كنتم مؤمنين \* واذا ناديتهم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون \* قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا الا أن آمننا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل وان أكثركم فاسقون \* قل هل أنبؤكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل » ( ٥ : ٥٧ - ٦٠ ) \* لن يرضى اليهود والنصارى عن المسلمين الا بعد أن يترك المسلمون ويتلدون اسرائيل والغرب ويصبحوا تابعين لهم داخلين فى أحلافهم ، مروجين لبضائعهم ، ممثلين لثقافتهم \* لن يحترموا ثقافات غيرهم ودياناتهم وقومياتهم وتراثهم وعقليتهم بل يسخرون من سلوكهم وثقافتهم وحضارتهم \* مع أن الله قد مسخ اليهود والنصارى وجعلهم قردة وخنازير أى أنهم ليسوا نموذجا للتحدى أو نمطا يحتذى به أو أسوة تتببع \* يحرم القرآن موالات اليهود والنصارى ويكفر من يوالونهم من المسلمين ،

« ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون • ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون » (٥ : ٨٠ - ٨١) • وكيف يوالى المسلمين من يعادونهم ويودون القضاء عليهم ديننا ودنيا ، « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » (٥ : ٨٢) •

لذلك يحذر القرآن من اتخاذ بنى اسرائيل بطانة للمسلمين ، « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يآلونكم خبالا • ودوا ما عنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر • قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون • ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم ، وتؤمنون بالكتاب كله ، واذا لقوكم قالوا آمنا ، واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور • ان تمسككم حسنة تسؤهم ، وان تصبكم سيئة يفرحوا بها ، وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ، ان الله بما يعملون محيط » (٣ : ١١٨ - ١٢٠) • يحرم القرآن اتخاذهم أصدقاء يوثق بهم أو حلفاء تبدو البغضاء من تصريحاتهم وأقوالهم واهاناتهم للعرب وللمسلمين ولاهل مصر ، كنانة الله فى الارض • وما تخفى صدورهم أعظم ، يعبرون عنه فى كتاباتهم بما فيها من عنصرية وغرور • فكيف يحبهم المسلمون وهم لا يحبون أحدا ؟ وكيف يبغى المسلمون معهم السلام وهم يبغون الحرب ؟ يفرحون بكل مصيبة تحل بالمسلمين ويحزنون لكل خير يأتيهم •

ان المصالحة النحقة لا تأتى الا بناء على تسليم اليهود بالحق

المستقل عنهم ، « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم  
ألا نعبد الا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا  
من دون الله ، فان تولوا فقتلوا أشهدونا بأنا مسلمون » ( ٣ : ٦٤ ) •  
المصالحة الحقة تتم بناء على الاتفاق على عبادة الله وحده ، وليس  
عبادة الطاغوت أو المال ، والاخلاص له وليس الايمان أول النهار والكفر  
آخره أو الايمان في العلن والكفر في السر أو الايمان ببعض الكتاب  
والكفر بالبعض الآخر • كما تقوم على المساواة بين الشعوب أمام اله  
واحد ، وألا يعتبر شعب نفسه فوق الجميع ، له حق الحياة والوجود  
وليس أمام الآخرين الا الموت والفناء •

#### • سابعا : البقية الصالحة •

هذه الاوصاف التي أطلقها القرآن على بنى اسرائيل تصدق على  
الاجلبية منهم ، على أكثرهم وليس على الاقلية منهم ، وهي الاقلية  
المؤمنة التي تعلم الحق وتعمل به والتي نذكر أحيانا الاجلبية بكفرها  
وعصيانها ، « منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون » ( ٣ : ١١ ) • لذلك  
يشير القرآن الى « فريق منهم » وليس الى مجموعهم أو الى « طائفة  
منهم » وليس اليهم كلهم أو « من الذين هادوا » وليس كل الذين هادوا  
أو « ومن الذين أوتوا الكتاب أو « الذين كفروا من بنى اسرائيل » وليس  
المؤمنون منهم • هذه الاحكام الكلية والجزئية تفصل بين الاجلبية الكافرة  
والاقلية المؤمنة • وأحيانا يكون الحكم مستثنيا للماتلية من الكفر « الا  
قليلا منهم » • وقد تبلغ الاقلية أمة « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق  
وبه يعدلون » ( ٧ : ١٥٩ ) أو « وقطعناهم في الارض أمما منهم  
الصالحون ومنهم دون ذلك » ( ٧ : ١٦٨ ) •

وأحيانا تبلغ الاقلية رجلا أو رجلين « قال رجلان من الذين يخافون  
••• » • هذه الاقلية هي التي تصدت للعنصرية الاسرائيلية القديمة  
والحديثة والتي آمنت بالرغم من كفرهم • وأطاعت بالرغم من عصيانهم •  
وهم الحنفاء الذين رفضوا التبليغ العبرانية ، والذي كان ابراهيم منهم •  
والذين خرج منهم أخيرا محمد • فالحنفاء يؤمنون بالله ويخاضون له  
ويطيعونه ويعملون الخير ، ويتقون الله • ويعيشون على الفطرة •  
ويحترمون الآخريين ، ولا فضل لعربي على عجمي لديهم إلا بالتقوى  
والعمل الصالح • وهم من المحدثين كل من يرفض العنصرية اليهودية من  
أمثال فلاسفة التنوير الذين أرادوا جعل اليهود مثل غيرهم من البشر  
وليسوا منفصلين عنهم •

وقد استغل اليهود هذه الاقلية أسوء استغلال عندما جعلوا  
الاکثرية تفعل ما تشاء من كفر وعصيان وأن الله سيغفر لها من أجل  
الاقلية • فتركت الاكثرية لنفسها الحبل على الغارب تعلق أخطاءها على  
تقوى الاقلية ، وتنتظر خلاصها من خلال ايمان الاقلية • اذ يكفي أن يكون  
منهم مؤمنا واحدا حتى يتم خلاص الجميع من خلاله • وبالتالي ضاعت  
المسئولية الفردية وانتشر الكفر والفسوق والعصيان في حين أن ايمان  
الاقلية كما يصفه القرآن لا يعفى من عتاب الاكثرية التي لعنها الله  
وضرب عليها المذلة والمسكنة وغضب منها ولفظها وخذلها في النار • •

ويصف القرآن هذه المبقية الصالحة بالايمان والعمل الصالح ،  
« ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين من آمن بالله  
واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم لا خوف عليهم

ولا هم يحزنون » ( ٢ : ٦٢ ) • فهم المؤمنون سواء كانوا مسلمين أم يهود أم مسيحيين أم صابئة ، مؤمنون بالله واليوم الآخر والعمل الصالح ، الايمان بالله أى التوحيد ، واليوم الآخر أى رفض التكالب على الدنيا ، والعمل الصالح أى رفض الاختيار المسبق • وليس المهم هو اليهودى المنتسب الى الشعب اليهودى بل المهم هو بماذا يؤمن وماذا يعمل ؟ هل يعتبر نفسه فوق الجميع أم مساويا لغيره من الشعوب ؟ هل يعتدى على غيره أم يعترف بوجودهم ؟ « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ( ٥ : ٦٩ ) • ولا ييساوى القرآن بين الاكثرية والاقلية ، « ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة تائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات ، أولئك من الصالحين ، ما يفعلوا من خير فلن يكفروه ، والله عليم بالمتقين » ( ٣ : ١١٣ - ١١٥ ) • فالاقلية مؤمنة تقية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر على عكس الاكثرية من بنى اسرائيل التى كانت لا تنتهى عن منكر تفعله ، ولا تسارع فى الخير وتتنرف اثم العدوان • ويستثنى القرآن هذه الاقلية من أهل الكتاب ، « وان من أهل الكتاب من يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله ، ولا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا ، أولئك لهم أجرهم عند ربهم ، ان الله سريع الحساب » ( ٣ : ٩٩ ) • وهم الذين يتصفون بنقيض صفات بنى اسرائيل والذين يؤمنون ويعملون ويصلون ويزكون • « لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك ، والمقيمى الصلاة ، والمؤتون الزكاة ، والمؤمنون بالله واليوم الآخر ، أولئك سيؤتيهم أجرا عظيما » ( ٤ :





## عبد الناصر وقضيه الصلح مع إسرائيل

مقدمة :

### أولا : الموضوع والمنهج والغاية •

يبدو أن أقسى ما يمر بجيل ما هو أن تهتز قناعاته ، وتثار الشكوك حول مبادئ نضاله ، وينقلب في تصوره للعالم وفي وجدانه من الضد الى الضد • وتكون القسوة على هذا الجيل المخضرم عندما ينقسم الى شطرين ، الشطر الاول خلقه بيديه ، وناضل من أجله ، واستشهد في سبيله ، ومازال قادرا على العطاء ، تملؤه امكانيات الاستمرار • والشطر الثاني مفروض عليه ، أتاه دون أن يتوقع ، أدخل اليه كجسم غريب فيه • والخطر من ذلك أن يجعله يندم على ما فات ، فما خلقه بيديه في شطره الاول كان وهما خادعا ، سرايا بعيد المنال ، حلما لا يتحقق ، وما أدركه بشطره الثاني كان واقعا حسيا ملموسا ، ادراكا لبدنه وحياته ، لغذائه وكسائه ، لكسبه وغناه ، وما كانت الآخرة لتغني عن الدنيا شيئا • وذلك هو حال جيلنا ، على الاقل في مصر ، الذي انقلب مشروعه القومي من معاداة للاستعمار والصهيونية والرجعية ونضال من أجل الحرية والاشتراكية والوحدة الى تحالف مع الاستعمار ، وتسليم بالصهيونية ، وترسيخ للرجعية ، وقضاء على الحرية ، والاعلان بأن الرأسمالية لم

نشر هذا البحث في كتاب « قضايا عربية » بعنوان « عبد الناصر

وما بعد » ، سبتمبر ١٩٨٠ كبديل عن عدد أكتوبر ١٩٨٠ •

تعد جريمة ، واحتجاب مصر • وبالتالي أصبح جيلا مشطورا الى  
شملين ، ينتابه الذهول لهول ما يرى ، يهاجر ويعارض ويصرخ في  
المخارج ، أو يئن ويكتنم صوته في الداخل . أو يعيد تكوينه بطريقة ما •  
فقد يكون هو المسئول عما حل به •

والحجة التي يسمعها هي الآتية ، وما الجديد في هذا ؟ ألم يكن  
ما يحدث الآن نتيجة طبيعية للماضى ؟ لظالما عارضنا الصهيونية فحاربتنا ،  
وتوالت علينا ثلاث هزائم ، وأصبحت اسرائيل أمرا واقعا • فكيف لا  
نعترف بمن يحتل الارض ، ويهدد بالتوسع والعدوان ؟ لقد اعترف  
العالم أجمع بدولة اسرائيل شرقا وغربا ، والواقع أكثر ثباتا من المنى  
والإحلام ، وظل مشروعنا القومى ينتقلص يوما بعد يوم ، من تحرير  
لفلسطين كلها ، الى اقامة دولة علمانية يتعايش فيها جميع الاديان ، الى  
ازالة آثار العدوان ، الى تكوين دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع  
غزة والقدس العربية ، الى الحكم الذاتى ، الى غزة فتط أى سلسلة  
من التنازلات لم تنته بعد • الى متى هذا الرفض الخاسر ؟ ولماذا لا  
نقبل الممكن اليوم ، أى شىء ونحصل عليه ونتمسك به • ونجعل ذلك  
بداية طريق طويل لأزيد من المكاسب حتى ولو كان الثمن باهظا : اعتراف ،  
وصلح ، ومفاوضة ! ويكون الامر أكثر خطورة عندما يقال : وما الغريب  
في هذا التحول التاريخى وقد كان جمال عبد الناصر مؤسس نهضة مصر  
الحديثة ورائد القومية العربية ، وزعيم الامة ومحقق وحدتها والذى  
مازالت الجماهير تهتف باسمه بصوت عال في العالم العربى ، وبصوت  
مكتوم في مصر ، هو الذى بدأ هذا الطريق خاصة بعد هزيمة العرب في  
يونيو - حزيران ١٩٦٧ - وقبوله مشروع روجرز ، وعدم رفضه لمبدأ

التعايش السلمى مع اسرائيل اذا ما انسحبت من الاراضى المحتلة وعادت الى حدوده يونيو - حزيران ١٩٦٧ ، وحديثه عن الحل السلمى . واعتماده على قرارات الامم المتحدة والشرعية الدولية . وبدايات غزله مع أمريكا ، وضيقة من الروس ، ورغبته فى تحرير النظام الداخلى فى مصر من قبضة الدولة على مظاهر النشاط الاقتصادي خاصة ؟

ومن ثم يكون السؤال بالنسبة لنا هو الآتى : هل اهتزت قناعات جيلنا واثارت الشكوك فى وجداننا عن هذه المبادئ التى كانت مسلمات فى وعينا التومى وعليها قام أكبر مشروع سياسى حديث منذ محمد على فى القرن الماضى ؟ هل هناك تراجع فى موقف عبد الناصر من قضية الاستعمار والصهيونية وطابعها العدوانى التوسعى العنصرى أم أن هناك مبادئ أساسية لم تتغير حتى فى أحلك فترات الهزيمة التى كان الغرض منها فرض الصلح بالقوة على العرب والاعتراف باسرائيل ؟ هل كان يتصور الصراع بين التومية العربية والصهيونية صراعا جوهريا أساسيا ، لا بقاء لاحدهما الا بقاء الآخر ، فالتناقض بينهما مبدئى لا مرحلى ، جوهري لا عرضى أم أنه صراع مؤقت يعكس ميزان القوى المحلية والدولية ، ليس له أولوية مطلقة على باقى أشكال النضال العربى مثل التنمية والوحدة ؟ هل كان عبد الناصر ، بحديثه عن التسوية الممكنة ، والتعايش السلمى ، والحل السياسى ، وبقبوله مبادرة روجرز فى آخر عام من حياته ينوى حقيقة الصلح مع اسرائيل أو الاعتراف بها أو التفاوض معها ؟ ألم يعط مشروع روجرز الحد الأدنى من المطالب العربية : ازالة آثار العدوان ، وأعطى اسرائيل كل ما تتمناه من اعتراف ، وصلح ، ومفاوضة ، ومرور فى الممرات المائية بما فيها قناة

السويس ؟ ألم يقبل ناصر مفاوضات غير مباشرة عن طريق مهمة السفير يارنج المبعوث الدولى وممثل الامم المتحدة أو بمباحثات الدول الاربع الكبرى ، أو باتفاق القوتين العظميين ، أو حتى بالحديث عن « صيغة رودس » عام ١٩٤٩ ؟

مهمة هذا البحث اذن هو الاجابة علي هذا السؤال • ليس بهدف الهجوم على شخصيات عربية في موطن الحكم أو خارجه ، حية أو متوفية بل لتحليل مواقف تاريخية في جيلنا • فما حدث لا خذى فيه ولا عار منه لانه أصبح وانما لا يمكن تجنبه ، تتوارثه الاجيال ، وتعى دروسه ، ويكون جزءا من خبراتها • وبالرغم من كونها موضوعات مكررة ومعروفة مثل الطابع العدوانى لاسرائيل ، تحالف الاستعمار والصهيونية ، اسرائيل كراس جسر للاستعمار ، حقوق شعب فلسطين ، قرارات الامم المتحدة ، مأساة ١٩٤٨ ، العدوان الثلاثى فى ١٩٥٦ ، قضايا التسليح الا انها هى التى شكلت الموقف العام ، وحددت عناصر الاجابة على هذا السؤال : عبد الناصر وقضية الصلح مع اسرائيل • فالتكرار بالنسبة لنا قد يكون تثبيتا لتفاعلتنا وابرزا لعناصر موقف جيل بأكمله •

ولا خوف أيضا من الوقوع فى الخطابة السياسية • فهى على كل حال قد شكلت مفاهيم جيلنا ورؤيته للصراع • وقد لعبت دور الايديولوجية لدى الجماهير العربية نظرا لغياب ايديولوجية نظرية محكمة بديلة • وقد كانت خطب عبد الناصر ، وتصريحاته ، وأحاديثه ، ومؤتمراته الصحفية احداثا فى عالمنا العربى وعلى الصعيد الدولى مثل خطاب تأميم قناة السويس فى ١٩٥٦/٧/٢٦ أو مؤتمره

الصحفي العالمي في ١٩٦٧/٥/٢٨ قبل الهزيمة بأسبوع واحد • لذلك  
اعتمدنا أساسا على هذه المادة لتحليل رؤيته لقضية الصلح مع اسرائيل •

ورؤية الزعيم تكشف عن بواعثه ، وتبنى دوافع قراراته السياسية  
وليست مجرد موضوع نظري لا صلة له بالاحداث السياسية • فالسياسة  
هي البواعث ، والبواعث هي التي توجه الرؤية ، وتبين « الحالة  
النفسية » • فالسياسة أحيانا ايحاء وبث في الروح وهو ما يسمى باللغة  
النوعية « سلاح الردع » • الخطابة السياسية ليست مجرد «ديماجوجية»  
بل هي قناعات وجدانية لجيل بأكمله بالرغم مما يشوبها من حدة الانفعال  
ونفص التصور النظري(١) •

### ويمكن معالجة الموضوع بطريقتين :

الاولى تتبع مراحل فكر عبد الناصر وتطور مواقفه بالنسبة  
لقضية الصلح مع اسرائيل • ويتضح ذلك من سلسلة المعارك المتتالية  
التي خاضها في جملة نضاله السياسي ضد الاستعمار والصهيونية

---

(١) اعتمدنا على المجلدات الخمس التي نشرتها وزارة الارشاد  
القومي ، مصلحة الاستعلامات ، القاهرة بالجمهورية العربية المتحدة بعنوان  
« مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر » الاول  
١٩٥٢ — ١٩٥٨ ، والثاني ١٩٥٨ — ١٩٦٠ ، والثالث ١٩٦٠ — ١٩٦٢ ،  
والرابع ١٩٦٢ — ١٩٦٤ ، والخامس ١٩٦٤ — ١٩٦٦ . وقد نشر الاهرام ،  
مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، مجلدين بعنوان وثائق عبد  
الناصر ، خطب ، احاديث ، تصريحات ، الاول ١٩٦٧ — ١٩٦٨ والثاني  
١٩٦٩ — ١٩٧٠ وسميها السادس والسابع سهولة للاحالة . واقتصرنا  
على رقم المجلد والصفحة .

والزجعية • كان البعض منها داخليا مثل ربطه بين الصهيونية والشيوعية ابان أزمة مارس في مصر ١٩٥٤ والصراع على السلطة ، ولكن الاكثر منها كان خارجيا مثل ربطه أيضا بين الصهيونية والشيوعية ابان خلافه مع « قاسم العراق » في ١٩٥٩ • ولكن المارك الاساسية كانت في محاولة الصهيونية الواقعية بين الثورة والغرب لمنع اتفاقية الجلاء في ١٩٥٤ ، ومغزوة كسر احتكار السلاح وصفقة السلاح التشيكي في ١٩٥٥ ، والعدوان الاسرائيلي على غزة في ١٩٥٥ ، والعدوان الثلاثي في ١٩٥٦ الذي جعل ناصر يربط بين الصهيونية والاستعمار ، ويكشف عن طبيعتها العدوانية • ثم معاركه من أجل الوحدة في ١٩٥٨ ، ومناهضة الصهيونية للقومية العربية ، وتأبيدها للانفصال في ١٩٦١ • ثم معاركه من أجل التقدم السياسي والاجتماعي وبناء الاشتراكية ومقاومة الرجعية لاعادة البناء الداخلي للامة العربية قبل دخولها معركة التحرير ، تحرير شعب فلسطين من العدوان الصهيوني • ثم معارك تحويل مياه نهر الاردن في ١٩٦٤ ، وسياسة مؤتمرات القمة ، ومحاولة اقامة دفاع عربي مشترك ، وابرار الكيان الفلسطيني • ثم محاربة الصهيونية كحركة تحرر مضادة ، وحصارها في آسيا وافريقيا ودول عدم الانحياز في ١٩٦٤ • ثم معركته ضد ألمانيا وتسليح اسرائيل وتعويضها والاعتراف بها في ١٩٦٥ ، والوقوف أمام دعوة الصلح التي ألقى بها بورقيبة في ١٩٦٥ ثم الشناه والدعوة الى الحلف الاسلامي في ١٩٦٦ • وأخيرا صموده بعد هزيمة يونيو - حزيران ١٩٦٧ ، ورفض المفاوضات المباشرة ، والصلح ، والاعتراف ، ورفضه الحلول الجزئية ، وربط ذلك كله أولا وأخرا بقضية فلسطين وحقوق شعب فلسطين •

والثانية ، وهي التي اخترناها ، بناء الموضوع ذاته بصرف النظر

عن المواقف التاريخية ، وجعله تصورا ثابتا ودائما حدد رؤية عبـد الناصر ، كان الدافع وراء قراراته يتـوم أولا على بيان المبادئ الاساسية والتناقضات الجوهرية بين القومية العربية والصهيونية ، بين الاستعمار والتحرر ، بين العدوان وحقوق شعب فلسطين ، بين الرجعية والتقدم . ثم يبني ثانيا النتائج المنطقية والحقائق الفعلية المترتبة على هذه المبادئ الاساسية مثل استحالة الصلح والاعتراف والمفاوضة مع الكيان الاسرائيلي . وادانة كل محاولة لتحقيق هذا الهدف مثل دعوة الشاه أو بورقيبة أو اعتراف ألمانيا بإسرائيل أو تحقيق الهدف السياسي من عدوان يونيو - حزيران ١٩٦٧ .

#### ثانيا : المبادئ الاساسية والتناقضات الجوهرية .

لم تكن منطلقات عبد الناصر الاعتبارات العملية في رؤيته لقضية فلسطين مثل الرخاء ، وتوفير الغذاء ، وزيادة المدخرات ، وذلك كانه لشعب مصر الذي أضنته الحروب ، وأنهكته المعارك ، وأفقرتة ميزانية التسليح . بل كانت منطلقاته مبادئ أساسية في غاية الوضوح والبداهة: تؤيدها الحوادث ، وتثبتها الوقائع ، ويمكن التحقق من صدقها في التاريخ . هذه المبادئ تحتوى في ذاتها على تناقضات جوهرية لا حل لها الا الصراع مثل التومية والعنصرية ، التحرر والاستعمار ، التقدم والرجعية ، فلسطين واسرائيل . لا بقاء لاحدهما الا بنفى الآخر . ويظهر ذلك على النحو الآتى :

#### ١ - الجريمة العنصرية :

يرى عبد الناصر أن مجرد ذكر فلسطين يعيد الى ذهن كل عربى



والى ذهن كل انسان أكبر جريمة دولية ارتكبت في تاريخ الانسانية كلها • لقد شهد التاريخ من حين الى حين توسع دولة أو انتقاص أراضيها • ولكن نم يشهد التاريخ مثل هذه المحاولة لاحلال شعب بأكمله محل شعب آخر ، واقصاء قومية بأكملها وزرع قومية أخرى بديلة عنها • وطرد وتشريد جنس ووضع جنس آخر مكانه • فحلت الصهيونية محل القومية العربية في فلسطين ، وقامت اسرائيل دولة ملفتة على عدة أجناس مختلفة ، يتكلمون لغات متباينة ، بدعوى الجنس الواحد • كانت جريمة الاعتداء على مقدسات الامم والافراد ، تلك المقدسات التي لا يجرؤ أحد على الاقتراب منها أو المساس بها • ان قضية فلسطين نقطة سوداء في حضارة القرن العشرين • ولا تعادلها الا جريمة العنصرية البيضاء في جنوب أفريقيا ، كلاهما استعمار استيطاني وزرع لاجسام غريبة لدى شعوب أخرى • ومن هنا أتت مناصرة جميع حركات التحرر في افريقيا وآسيا للقضية الفلسطينية (٢) •

وكان وعد بلفور عام ١٩١٧ في تصور ناصر بداية الطريق نحو نهاية فلسطين • كانت فلسطين أكثر من زميل في حلف • وكانت تحت الانتداب البريطاني وتحت كنفه ورعايته ، ميسئول عنها أمام عصية الامم • ومع ذلك سلمها الاستعمار ، وباع شعبها • لقد خلق الاستعمار اسرائيل ، ومكنت بريطانيا اليهود من الهجرة الى فلسطين • كان اليهود أيام وعد بلفور لا يمثلون أكثر من ٥٪ من مجموع السكان • ومع ذلك وعدهم

---

(٢) ج ١ ص ٢٨١ في ١٩٥٥/٧/٢٣ ، ص ٨٧ في ١٩٥٦/٢/١٣ •

بفلسطين العربية. • وبدأت العصابات الصهيونية في تشريد الشعب ، شعب فلسطين ، حتى اغتصبوا الارض بالرغم من قتال شعبها دفاعا عن وطنه ، وأهدرت آدمية الاهد وقومية الشعب تحت سمع وبصر الامم المتحدة ، وبموافقة بعض الدول الكبرى ارضاء للمنظمات الصهيونية . وفي مقابل ذلك لم تطرد الشعوب العربية أى يهودى بينها ، بل كان لليهود عصرهم الذهبى فى الاندلس فى القرن الثالث عشر الميلادى بين العرب ، لم تطرد مصر أى يهودى أثناء العدوان الثلاثى لانه يهودى بل لانه انجليزى أو فرنسى • ومن ثم فاسرائيل دولة عنصرية لا تعترف بأية قومية أخرى ، ولا تسلم بحقوق أى شعب آخر • ويظهر ذلك من سلوكها الانانى حتى انها لتعتقد أن تفكير الناس جميعا ينصرف اليها ، وأنه لا يوجد من الامور والمشاكل ما هو أعظم أو أكبر منها ، وهى مشكلة فريدة من نوعها تختلف عن مشكلة برلين • فبرلين لا خلاف عليها ، مقسمة أو غير مقسمة ، محتلة أو غير محتلة • أما مشكلة فلسطين فقد طرد شعب من أرضه وأغتصبت أملاكه وحل محله شعب آخر فى حين بقى الشعب الالمانى كما هو سواء فى برلين الشرقية أو فى برلين الغربية لم يتزحزح عن أرضه •

ويينتهى ناصر الى النتيجة الآتية « لن ننسى فلسطين أبدا ، ولن ينسى العرب المؤامرات التى دبرت للقضاء على القومية العربية فى فلسطين ، مؤامرات الصهيونية والاستعمار • ان آلام شعب فلسطين المشردين وعذابهم كفيل وحده بأن يقضى على كل حجة تساق للدفاع عن اسرائيل أو تبرير عدوانها المتكرر • لا مساومة اذن على الجريمة

العنصرية ولا اعتراف بمن ارتكبوها» (٣) •

## ٢ — الطبيعة العدوانية :

ومنذ بدايات الحركة الصهيونية تظهر طبيعتها العدوانية في طرد شعب فلسطين واحلال شعب آخر بدلا عنه ، وتكرار العدوان على الشعوب العربية دون أى التزام بترارات الامم المتحدة • وكانت قمة العدوان في الغارة الوحشية على قطاع غزة التي دبرها بن جوريون في ١٩٥٥/٢/٢٨ والتي وصفها رجال الامم المتحدة بأنها اعتداء وحشي بربرى للحصول على كميات من الاسلحة من فرنسا • كانت هذه الغارة نقطة تحول في تاريخ الثورة المصرية ، وناقوس الخطر وبداية التفكير في « التوازن في المنطقه » الذي كان يعنى بالنسبة للغرب حفظ ميزان القوى باستمرار لصالح اسرائيل • لم بدأت العدوان من جانب مصر كما تقول وثيقة « المخابرات البريطانية » فان جميع الظواهر تدل على أنه ليس لمصر أية نوايا للعدوان • وان مصر لقليلة الثقة في أن الحكومة الاسرائيلية سوف تنتهج سياسة سلمية • لقد صرح بن جوريون في أنه قتل ٢٩ من رجال مصر في الاعتداء على غزة حتى يثير الخوف في نفوس المصريين كما أراد بيجين أن يثير الخوف في نفوس الفلسطينيين في مذبحه دير ياسين • ثم كان أكبر دليل على طبيعة العدوانية للصهيونية المدوان الثلاثي في ١٩٥٦ ثم عدوان ١٩٦٧ •

---

(٣) ص ٢٨٧ — ٢٨٨ في ١٩/٢/١٩٥٥ ، ص ٢١٦ في ١٣/٩/١٩٥٤ •

لذلك كانت قضية التسليح قضية جوهرية من أجل الدفاع عن  
الامة العربية • فلا يقابل العدوان الا بالدفاع ، ولا تقابل القوة  
الا بقوة مثلها • فمصر ترد بالقوة على كل اعتداء لاسرائيل بالاعتماد  
على ميثاق الضمان الجماعى العربى • ومن ثم كانت قضية كسر  
احتكار السلاح قضية جوهرية فى اول الثورة المصرية حتى تتمكن  
مصر من الدفاع عن نفسها ورد العدوان • فعقدت صفقة الاسلحة  
التشيكية بعد الغارة على غزة وفى نفس السنة والتى كانت بداية  
للتعاون فيما بعد مع المعسكر الشرقى • وكانت انجلترا تمد اسرائيل  
بالسلاح وتمنعه عن العرب أثناء حرب فلسطين • فاسرائيل تتسلح  
بواسطة من خلقوها حتى تصبح سيفا مسلطا على العرب • ثم أخذت  
اسرائيل أسلحة من فرنسا وبلجيكا وكندا وأخيرا امريكا ليعادل مجموع  
ما يأخذه العرب من أسلحة • فلما اعتمدت مصر على السلاح الشرقى  
قال الغرب أنه سلاح شيوعى • والحقيقة أن هذا التسليح الشامل  
لاسرائيل يجعلها أكثر قدرة على التوسع والعدوان • بل ان اسرائيل  
تحاول امتلاك القنبلة الذرية فى حين أن مصر قد وثقت على معاهدة  
منع انتشار الاسلحة النووية حتى تشمل اسرائيل الكبرى فلسطين  
والاردن والسعودية واليمن والخليج العربى كله وسوريا ولبنان  
وجزاء من العراق حتى نهر الفرات وصحراء سيناء كلها حتى قنساء  
السويس •

ويأخذ العدوان الصهيونى فى تصور ناصر طابعا توسعيا ،  
ويعتبر فلسطين ركيزة أولى للانتشار حتى يتحقق الحلم الصهيونى ،  
« من النيل الى الفرات » • والذى يتتبع خريطة اسرائيل منذ ١٩٤٨

حتى الآن يجد اتساع رقعة الدولة ، توسعوا على حساب المنطقة المنزوعة السلاح ، ثم مضائق تيران بعد العدوان الثلاثي ، ثم احتلال أراضى سيناء والضفة الغربية والجولان وغزة في عدوان ١٩٦٧ • وقد أثبت عدوان ١٩٦٧ أن القضية ليست فلسطين بل التوسع وتحقيق الحلم الصهيوني • لقد كانت محزنة في اسرائيل عندما انسحبوا في مارس ١٩٥٧ من غزة ، وكان بن جوريون يبكي ومعه نوابه لانهم كانوا قد ضموا قطاع غزة الى اسرائيل ، واعلنا أن غزة تمثل الجزء الباقى من فلسطين العربية وهو حق اسرائيل • أراد الاستعمار اختبار قوة مصر ومحاصرة جيش مصر بين فكي كمامشة في سيناء في ١٩٥٦ قدفعوا باسرائيل للقيام بالمهمة • هاجمت اسرائيل الحدود المصرية التي أعلنت مع الاستعمار في « التصريح الثلاثي » ضمان سلامة الدول العربية واسرائيل ثم دفن هذا التصريح في بورسعيد • واثر عدوان ١٩٦٧ قال ديان وزير دفاع اسرائيل لشباب حزب العمل : لقد صنع آباؤنا حدود ١٩٤٧ ، خطة الامم المتحدة للتقسيم ، وصنعنا نحن حدود ١٩٤٩ ، وصنعتم أنتم حدود ١٩٦٧ ، وسيمد جيل آخر الحدود الذى ينبغى أن تكون فيه •

وبالتالى تمثل اسرائيل بالنسبة للامة العربية خطرين : الاول ، نعرض الشعب الفلسطينى للابادة والطرده من بلاده ، وحرمانه من ممتلكاته ووطنه • والثانى التوسع الاقليمى بحيث تستطيع اسرائيل توطئ ملايين من المهاجرين من أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتى حتى تستولى على مزيد من الارض وعلى مصادر الحياة • ثم تأتى الهجرات المتتالية كما صرح بن جوريون بأنه يأمل أن يصل عدد المهاجرين ليس الى الآلاف بل الى عشرات الآلاف • فتفتتح الهجرة

من البلاد الشترية ، وترفع قيود الهجرة من الاتحاد السوفيتي •  
والهجرة من شرق أوروبا. قدرة على احضار ما بين ٢٥٠ — ٣٠٠ ألف  
يهودى ، ومن الاتحاد السوفيتي ٣٥ مليون يهودى • فإذا كانت  
اسرائيل قد أحضرت مليوناً من المهاجرين فى العشر سنين الماضية ،  
فإنها تأمل أن تحضر ما بين مليون ومليونين فى العشر سنوات القادمة •  
وبالإضافة الى الاقتصاد المنهار ، وبثلاثة أرباع ميزانية الدولة من  
الخارج لا يسع اسرائيل الا التوسع على حساب مزيد من التشريد  
لأمة العربية (٤) •

### ٣ — صنيعة الاستعمار :

لقد نشأت اسرائيل — فى تصور عبد الناصر — فى كنف الاستعمار •  
واحتلت وغزت وتوسعت كحليف للاستعمار • كان لبريطانيا الانتداب  
فى فلسطين ولكنها سلمت فلسطين لليهود ، وساعدتهم على الحصول  
على السلاح • يستعمل ناصر التعبيرات التى أصبحت شعارات وعنوانا  
لتصورنا لاسرائيل « رأس جسر » للاستعمار ، « مخلب قط » ، « الطعم  
الحقير » ، « الكلب الامين » • فبعد أن وعد الاستعمار العرب  
التخلص من الأتراك نكث بوعده ، وعملت بريطانيا على تقسيم البلاد  
العربية لبث الفرقة بينها • وكشف العدوان الثلاثى على مصر فى  
١٩٥٦ ذلك بوضوح عندما استخدم الاستعمار اسرائيل فى هذا  
العدوان لتكوين رأس جسر له على البلاد لتهديد العرب ، وتفتيت

---

(٤) ج ٣ ص ١١٤ — ١١٥ ، ص ١٤٠ ، ص ٥٠٣ فى ٢٦/٨/٦١ •  
ج ٢ ص ٢٩٣ — ٢٩٥ فى ٢١/٢/١٩٥٩ •

انقومية العربية حتى يرتقى العرب في أحضان الدول الاستعمارية ويطلبوا منها الحماية ضد إسرائيل ، فبعد أن خرجت توات الاحتلال من مصر بدأت اعتداءات إسرائيل على الحدود حتى نفضم الى الاحلاف ونطالب الدول الاستعمارية بحمايتنا ضد إسرائيل ، فندخل في حلف بغداد ، فيخرج الاستعمار من الباب ويعود من النافذة . وعلاقتها بالاستعمار علاقة ابتزاز واستغلال ، تدعى الصهيونية أنها مهددة كي تستحوذ على أكبر قدر ممكن من المال من الدول الاستعمارية . وبالتالي تخضع أوروبا للصهيونية كما هو واضح في مذكرات وكتابات قادتهم ، وكان الصليبية القديمة مازالت تكشف عن جذورها في الوعي الاوربي ، وكان أوروبا تريد التكفير عن أخطائها بالنسبة لليهود فأثرت التسليم بمطالب الصهيونية على حساب العرب . ولم تكن الصهيونية في فلسطين وحدها بل كان وراءها النفوذ الصهيوني في العالم ، والاستعمار العالمي بالمال والتأييد والمساعدة . فإسرائيل لا تمثل للمصريين أو للعرب أو للكتلة الآسيوية الأفريقية وللضمير العالمي عدوانا إجراميا أو عسكريا ضدها في هذه المنطقة من العالم فحسب بل تمثل شيئا آخر وهو السيطرة على شعوب المنطقة كلها من خلال هذه الدولة العنصرية المزروعة ، تمثل ضغطا أجنبيا على العرب . لقد صورت الصهيونية في نيويورك قلب أمريكا أن العرب هم المعتدون وأن إسرائيل هي الضحية . والحقيقة أن إسرائيل هي المغتصبة وأن شعب فلسطين هو الضحية .

وبعد الاستعمار البريطاني ، اعتمدت الصهيونية على الاستعمار

الامريكى بعد الحرب العالمية الثانية بعد أن ظهرت أمريكا كقوة  
استعمارية أولى تخلف الاستعمار البريطاني العتيد \* فالنفوذ الصهيونى  
فى أمريكا له تأثير كبير ، ويقف حائلا بين العرب وأمريكا ومن ثم  
« فانه من الغبث أن ينشد العرب عون أمريكا لان السياسة الامريكيين  
يضعون فى اعتبارهم أصوات اليهود فى الانتخابات الامريكية \* وانى  
على يقين بأن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تفعل أى شىء بالنسبة  
للمشعوب العربية » \* يتحدث الصهاينة فى أمريكا فى مجلس الشيوخ  
عن الحرية ، حرية الشعوب ، ولكنهم لا يعنون حرية الجزائر أو  
حرية فلسطين أو حرية عمان أو حرية جنوب أفريقيا \* يتحدثون  
عن حرية الملاحة لانها تخدم أغراض الاستعمار والصهيونية \* ولا  
يتحدثون عن حرية شعب فلسطين \* فلتحرر أمريكا من الصهيونية  
ولتحرر صحافتها من نفوذها أولا (٦) \*

وبالتالى لن تقدر أمريكا أن تفعل للعرب أى شىء بل انها  
تحاول ادخال المنطقة العربية فى الاحلاف حتى تواجه مصر اسرائيل  
وحدها « لم أدرك أن اسرائيل مسألة حيوية لادول الغربية الا قبيل  
ذهابى الى مؤتمر باندونج فى العام الماضى \* فالغرب يريد حماية  
اسرائيل قبل كل شىء \* ولو نجحت خطة الغرب لاصبح العالم العربى  
بانسره متجها بنظره الى الشمال ، ومصر وحدها لاسرائيل » \*

ولن تتحسن العلاقات بين مصر وأمريكا حتى توقف أمريكا  
انحيازها لاسرائيل « وليس يجدى فى ذلك أن نبدى النوايا الطيبة

---

(٦) ج ١ ص ٣٨١ فى ١٩٥٥/٧/٢٠ ، ج ٣ ص ٢٤٧ فى ١٠/١٠/



من ناحيتنا أو من ناحيتكم وانما الحقائق العملية هي وحدها التي يعتد بها « . فالعرب راغبون في علاقات المودة مع الولايات المتحدة . واكنهم ينتظرون أن يعاملوا نفس المعاملة التي تحظى بها اسرائيل . ان السياسة الامريية سائرة في تحقيق هدفها ، وهو أن يتصور الناس هنا في المشرق العربي أن أمريكا عاجزة عن تحقيق أى غرض في صالحهم . كما أن من أهدافها تحويل الانظار عن اسرائيل وتوجيهها نحو خطر شيوعى مفتعل على سوريا ، وتفتيت الاجماع العربى على أن اسرائيل هي مكن الخطر وليست الشيوعية . وتتركز أهداف السياسة الامريكية تجاه العالم العربى في تصفية مشكلة اسرائيل على أساس الامر الواقع أى تحويل خطوط الهدنة مع اسرائيل الى خطوط دائمة واهدار حقوق شعب فلسطين . وبالنسبة لاسرائيل كانت أهداف أمريكا تحويل الانظار الى بعض الدول العربية الحليفة ، وأخيرا ربط الدول العربية في نطاق واحد مع اسرائيل تقوم فيه أمريكا بدور التوفيق والتنسيق في جميع النواحي العسكرية بحيث أن اسرائيل لم تعد في الحقيقة عدوا للدول العربية بل زميلا لهم في حلف مثل مشروع ايزنهاور ومشروع الدفاع عن الشرق الاوسط الذى رفض في ١٩٥١ وأيام حلف بغداد (٧) .

ويربط عبد الناصر بين الصهيونية والشيوعية . فالاستعمار واحد بصرف النظر عن مصدره ، من الغرب أو من الشرق . وقد

---

(٧) ج ١ ص ٤٦٠ في ١٩٥٦/٣/٢٦ ، ج ٣ ص ١١٧ في ١٩٦٠/٣/٢١ ، ص ٤٢٤ في ١٩٦٠/١٠/٦ .

ظهر هذا الربط في أوج معركتنا مع الشيوعيين في ١٩٥٤ في مصر وفي ١٩٥٩ في مصر والعراق • فالشيوعيون في رأى عبد الناصر أكبر عون للصهيونية • كما تعمل الصهيونية على ايجاد تنظيمات شيوعية تخدع الناس تحت بعض الاسماء المخلابة البراقة مثل الحرية والديمقراطية • وتخدع الناس بكلام معسول عن المساواة ورفع مستوى العامل والفلاح والاختذ بيد الفتيير • وكان يمول أكبر منظمة شيوعية في مصر كورييل الصهيونى • ويستعملون طرقا معينة للتضليل كى يمكنوا الصهيونية العالمية من احتلال وادى النيل وجزءا من العراق وجزءا من المملكة العربية السعودية • وهم لذلك يثيرون بعض الشعب وينسبونهم الى الشعب باسم الشيوعية وهم فى الحقيقة جماعة صهيونية قامت بعمل حرائق فى بعض المدن والمنشآت الوطنية •

ويتهم ناصر اسرائيل بأنها تشاطر الشيوعيين فى موقفهم عن قصد أو عن غير قصد حينما تسعى للحيلولة دون الوصول الى تسوية سلمية لمشكلة قناة السويس التى دامت ٧٢ عاما وعقد اتفاقية جلاء قوات الاحتلال البريطانى عن قناة السويس فى ١٩٥٤ • فقد عقد الشيوعيون والصهيونيون عزمهم على تعطيل التسوية لان الاضطرابات فى العالم العربى لا تخدم الا العناصر الهدامة • وقد ثبت فى مصر أن كلا الفريقين قد دبرا مؤامرة لحرق مكتب الاستعلامات الامريكى بالقاهرة لان الكفاح المسلح هو الطريق لمحاربة الاستعمار •

كما عمل كلا الفريقين لهدم القومية العربية وبالتالي كانا خليفتين للرجعية والاستعمار • اذ يحارب الشيوعيون فى العراق القومية

العربية ويتركون محاربة الصهيونية • وقاسم العراق في رأى ناصر حليف للشيوخيين والبريطانيين والصهيونيين • كان هذا الموقف في بداية الثورة المصرية وابان معركتها ضد خصومها • فاذا كانت الصهيونية تستعمل الافكار الاثترابية أحيانا للانتشار فان الشيوخيين ليسوا حلفاء للصهيونية • ويستعمل ناصر العداء الشعبى للصهيونية ويوجهه ضد الشيوعية التى تبناها خصومه السياسيون • ومع ذلك فان هذا الربط بين الصهيونية والشيوعية لا يمثل عنصرا جوهريا في تصوره للصهيونية بدليل أنه لا سئل عنه بعد انتهاء معركته مع قاسم لم يجب عنه نظرا لانتهاء الموضوع بانتهاء المعركة (٨) •

#### ٤ - التحالف مع الرجعية :

وكانت مأساة ١٩٤٨ أكبر دليل على أن الرجعية العربية أكبر حليف للصهيونية • فقد كان الفساد والغدر والخيانة من أهم أسباب الهزيمة الاولى في فلسطين • لم يحارب الجيش ، وراح ضحية الغدر والخيانة والهدنة ، وخسر العرب الحرب نتيجة للانهيار والفساد السياسى الذى كان نتيجة للفساد الاجتماعى • لقد باع الملك عبد الله العرب وفلسطين الصهيونية واسرائيل • فكان قائدا للجيش العربية • أمر بالانسحاب من اللد والرملة ، وقبل الهدنة ، حفاظا على العرش • وكان البعض الآخر يدخل المعركة بلا دبابات مع أن العرب كانوا يملكون المال • وكان باستطاعة الفلسطينيين شراء الطائرات •

---

(٨) ج ١ ص ١٢٥ فى ١٩/٤/١٩٥٤ ، ص ١٨٧ فى ٢٩/٧/٥٤ ، ص ٢٢٠ فى ١٣/٩/١٩٥٤ ، ج ٢ ص ٧٠٣ فى ١٣/١٢/١٩٥٩ ، ص ٤١٠ فى ٥٩/٤/٢٥ .

ثم أخذ البعض الآخر فيما بعد يؤيدون فلسطين بالخطب المنمقة  
وبتسمية اسرائيل « اسرائيل المزعومة » حتى يتأثر العرب وتنبعث  
الطمأنينة في نفوسهم • ويصيح ناصر « اتجهوا الى العمل لانقاذ  
فلسطين » • سلم الاستعمار اليهود فلسطين ولم يفعل العرب شيئاً ،  
انخدعوا وراء الكلام المعسول ، وظلمهم زعمائهم حرصاً على مآربهم  
الشخصية ، ولم يستعملوا سلاح البترول •

وأراد الاستعمار أن يشطر للعالم العربي شطرين • فأقام اسرائيل  
لقطع كل المواصلات البرية بين مصر والدول العربية شرق السويس •  
كان منطق الاستعمار في زرع اسرائيل هو تمزيق الوحدة الجغرافية  
للعالم العربي من ناحية وأن يقيم لنفسه وسط العالم العربي من  
ناحية أخرى. قاعدة يهدد منها الشعوب العربية وحتى يأمن مخاطر  
الوحدة العربية ، وليفصل بين عرب آسيا وعرب افريقيا ويقضى  
على القومية العربية ابتداء من القضاء على فلسطين (٩) •

لذلك كانت معارك التحرر العربي — كما يرى عبد الناصر —  
تهدف كلها الى تحرير فلسطين • فاذا كانت فلسطين قد ضاعت في ١٩٤٨  
بفعل الخيانة والغدر والتحكم واحتكار السلاح ، واستطاعت العصابات  
الصهيونية اغتصاب فلسطين ، وهزمت سبع جيوش عربية بسبب  
الخيانة ، خيانة الملوك ، وفساد النظم بالرغم من البيانات عن تحرير  
فلسطين فان كل معارك العرب اليوم من أجل القضاء على الاستعمار

---

(٩) ج ٢ ص ٢٨١ — ٢٨٢ ، ص ٨٧ — ٨٩ في ١٣/١٢/١٩٥٣ ،  
ص ٢٥٣ في ١٢/١٠/٦٠ ، ص ٢٣٢ في ١٧/٩/١٩٦٠ •

وأعوانه والاجراء وخدام الاستعمار . بل ان معارك العرب ضد الطائفية والانفصالية والانقسامية كلها من أجل تحرير فلسطين لان اسرائيل تعلم أن الوحدة العربية والنومية العربية خطر عليها . فمن أجل فلسطين حارب العرب في ١٩٤٨ فاكثشفوا قوتهم وضعفهم ، قوتهم في الوحدة والشرف وضعفهم في الفرقة والغدر . كان شعور العرب في فلسطين انه لا بد من الثورة السياسية والثورة الاجتماعية حتى تنتصر الثورة العربية . ويعبر عبد الناصر في فلسفة الثورة عن تمزقه وهو يعيش بخياله في مصر حيث كان الحكام في ذلك الوقت والانتهازيون يتاجرون بالقضية ، ويشترون الاسلحة الفاسدة . ويجمعون المال . كان القتال في القاهرة وليس في فلسطين . لذلك كانت الثورة المصرية رد فعل على مأساة فلسطين . وكما يتضح ذلك من « فلسفة الثورة » عندما كان بسرح خيال الضباط الاحرار في مصر ، بؤرة الفساد السياسى والاجتماعى في ذلك الوقت ، للقضاء على عملاء الاستعمار والخيانة ، والقيام بثورة سياسية واجتماعية في مصر . « ولكى نكسب معركة فلسطين لا بد من كسب معركة التحدى السياسى والاقتصادى والعسكرى » . فعلى ربي فلسطين ، وفي سهولها ووديانها ، وفي خضم مأساتها ، وفي معترك الخيانة والغدر والفساد ظهرت حركة الضباط الاحرار ، وتجمعت عناصر الثورة . وبدأ المتطوعون يقتفون أثر البطل أحمد عبد العزيز ، كان أغلبهم من الضباط الاحرار . وكان كمال الدين حسين أولهم . واستشهد عدد منهم . فبفضل مأساة ١٩٤٨ وقضية فلسطين بدأت بواكير اليةظة العربية (١٠) .

وفنتيجة لذلك تحالفت الصهيونية مع الرجعية لضرب حركة التحرر العربى ، والقضاء على الثورة العربية وانهاء التجربة الاشتراكية فى مصر . فقد كان ناصر يرى أن التحرر العربى مقدمة لتحرير فلسطين ، وأن كل ثورة عربية هو رصيد لقضية فلسطين . فكما أيقظت قضية فلسطين الوعى العربى فان الوعى العربى ، ردا للدين ، ووفاء بالجميل ، يكون شرطا لتحرير فلسطين . قد يأخذ ذلك وقتا طويلا ، وقد لا يسعف الاستعمار لا ينتظر . لذلك حاول الاستعمار أن يجهض الثورات العربية قبل أن تكتمل لتصفية المقاومة العربية من الداخل ، لقد أدركت اسرائيل خطورة الثورة العربية عليها اذا ما نجحت فى اجراء التحول العظيم وانتقلت من التخلف الى التقدم . لانها تدرك أن التقدم هى القاعدة التى يمكن للامة العربية أن تخوض عليها المعركة ضدها . ظنت اسرائيل الثورة انقلابا عسكريا ولم تدرك انها غيرا ثوريا وحركة تحرر عربى . كما ان اسرائيل كانت تخشى تقدم الشعب السورى وقوته وان ينهض صناعيا واجتماعيا لانه حين يتقدم سيكون أشد خطورة عليها . ويذكر ناصر فى ١٩٥٦ مقالا فى المجلة العسكرية الاسرائيلية بعنوان « الى دمشق » فيتول : اذا أردنا أن نهزم العرب فليس أمامنا الا أن نتجه الى دمشق . وان الغلطة الكبرى التى ارتكبتها الصليبيون حينما احتلوا البلاد العربية هو عدم احتلال سوريا كلها واخضاعها للصليبيين ، وهى الغلطة التى مكنت العرب من

---

١٩٦٠ ، ص ٢٦٩ فى ١٦/١٠/٦٠ ، ج ٥ ص ٢٢٩ فى ١٩٦٥/٣/٩ ،  
وايضا « فلسفة الثورة » ص ٥٥ - ٦٣ وزارة الارشاد القومى ، مصلحة  
الاستعلامات ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

الاتحاد والتخلص من الاستعمار الصليبي • وقالت صحيفة اسرائيلية ان الخطر ينبعث من سوريا لان بها المقومات الكبرى للتطور الاجتماعى السريع •

ان تخلف العرب هو الذى يضمن لاسرائيل البقاء على الارض العربية الى الابد • وان الخطر الاسرائيلى يتلشى حتى قبل المعركة العسكرية اذا تمكنت الامة العربية من أن تخلص نفسها من التخلف الذى فرضه الاستعمار عليها والذى تحاول الرجعية أن تفرضه بعد الاستعمار (١١) •

وتمثل اسرائيل فى تصور عبد الناصر احدى محاولات تمزيق الصف العربى ، وبث الفرقة بين العرب • فقد زرعت اسرائيل حتى تفصل المشرق العربى عن المغرب العربى ، واحتلت النقب حتى لا يمكن لعرب المشرق الاتصال بعرب المغرب • تسعى اسرائيل لتفريق كلمة العرب والحيلولة بينهم وبين أن يجتمعوا ويتفقوا ويستفيدوا من تراث بلادهم وما فى مركزهم الجغرافى من منعة • لذلك ظهرت قضية فلسطين فى فكر ناصر بصورة ملحة أيام الوحدة بين مصر وسوريا فى ١٩٥٨ - ١٩٦١ • وهى الفترة التى بلغت فيها التومية العربية الذروة وأثناء قيام الجمهورية العربية المتحدة ، وأثناء رحلاته الى الاقليم الشمالى ووجوده فى حمص ، وحلب ، وحماة ، ودمشق •

كما انزعجت اسرائيل من تفجر الثورة العربية فى اليمن ومساندة

انثورة العربية في مصر لها لان تحرك الشعب العربي في كل مكان كما  
صرح بن جوريون معناه تطويق اسرائيل • فقد كانت الجنود تهتف عائدة  
من اليمن : فلسطين • • فلسطين (١٢) •

لذلك عادت اسرائيل الوحدة العربية وهلت للانفصال ، لانها تعلم  
ان وحدة الامة العربية تهدد وجودها ذاته لانها قامت على أنقاض  
هذه الوحدة • بل ان اسرائيل كانت وراء الانفصال ، ووجهت نداءات  
الى شعب غزة للثورة على مصر من أجل تسليمها للملكة الاردنية  
وبالتالى الى الاستعمار والصهيونية • لقد ضاعت الوحدة والامل لتحرير  
فلسطين بفعل الطابور الخامس وعملاء الرجعية • فالاستعمار والصهيونية  
والرجعية تود كلها التخلص من الوحدة العربية • تدافع اسرائيل عن  
خصوم مصر وتهاجم ناصر ، وتؤيد الانفصال وتهاجم الوحدة •

كانت الغاية النهائية من انشاء اسرائيل ضرب القومية العربية  
بمضمونها الثورى في معاداة الاستعمار والتخلف والرجعية والصهيونية،  
وهي القوة التي بدأ يعمل لها الاستعمار حسابا لأول مرة في التاريخ •  
فالصهيونية والقومية العربية على طرفي نقيض مثل الاستعمار والتحرر ،  
في وجود اسرائيل ضعف للقومية العربية ، وفي وجود القومية العربية  
نهاية لاسرائيل • القومية العربية هي اذن الدرع الواقى ضد اسرائيل  
وأطماعها • ويعترف عبد الناصر بأنه قبل الغارة على غزة في ٢٨/٢/١٩٥٥  
لم يشغل نفسه كثيرا بخطر اسرائيل • وكان يعتبر خطر اسرائيل مشكلة



السباق مع الوقت لبناء الوطن • كان خطر اسرائيل في حقيقة أمره هو ضعف العرب • ولولا هذا الضعف لما قامت اسرائيل لتغتصب من الوطن العربي بقعة من أقدس بقاعه وأطهر أراضيه • فاذا استطاع ناصر بناء مصر ، هذه الارض الكبيرة التي يحلم بينائها فان خطر اسرائيل يتلاشى • كانت مأساة فلسطين هي الصحوة الكبرى التي نبهت العرب الى محاولة التضاء على القومية العربية • فوجود اسرائيل وفكرتها تهديد للقومية العربية في فلسطين من أجل القضاء عليها كلية في هذه المنطقة • فبعد أن انهارت الدولة العثمانية ، حاولت أوروبا تحقيق أطماعها فتمسوا البلاد العربية بين فرنسا وبريطانيا • وحاول الاستعمار حينئذ القضاء على القومية العربية فزرعوا الصهيونية وقامت اسرائيل لتقضى على القومية العربية في فلسطين كمدمة للقضاء على العرب من النيل الى الفرات بداية بالهجرة ثم التوسع • وبالتالي أشعلت معركة فلسطين نار القومية العربية ، وقالت إحدى صحف اسرائيل أنه أثناء احتلال ملوك أوروبا لفلسطين وقع خطأ كبير لان القوات الصليبية لم تحتل العقبة وتفصل سوريا عن مصر • فلا مجال مطلقا لان تتحد سوريا مع مصر لان قيام اسرائيل بهذا الوضع لن يمكن التقاء القوى في مصر مع القوى في سوريا ، وان يمكن القومية العربية من أن تجتمع لتتغلب على اسرائيل كما تغلبت من قبل منذ ١٢٠٠ سنة على العدوان الاوربي وعلى جميع ملوك أوروبا (١٣) •

### ثالثا : النتائج المنطقية والحقائق الفعلية •

ينتج من هذه المبادئ الاساسية والتناقضات الجوهرية السابقة عدة نتائج منطقية يدركها العقل ببدايته وهي في نفس الوقت حقائق فعلية ووقائع يشاهدها الحس ، وتصديقها التجربة ، يراها كل منصف متجرد عن هواه • كلها تجعل الصلح مع اسرائيل بطبيعتها العدوانية التوسعية وبجرائمها العنصرية في فلسطين ، وبتحالفها مع الاستعمار والرجعية ، تجعله مستحيلا حتى ولو تم فرض تسوية بالحرب كما حدث بالفعل بعد عدوان ١٩٦٧ • فلا صلح ولا اعتراف ولا مفاوضة قبل ازالة آثار العدوان واسترداد حقوق شعب فلسطين وتطبيق قرارات الامم المتحدة حتى يقوم السلام على العدل • وكل دعوة للصلح أو للاعتراف كما حدث أيام الشاه وبورقينية وألمانيا تهدف الى تحقيق أطماع الصهيونية والاستعمار في المنطقة • وكل فرض للصلح وللمفاوضات المباشرة أو غير المباشرة هو تسليم للعدوان • ولكن الامكانيات العربية وحدها وقدرات الامة العربية وحدها هو الطريق الى الحل العادل الشامل •

#### ١ - شروط الصلح المستحيل :

يرفض ناصر أى حديث عن التسوية السلمية أو اقرار السلام في الشرق الأوسط ، قبل تحقيق شيئين : الاول ، ازالة آثار العدوان ، وانسحاب اسرائيل من جميع الاراضى العربية المحتلة ، والعودة الى خطوط ما قبل الخامس من يونيو — حزيران ١٩٦٧ : سيناء ، وغزة ، والجولان ، والضفة الغربية ، والقدس الشرقية ، وأى حديث عن التسوية قبل ذلك هو استسلام للعدوان ، ومكافأة على الاعتداء • ويرفض

ناصر في أية تسوية رجوع سيناء منزوعة السلاح باستثناء ثلاثة عشر كيلو مترا على الجانبين في سيناء والنقب ، فسيناء تمثل ٢٠٪ من مساحة مصر • كما يرفض أى تعديل في الحدود بين اسرائيل والدول العربية ، فالضفة الغربية ٧٠٪ من الاراضى الاردنية ، والجولان ١٥٪ من الاراضى السورية •

والثانى ، استرداد حقوق شعب فلسطين كما أقرتها الامم المتحدة بقراراتها العديدة والتي لم تنل حظ التنفيذ والتي تنص على حق شعب فلسطين في العودة الى وطنه والتعويض عن ممتلكاته • ان موقف مصر في رأى ناصر ثابت لا يتغير ، وهو رفض عقد أية معاهدة صلح مع اسرائيل الا بعد أن تقوم اسرائيل باحترام قرارات الامم المتحدة وتنفيذها ، وبعد أن تحترم شروط الهدنة التي تنقضها كل يوم • ولكن اسرائيل ما برحت تتحدى الامم المتحدة ، وتواصل غاراتها الوحشية على القرى الامامية التي أثارت سخط الرأى العام العالمى • ان أية مفاوضات مع اسرائيل يجب أن تكون لاقرار حقوق شعب فلسطين على أساس قرارات الامم المتحدة التي تنص على رجوع اسرائيل الى الحدود التي تضمنها مشروع التقسيم الاصلى وأن تدفع تعويضات للعرب وتسمح بعودة الراغبين منهم الى ديارهم وتدويل القدس • ومع ذلك فاسترداد حقوق شعب فلسطين ليس في حاجة الى مفاوضات بل الى تنفيذ قرارات الامم المتحدة بشأن فلسطين في ١٩٤٧ و ١٩٤٩ • ان حدود اسرائيل المتفق عليها هي حدود مشروع التقسيم في ١٩٤٧ ، « ليس الامر اذن هو حرب أو سلام ، خطر أو أمان بل هناك طريق ثالث وهو الطريق الى المنطق والحق وطبائع الاشياء ، وذلك هو طريق ميثاق الامم المتحدة وقراراتها ، ذلك هو

الطريق المفتوح » • بل ان ناصر يرفض وجود دويلة فلسطينية نتيجة لتفاوض الفلسطينيين مع اسرائيل • « فذلك مستحيل ولا يمكن للفلسطينيين أن يوافقوا عليه • فهم يعرفون أن مثل تلك الدولة ستكون ضعيفة وتحت سيطرة اسرائيل • انما البديل أن تقوم دولة لا تقوم على أساس دين واحد بل تكون فيها كل الاديان ، ويعيش فيها المسلمون والمسيحيون واليهود معا كما عاشوا من قبل قرونا طويلة • ربما يحدث ذلك في الاجيال القادمة • أما الزعماء الحاليون فهم قصيرو النظر ، ولكن بعض الاسرائيليين يفكرون الآن على نحو آخر • فالاخاء لا يكون على حساب الحقيقة •

لقد طالما ناقش الغرب حق اسرائيل في الوجود ، وحقها في الامن ، وحقها في الحدود المعترف بها ولكنه لم يناقش على الاطلاق حقوق الشعب الفلسطيني •

وبالتالى فان اقرار السلام بالشرق الاوسط رهن باحترام استتلال البلاد العربية والاعتراف بحقوق شعب فلسطين • ولن يكون هناك سلام في الشرق الاوسط طالما غابت حقوق شعب فلسطين « (١٤) •

ليست المسألة اذن مسألة حل عسكري ولا تسوية سلمية بل

---

(١٤) ج١ ص ٥١ في ٥٣/٨/٢٢ ، في ١٢/١١/١٩٥٥ ، ص ٤٣٣ —  
٤٣٤ في ١٨/١١/٥٥ ، ص ٤٥٥ — ٤٥٦ في ٢٧/٢/١٩٥٦ ، ص ٧٧٤ في  
٢٧/١/١٩٥٨ ، ج ٣ ص ١ — ٢ في ٨/٣/١٩٦٠ ، ج ٦ ص ٣٣٨ في  
١٩٦٨/٣/٤ .

مسألة عدوان وقع على شعب • وردا على سؤال : كيف تأملون في حل نزاعكم مع اسرائيل نهائيا بالمفاوضات السلمية أو بالحرب ؟ وعلى سؤال : لماذا تريدون القاء اليهود في البحر ؟ ألا يمكن قبول الامر الواقع والاعتراف باسرائيل أم أن الحرب هي الحل الوحيد ؟ شرح ناصر أبعاد الجريمة العنصرية التي تمت في فلسطين ليكسر بها حدة الدعاية التي أغرقت بها الصهيونية شعوب العالم مبينا أن مشكلة فلسطين لم يحدث مثلها في التاريخ • فقد كانت بريطانيا قائمة على الانتداب في فلسطين ، وكان الشعب الفلسطيني يمثل ٩٠٪ أو أكثر من سكان فلسطين والاسرائيليون ١٠٪ • فبتحالف الاستعمار والصهيونية على طرد شعب فلسطين من فلسطين واعطاء البلاد لاسرائيل لانتقام دولة مبنية على الدين كيف يمكن الاعتراف بالامر الواقع على هذا النحو ؟ هناك أكثر من مليون عربي طردوا من فلسطين ، سلبوا أملاكهم ، وتعرضوا للعدوان ، وتعرض أولادهم ونسائهم للقتل لانهم طردوا تحت الارهاب في ١٩٤٨ • ثم اتخذت الامم المتحدة قرارات عن طريق مجلس الامن تنص على عودة الفلسطينيين الى بلادهم ، وتعويضهم عن أملاكهم التي اغتصبت • فضرب بهذا الكلام عرض الحائط بل ان الامم المتحدة قررت أيضا في آخر ١٩٤٨ تكوين لجنة للتوفيق بين العرب واسرائيل واجتمعت في لوزان وكانت تتكون من الولايات المتحدة وفرنسا وتركيا وتتبع الامم المتحدة • بعد اجتماع واحد رفضت اسرائيل حضور اللجنة ، وأعلنت أنها لن تسمح لاي فلسطيني بالعودة الى وطنه • وفي اسرائيل اليوم ٢٦ مليون اسرائيلي بالاضافة الى ٢٠٠ ألف عربي يعاملون كمواطنين من الدرجة الثانية في مناطق مغلقة خاضعة للحكم العسكري • هناك تمييز عنصري ضدهم • لا يستطيعون أن يعملوا في

الاعمال التي يريدونها أو أن يتحركوا من مكان الى مخر • هل يرضى الانجليز أو الامريكيون أن يحدث ذلك في بلادهم والى مواطنيهم وأن يحل آخرون محلهم على بقعة من وطنهم ؟ وينتهي ناصر قائلاً « اننا نعتقد أن السلام لا يمكن أن يقوم الا اذا كان قائماً على العدل ••• واذا كان هناك من يريد أن يتحدث عن السلام في الشرق الاوسط فليس له أن ينسى العدل في الشرق الاوسط والسلام الذي لا يتوهم على العدل معناه التهديد باستخدام القوة » (١٥) •

ولم يتنازل عبد الناصر عن منع مرور السفن الاسرائيلية بقناة السويس وربط ذلك بقضية فلسطين • ولم يتزحزح عن ذلك قيد أنملة منذ بداية الثورة المصرية وهي في أوج انتصاراتها حتى هزيمة يونيو — حزيران ١٩٦٧ ، « اسرائيل لن تمر من قناة السويس ، وفلسطين جزء من الامة العربية » • لقد رفضت اسرائيل القيام بالالتزاماتها وتنفيذ قرارات الامم المتحدة بشأن حقوق شعب فلسطين ، العودة أو التعويض • فلم تقبل اعادة اللاجئين الى اوطانهم كما لم تعوضهم عن ممتلكاتهم • فمسألة حرية الملاحة بقناة السويس هي مسألة فلسطين برمتها • فاسرائيل تريد الحصول من العرب على كل شيء ولا تريد أن تعطى العرب شيئاً • وقد حدث أن أرادت اسرائيل اختبار صلابة الجمهورية العربية المتحدة وتحدى ارادتها فأرسلت سفينتين للحدود فاحتجزهما ناصر في بورسعيد ورفض تفريغ شحفتيهما لانهما ملك لشعب فلسطين ، وجزء من تعويض ممتلكاتهم التي استولت عليها اسرائيل • وبعد

عدوان ١٩٦٧ رفض ناصر أن تفتح قناة السويس للملاحة الدولية طالما أن هناك جندياً أجنبياً في أرض عربية • لن تستخدم قناة السويس إلا إذا جلت القوات المنتدية عن الاراضى التى اعتدت عليها واسترد ناصر مضائق تيران التى حلت فيها قوات الامم المتحدة منذ العدوان الثلاثى على مصر فى ١٩٥٦ • وأغلق خليج العقبة فى وجه الملاحة الاسرائيلية لانه مياه اقليمية عرضة لثلاثة أميال والمياه الاقليمية ستة أميال • ولقد كان مرور علم العدو أمام قواتنا أمراً لا يحتمل فضلاً عن دواعى أخرى تتصل بأعز أمانى الامة العربية • وان اتفاقيات القسطنطينية فى ١٨٨٨ حول حرية الملاحة فى الممرات المائية لا تنطبق على مصر لان مصر فى حالة حرب مع اسرائيل • وان أى لجوء الى محاكم العدل الدولية لهو تعد على السيادة المصرية • « ولن نسمح لاسرائيل مهما كان الثمن ومهما كانت التكاليف أن تمر فى قناة السويس • ان المرور فى قناة السويس جزء لا يتجزأ من قضية فلسطين الاصلية وليس جزءاً من ازالة آثار العدوان » (١٦) •

## ٢ — ادانة محاولات الصلح :

وقد أدان عبد الناصر كل محاولات الصلح مع اسرائيل أو الاعتراف بها وهى الدعوات التى روجها شاه ايران السابق والحبيب بورقيبة فى أوج صراعه مع عبد الناصر داخل العالم العربى أو التى حاولتها ألمانيا الغربية والتى دفعت عبد الناصر بقطع علاقته معها

والاعتراف بالمانيا الشرقية • وكل دعوة من هذا النوع انما تهدف الى تحقيق أطماع الاستعمار والصهيونية وتثبيت لاركان الصهيونية •

كانت أول دعوة للمصلح مع اسرائيل دعوة الرئيس بورقيبة في ١٩٦٥ • فبالرغم من قبول عبد الناصر الدعوة الى تونس للاحتفال بذكرى جلاء الفرنسيين عن بيزرت وتغليبا لوحدة العمل العربي ، وبالرغم من رد بورقيبة الزيارة لمصر أدلى بتصريحات عن فلسطين صدمت الامة العربية في مرحلة كانت القضية الفلسطينية فيها تمر بمرحلة حاسمة : تجمع استعماري صهيوني لتصفية قضية فلسطين ، تزويد اسرائيل بالسلاح • مع أن بورقيبة وافق في مؤتمر القمة العربي الاول على اعتبار قيام اسرائيل هو الخطر الاساسي الذي أجمعت الامة العربية على دحره • كما وافق على مقررات مؤتمر القمة العربي الثاني الذي حدد الهدف العربي بأنه هدف نهائي ، وهو تحرير فلسطين من الاستعمار • كما ارتبط بقرارات عدم الانحياز في أكتوبر ، وأعلن تأييده لاستعادة حقوق الشعب الفلسطيني ، وتأييد الشعب العربي الفلسطيني في كفاحه ضد الاستعمار والصهيونية •

وفجأة طالع بورقيبة العالم العربي بتصريحات : التعايش السلمي مع اسرائيل ، التفاوض مع اسرائيل ، الاعتراف باسرائيل ، مطالبة الدول العربية بالتعاون مع اسرائيل ، اتمامة علاقات اقتصادية بين العرب واسرائيل • وقال أنه لما ذهب الى الاردن وزار اللاجئين في أريحا اكتشف الحل : الاعتراف باسرائيل والتعايش معها • وقدم عدة حجج أهمها أن قضية فلسطين ظلت سبعة عشر عاما بلا حل فتعفنت ولا مخرج لها من كفنها الا بالاعتراف باسرائيل ! وانه أراد



أن يخدم العرب بتحريك القضية ! ويرد ناصر على ذلك بأن هذا الكلام لا يخدم العرب بأى حال من الاحوال • صحيح أنه يحرك القضية ولكن لصالح اسرائيل • فاسرائيل تأخذ هذا الكلام وتعرضه على الدول الافريقية والاسيوية التي أيدتنا في مطالبنا بالنسبة لقضية فلسطين كي ترجع عن تأييدها بسبب أن رئيس عربى تبنى وجهة نظر اسرائيل • كما ادعى بورقيبة أنه يود احراج اسرائيل حتى تعترف هى بحق شعب فلسطين بعد أن اعترف العرب بها • ويرد ناصر على هذه السذاجة بمؤتمر لوزان فى ١٩٤١ فى اللجنة التى كونتها الامم المتحدة « لجنة التوفيق » لتنفيذ قرارات الامم المتحدة : جاست اسرائيل فى اللجنة الى أن قبلت عضوا فى الامم المتحدة ثم غادرتها ورفضت تنفيذ القرارات • كما رفضت اسرائيل تنفيذ مؤتمر باندونج فى ١٩٥٥ التى تنص على ضرورة تنفيذ قرارات الامم المتحدة • ويقدم بورقيبة حجة ثالثة بأن هذا الاعتراف يولد ضغطا على اسرائيل • ويرد ناصر بأن الدول العربية لم تضغط على اسرائيل ، ولم تمنع الدول العربية مساندتها السياسية والعسكرية لاسرائيل • كما لم تضغط أمريكا على اسرائيل منذ ١٩٤٩ حتى الآن بل أعطتها كل ما لديها من امكانيات لاستمرار بقائها فى الوجود • ويدعو بورقيبة للتفاوض والجلوس مع اسرائيل حتى تخسب حجتها بأن العرب يرفضونها • كما يدعو الى التعايش معها والتعامل الاقتصادى معها والاعتراف بها • ويرد عبد الناصر بأن ذلك كان دائما مطلب اسرائيل • وقد صرح بن جوريون بأنه مستعد للتفاوض مع أى قائد عربى بلا قيد أو شرط • وكل عام تطالب اسرائيل فى الامم المتحدة بالتفاوض مع العرب • لقد تبنى بورقيبة اذن موقف اسرائيل دون أن يأخذ شيئا للعرب • لقد خرج بورقيبة عن الاجماع

العربي ، وأصبح منفذ خطط الصهيونية والاستعمار في المنطقة • واتبع سياسة الانتهازية واللعب بقضايا المصير • وأراد أن يبيع القضية بلا ثمن • فقد الثقة في قوته وفي قوة الأمة العربية ، وأراد للعرب أن يكونوا أذيانا للغرب ، ولا تيمة لشعب يكون تابعا لاحد • يمثل طابورا خامسا داخل المجموعة العربية ، والافصل له أن يظل خارجها لا داخلها • لا يريد الجامعة العربية ، ويريد أن يظل خارجها لان الجامعة لا فائدة منها • أن الجامعة العربية أداة توحيد وتنسيق للجهود العربية وليس من مصلحة العرب تمزيقها • وكانت النتيجة أن « انعزل بورقية ، انعزل شعبيا عن الأمة العربية » •

ان قضية فلسطين لا تقبل المساومات أو التجارة بها • قد كان هدف الدعوة للصلح ضرب القوى الثورية وتصفيتها ، والقضاء على وحدة العمل من أجل فلسطين ، والتشكيك في القيادة العربية الموحدة • اذا كانت الدول العربية في الماضي في رأى ناصر قد تهاونت في حقوق شعب فلسطين فلانها كانت أيضا خاضعة للاستعمار • ولكن تحررت الدول العربية الآن • والدعوة للصلح تدعو العرب لليأس من الحاضر بعد ما بدأت التصفية الفلسطينية تتحرك ، وبعد ما ظهر الكيان الفلسطيني ، وبعد ما بدأت منظمة التحرير الفلسطينية تعمل • كانت خطة الاستعمار والصهيونية دائما تصفية قضية فلسطين • ولا يمكن أن تصفى قضية فلسطين الا بتصفية شعب فلسطين (١٧) •

---

(١٧) ج ٥ ص ٢٨١ — ٢٨٥ في ١/٥/١٩٦٥ ، ص ٣٦٨ — ٣٦٩ في ٢٢/٧/١٩٦٥ ، ص ٤٠٢ في ٢٩/٨/١٩٦٥ ، ص ٤٣٦ في ١٨/١١/١٩٦٥ ، ص ٥١١ — ٥١٢ في ٢٢/٢/١٩٦٦ ، ص ٥٣٢ — ٥٣٣ في ٢٢/٣/١٩٦٦ • ج ٦ ص ٣٥ في ٤/٢/١٩٦٧ •

أما الشاه فقد أعلن في ١٩٦٠ اعترافه بإسرائيل • فقطعت مصر علاقاتها السياسية معه بالرغم من وجود علاقات بين مصر وبعض الدول الأخرى المعترفة بإسرائيل ومنها أمريكا والاتحاد السوفياتي • وذلك لان الشاه يتاجر بالدين ، ويضلك المسلمين باسم الاسلام • كان الشاه قد اعترف بإسرائيل في ١٩٥٠ ثم جاءت حكومة مصدق في ١٩٥١ وسحبت اعترافها ، وأغلقت القنصلية الاسرائيلية في طهران • ولكن بعد عودة الحكم الرجعي في ١٩٥٣ عادت العلاقات التجارية والثقافية ، وفتحت الوكالة اليهودية فرعاً لها في طهران • وفتحت دولة اسلامية من دول حلف بغداد كل مجالات العمل مع إسرائيل ، وتساعدتها ضد الوطن العربي حتى أصبحت طهران في عهد الشاه قاعدة اسرائيلية •

وقد كان الغرض من ذلك هو ادخال المنطقة كلها في نظم دفاعية موالية للمغرب بما في ذلك إسرائيل • فقد نشرت جريدة « هاعام » أنه قد تم توقيع اتفاقية سرية بين إسرائيل وايران في ١٩٦١ في مطار طهران ، وكان بن جوربون وهو في طريقه الى بورما تد مر على طهران • ونشر الخبر في ١٩٦١/١٢/٦ • ثم عرف السر بعد ذلك من الزيارة في ١٩٦١/١١/٦ بالرغم من أن الصحف الايرانية ادعت أن السبب كان تعطيل المحركات • والحقيقة أن الزيارة كانت مرتبة ، واشترك فيها رئيس أركان حرب الجيش الايراني وممثل ايران في الحلف المركزي لدراسة دور إسرائيل في النظم الدفاعية لبلدان الحلف المركزي • وضرورة تعزيز التعاون الاقتصادي والسياسي والعسكري بين البلدين •

كان الغرض اذن من تسوية الامور بين العرب واسرائيل هو قيام نظم دفاعية عن المنطقة تشترك فيها إسرائيل والدول العربية وأمريكا •

وقد يرفض ناصر ذلك كله لان العالم العربي يرفض سياسة الاحلاف، ويرفض الدخول في مناطق النفوذ • وطالما وقف أمام حلف بغداد ، وحلف ايزنهاور للدفاع عن الشرق الاوسط • فاسرائيل تشطر العالم العربي شطرين • ينبغي لمصر والبلاد العربية أن تحصل على مواصلات برية وحيوية لتجارتها ورخائها ولنظمها الدفاعية من أجل الدفاع عن الشرق الاوسط • هذا الدفاع الذى يقع على كاهل شعوب المنطقة وحدها • وسيواصل العرب مشروعاتهم الدفاعية بصرف النظر عن اسرائيل • ان العرب قادرون على مقاومة سياسة « الضغط من أجل الصلح » ، وقادرون على الدفاع عن بلادهم بالتعاون فيما بينهم فى ميثاق الضمان الجماعى العربى فى حالة أى اعتداء يمتع عليهم (١٨) •

وقد حاولت ألمانيا اقامة علاقات دبلوماسية مع اسرائيل والاعتراف بها والتهديد بقطع المعونات الاقتصادية عن العرب اذا هم قاموا بالرد عليها • ويسمى ناصر هذا الاسلوب « أسلوب المساومات » ، وهو أسلوب لا يحقق الاهداف خاصة اذا كانت تتعلق بحرية الشعوب وحقوقها •

« واذا كنا سنعامل ألمانيا بأسلوب المساومات كى تعطينا ماركات أو دولارات فهل نستطيع أن نحافظ على قوميتنا فى العالم • اننا على ثقة بأن ألمانيا تستطيع أن تقول ان الدولة التى تسكت فى هذه

---

(١٨) ج ٥ ص ٥٠٨ فى ٢٢/٢/١٩٦٦ ، ج ١ ص ٢٢٠ فى ١٣/٨/٥٤ ،

ص ١١٩ — ١٢٠ فى ١٩/٤/١٩٥٤ .

الازمة والتي تخرج على الاجماع العربى نعطياها ٢٠ مليون أو ٣٠ مليون دولارا • ولكن سنأخذ العشرة مليوننا ذخير شرفنا ومبادئنا وهيبتنا وكرامتنا ••• لن نساوم في قضية العرب ولن نساوم في قضية فلسطين لان المساومات لن ترضى عنها الامة العربية ولن ترضى عنها أبدا • حاولت ألمانيا بهذه الرشاوى الصغيرة تفريق صفوف العرب ، وحاولت بالدولارات تصفية القضية الفلسطينية « • ان خطورة المساومات في ذهن ناصر — هو التخلي عن المبادئ ، ولما كانت مصر تسير على المبادئ فانها قطعت علاقاتها بألمانيا الغربية بعد اعترافها بإسرائيل ، ووضعت أموالها تحت الحراسة ، واعترفت بألمانيا الشرقية بالرغم من تحفظ ثلاث دول وسط الاجماع العربى • لقد قادت مصر الحملة ضد اعتراف ألمانيا الغربية بإسرائيل • فاجتمع العرب في ابريل ١٩٦٤ بالجامعة العربية ، وقرروا انه اذا اعترفت ألمانيا بإسرائيل أو اذا أتمت لها تمثيلا قنصليا فانهم سيأخذون من ألمانيا موقفا شديدا يتناسب مع اللطمة التي توجهها للعرب • وحينما اجتمع رؤساء الحكومات العربية من ٩ — ١٢ يناير ١٩٦٥ قرروا أن يواجهوا ألمانيا اذا استمرت في تقديم السلاح الى إسرائيل أو اذا اعترفت بإسرائيل • كما اجتمع سفراء الدول العربية في ديسمبر ١٩٦٤ في بون وقرروا أن تتخذ الدول العربية موقفا شديدا مع ألمانيا اذا استمرت في مد إسرائيل بالسلاح أو اذا اعترفت بإسرائيل • ويقول ناصر : « اذن من يقول اليوم اننا قمنا بمواجهة ألمانيا بدون أن نتشاور مع الدول العربية انما يريد أن يموه على العرب ويحول المعركة الى معركة أخرى » (١٩)

---

(١٩) ج ٥ ص ٢١٣ — ٢١٤. في ١٩٦٥/٣/٨ ، ص ٢٤٨ — ٢٥٠ في ١٩٦٥/٣/١٢

### ٣ — رفض التفاوض تحت الاحتلال :

لقد حاولت اسرائيل فرض الصلح على العرب بعد عدوان ١٩٦٧ • وكان قادتها ينتظرون استسلام العرب • ولكن كل صلح في هذه الحالة — في رأى ناصر — كان قبولا للعدوان ، واستسلاما لشروط المنتصر ، واعترافا بالهزيمة ، وضياعا للحق • ومن هنا خرجت شعارات ناصر : ما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة ، لا صوت أعلى من صوت المعركة ، السلام لا الاستسلام ، السلام القائم على العدل ، ازالة آثار العدوان ، ارادة الصمود • وقد قال بن جوريون انه يريد فرض السلام واجبار العرب على قبول الامر الواقع • وفي رأى ناصر ان فرض السلام يعنى العدوان وشن الحرب على العرب • ان جيش مصر وشعب مصر ليفنيان عن آخر رجل وآخر امرأة لرد العدوان بالعدوان • ولطالما اتخذت اسرائيل الهدنة ستارا للعدوان • واذا كانت هناك مفاوضات فمن طريق لجان الهدنة لاييقاف العدوان • لذلك لم تشأ اسرائيل تحديد حدودها حتى يمكنها شن الحرب والتوسع • بل ان الامم المتحدة تنظر الى حدود اسرائيل كخطوط للهدنة لا كحدود فعلية • ان خطر اسرائيل واضح أمام العرب منذ ١٩٥٥ ، وأطماعها في التوسع لم تعد خافية • ان أية مفاوضات تحت تهديد العدوان مستحيلة • فالعدوان الاسرائيلى على الاراضى العربية وعلى الحقوق العربية قائم ولم تعد بأدرة ما توحى بعدول اسرائيل على ما فعلته أو استعدادها للرجوع عنه • والعرب لا يثقون باسرائيل ، وسجلها معهم معروف • لقد كانت الدعوة الى السلام مقترنة دائما في عرفها بالاستعداد للحرب كما حدث قبل العدوان الثلاثى بأيام قليلة عندما أعلن رئيس وزراء اسرائيل فى الكنيست الاسرائيلى بيانا قال فيه « انه على استعداد

لان يطير لمقابلتى من أجل السلام » • وكان فى ذلك الوقت مشغولا الى قمة رأسه بالتخضير للعدوان الثلاثى المشهور ضد مصر • ان السلام يعنى اتفاقا بين طرفين مستتلين لا بين طرفين أحدهما يحتل الآخر ويهدده بالعدوان • فلا يمكن التفاوض بين من يقوم بالاحتلال وبين من يقع عليه الاحتلال ، كما لا يمكن أن يحل السلام بينهما • ومن هنا كانت مقررات الخرطوم التى أصبحت موضعا للسخرية بعد ذلك بسنوات « لا اعتراف بإسرائيل ، ولا صلح معها ، ولا مفاوضة ، ولا تصرف بالقضية الفلسطينية لانها ملك شعب فلسطين » (٢٠) •

ويرفض عبد الناصر سياسة « التسليم بالامر الواقع » وهى سياسة الاستعمار والصهيونية • يقول الاستعمار ان اسرائيل حقيقة واقعة ويرد عبد الناصر ولكن التسمية العربية أيضا حقيقة واقعة • فلماذا يعترف الاستعمار بالاولى دون الثانية ؟ ولماذا يسلم بالامر الواقع فى الاولى دون الثانية ؟ ان فلسطين ، وشعب فلسطين ، وحقوق شعب فلسطين كل ذلك أمر واضح يجب التسليم به • يقول ناصر فى استقبال القوات العائدة من اليمن « ان السلام الذى لا يمكن أن يكون على الارض العربية سلام غيره هو السلام الذى يعود به الحق الى أصحابه فى فلسطين • ولن نقبل مهما كانت الظروف سلام الامر الواقع • فمثل ذلك السلام ليس سلاما حقيقيا وانما هو عدوان يتستر ضلالا بأردية السلام • ولن نتقبل أمتنا أى ضلال • ان السلام

---

(٢٠) ج ٣ ص ١ — ٢ فى ١٩٦٠/٢/٨ ، ج ٦ ص ٢٩٢ فى ١١/٢٣  
الاولى كتبت فى خريف ١٩٨٧ •

الذى تريده الامة العربية على الارض العربية لا يمكن الا أن يكون  
سلاما عربيا في نواياه وفي أهدافه وارادته • ولن تستطيع قوة من القوى  
أن تفرض علينا ما تسميه سلاما • ان السلام لا تفرضه حرب  
العدوان • والسلام لا تفرضه قوة الدول الكبرى التى شعرت بنفسها  
قدرة التدخل فى شئون غيرها من الشعوب • ان على الامة العربية كلها  
أن تحمى الوديعة الغالية التى قدمتها اليها تضحيات الرجال وجهودهم  
حتى بالحياة • وحين تجد انحرافا مع الهوى أو انسياقا مع المطامع  
الاستعمارية أو تلاعبا بالاهداف الكبرى وخصوصا من جانب عناصر  
تفترض انها من قوى الثورة فانها لا تعتبر ذلك تورطا سياسيا أو حزبيا  
فحسب وانما تعتبره اساءة الى شرف التضحيات التى بذلها البواسل  
من الرجال الذين حركوا المد الثورى العربى من جديد بعد نكسة الانفصال  
« وانى لاثق ساعتها أن الامة العربية اذا غفرت أى شىء فلن تغفر مهما  
طال المدى أى اساءة الى شرف التضحيات العظيمة فى ميدان القتال » (٢١) •

ويرفض عبد الناصر جميع أشكال المفاوضات ، مباشرة أو غير  
مباشرة ، بصيغة رودس أو بصيغ جديدة لان الجلوس على مائدة  
المفاوضات مع اسرائيل تعنى التسليم بشروط المنتصر ، وتنفيذ ارادته •  
لم تقبل اسرائيل تنفيذ قرارات الامم المتحدة وصممت على تنفيذ  
استراتيجيتها المعروفة عنها وهو تحقيق السلم بالقوة أو تحقيق الوصول  
الى اتفاق بالقوة • فبالحرب يريدون اجبار العرب على توقيع وثيقة



استسلام بهدف كسر ارادة الصمود • يريدون المفاوضة من أجل  
المفاوضة باسم المفاوضة من أجل السلام • والجلوس للتفاوض مع  
العدو الذى يحتل الارض معناه املاء شروط المنتصر ، لقد أحبطت  
اسرائيل مهمة يارنج سفير الامم المتحدة الذى عهدت اليه مهمة تنفيذ  
قرار الامم المتحدة الذى صدر بعد عدوان ١٩٦٧ • وفسرت القرار  
على أنه ينص على المفاوضة ، المفاوضة على تنفيذ نصوص الاتفاق ،  
وذلك من أجل تحقيق الهدف السياسى من نصرها العسكرى وهو  
التفاوض المباشر وتوقيع معاهدة صلح • ولكن اسرائيل لم تستطع حتى  
الآن أن تحقق هذا الهدف السياسى مع أى من الدول العربية المحيطة  
بها — هكذا كان يظن ناصر — • ولماذا تنسحب اسرائيل من الاراضى  
التي احتلتها بعد أن حصلت على نصر عسكرى ساحق على أمل أن  
تتغير الاوضاع أو الانظمة فى العالم العربى ، وتأتى أنظمة أخرى  
تقبل أن توقع معاهدة صلح معها ؟ تعلم اسرائيل أن الاحتلال راسخ  
على قلب كل عربى ، كابوس ثقيل • وقد يؤثر ذلك فى الجبهة الداخلية  
مما يمكنها بالتعاون مع القوى الامبريالية والاستعمارية من تغيير  
الانظمة • وطالما ان اسرائيل تعلم أن العرب لم يصلوا بعد الى القوة  
العسكرية الهجومية الساحقة تظل تسعى الى تحقيق هدفها السياسى  
من نصرها العسكرى وهو عقد معاهدة الصلح • وحين قبل ناصر العمل  
من أجل الحل السياسى لم يعن مطلقا بأن ذلك يعنى الاستسلام بل  
هو الحل السياسى المشرف الذى لا يمكن لاسرائيل أن تأخذ منه بوصة  
من الارض العربية فى أى بلد عربى • « لا يتقدم العمل السياسى الا  
بالجبهة العسكرية » • لم يكن ناصر حتى على استعداد لقبول « صيغة  
رودس » أى المفاوضات غير المباشرة لان ذلك معناه التفاوض على

الاستسلام • وقد رفض الفرنسيون التفاوض مع المحتل أثناء الحرب العالمية الثانية ويقول ناصر « وأنا أرفض أن أكون بيتان في مصر » (٢٢) .

ولم يستسلم عبد الناصر للضغوط الامريكية من أجل اجراء تسوية سلمية قبل استرداد حقوق شعب فلسطين • « هؤلاء الذين يتكلمون عن القمح وهم يظنون انهم يبيعونه لنا لكي يسيطروا علينا ، هؤلاء نذكرهم بما فعلنا عام ١٩٥٦ ، واننا قبل أن نبني السد العالى نبني العزة والكرامة • ونقول لهم انه ليس في مقدور القمح ولا الذرة التى تأتينا من أمريكا أن تضعفنا عن السير في طريقنا والوصول الى هدفنا ، وان كل ما في أمريكا لن يثنينا عن قوميتنا ، وان أهدافنا ثابتة ، وسنسير فيها لتحقيق قوميتنا وتضامننا ووحدتنا واقدامنا ثابتة ، نسالم من يسالنا ، ونعادي من يعاديننا » •

لقد ساعدت الولايات المتحدة اسرائيل بكل الوسائل لتحقيق أهدافها في الامم المتحدة وخارجها حتى لا يصدر أى قرار وفيه تحديد دقيق بضرورة انسحاب اسرائيل الى مواقع ٥ يونيو — حزيران ١٩٦٧ ، وأخذت الولايات المتحدة تضغط حتى صدر هذا القرار الغامض • وهناك محاولات أخرى للضغط على الامة العربية من الولايات المتحدة لوضعنا في موضع الاذلال ، وفي وضع المهزوم المستسلم حتى ترضخ لشروط اسرائيل ، وتقبل التفاوض معها ، وتقبل عقد معاهدة صلح

---

(٢٢) ج ٢ ص ٤٤٣ — ٤٤٤ في ١٩٦٨/٤/٢٩ ، ص ٤٩٤ — ٤٩٥

في ١٩٦٨/٧/٢٣ ، ج ٧ ص ٢٣ في ١٩٦٩/١/٢٠ .

معها • والهدف الامريكى اذلال العرب والاستسلام أمام هذه الضغوط ٢٣ •

ومشكلة فلسطين تخص الدول العربية جمعاء ولا يحق لاية دولة عربية أن تنفرد بالتصرف فيها • لذلك كان من أهداف الاستعمار والصهيونية فرض السلام على العرب عن طريق فرض السلام بالقوة على مصر أولا حتى تستسلم فيستسلم العرب ، ويستشهد ناصر بأقوال بن جوريون : « لابد أن يسود السلام مع الجمهورية العربية المتحدة أكبر دولة عربية » ويعلق ناصر : « لانه يشعر اذا استطاع أن يفرض الصلح أو يفرض السلام على الجمهورية العربية المتحدة فان القضية بعد ذلك تكون سهلة وهينة له • وقد اعتدى في ١٩٥٦ ولكنه لم يستطع أن يفرض السلام أو الصلح وكان الهدف من العدوان فرض الصلح على العرب وفرض التسوية على أساس الامر الواقع • وتبنت اسرائيل سياسة فرض السلام على العرب كسياسة ثابتة ومعنى ذلك الحرب والعدوان مما يثبت أن الحرب لديها هو المعنى الحقيقي للسلام • ان قضية اسرائيل ليست قضية مصر وحدها ولكنها قضية الامة العربية جميعا » •

لذلك كانت المشروعات الامريكية المقدمة كلها تريد أن تحل الموضوع المصرى الاسرائيلى فقط وتأجيل الموضوع الاردنى الاسرائيلى والموضوع السورى الاسرائيلى أى الفصل وتجزئة الحلول بحيث يكون هناك حل منفصل لمصر وحل للاردن وحل لسوريا ، وكلها حلول

منفردة • تبدأ بمصر • وقد رفض ناصر هذه الحلول كلها لأنها كانت تستهدف اخراج مصر من الموضوع باعتبارها مركز الثقل السياسى والعسكرى • وبذلك تستطيع الضغوط الاسرائيلية والامريكية أن تحقق ما تشتهيه اسرائيل من ضم أراض عربية جديدة • رفض ناصر تجزئة قضية العرب الى عدة قضايا منفصلة ، فالانسحاب يعنى الانسحاب من جميع الاراضى العربية • وقد وضحت الخطة الامريكية فى مشروع روجرز — الذى لم يكن لدى ناصر أى احتمال فى نجاحه نظرا لرفض اسرائيل مبدأ الانسحاب حتى ولو حصلت على الاعتراف والصلح • فبالرغم من أنه ينص على الانسحاب من الاراضى التى احتلتها اسرائيل الى الحدود الدولية التى كانت موجودة لمصر أيام الانتداب فى فلسطين الا أنه ترك تحديد كل شىء فى هذه المفاوضات يجرى بين مصر واسرائيل ، وبين الاردن واسرائيل ، وبين سوريا واسرائيل • ومعنى ذلك أنه يضع العرب تحت حق الاعتراض أو حق الفيتو الاسرائيلى خاصة وأن المشروع يورد كلاما عن توحيد القدس دون أن يوضح الوضع السياسى لها بعد التوحيد • مشروع روجرز يسعى فى حقيقته الامر الى الضغط على العرب ويفتت الوحدة العربية ويجعل الاسرائيليين يتفاوضون من مركز القوة مثل السيف المسلط على رؤوس العرب (٢٤) •

#### ٤ — القوى الذاتية العربية :

يرى عبد الناصر أن القوى الذاتية العربية قادرة على أن تمنع

---

(٢٤) ج ٣ ص ٢٩٣ فى ١٩٥٩/٢/٢١ ، ج ٣ ص ١١٣ فى ١٩٦٠/٣/٧ ،  
ص ١١٧ فى ١٩٦٠/٣/٢١ ، ج ٧ ص ٣٤٣ فى ١٩٧٠/٤/١٨ •

اسرائيل من تحقيق الهدف السياسى من نصرها العسكرى وتتمثل هذه القوى الذاتية فى الآتى :

● ارادة الصمود ورفض الاستسلام • وقد ظهرت هذه الارادة لدى جماهير ٩ ، ١٠ يونيو ١٩٦٧ ورفض الهزيمة • يقول ناصر : « ليس يخيفنا أن تكون هناك بقاع غالية من أراضينا تحت احتلال العدو ولكن يخيفنا أكثر أن تعيش أوطاننا كلها غير منتبهة للخطر المحيط بها ، راضية بالاستسلام ، تخلط بينه وبين السلام ، بينما العدو يمضى فى تنفيذ مخططاته العدوانية بغير قتال ، ويحقق ما يريد بغير مواجهة ، وينتصر عليها وهى فى غيبوبة لا تميز فيها بين العدو والصديق ، بين عزلها عن العالم العربى وجرها الى صلح منفرد مع اسرائيل كما نص على ذلك مشروع روجرز •

● بناء جيش مصر ، وتسليحه ، فما ضاع بالقوة لا يسترد الا بالقوة • لقد حارب العرب فى ١٩٤٨ ، واستشهد منهم الرجال ، وظهر فيهم الابطال وفر العدو ، وبان فى ذلك الوقت المبكر أن جيش العدو ليس بالذى لا يقهر ، وانهم بشر يخافون ، يصيبهم الذعر ، ويفرون من المعارك ، ويتجنبون مواجهة جيش مصر • لم ينهزم جيش مصر فى فلسطين بل قاتل وقاوم • رأى ناصر بعينه كيف كان اليهود ينسحبون منهزمين • ويذكر معركة ٢٦/١٠/١٩٤٨ فى عراق المنشية حين واجهوا اليهود المتفوقين عليهم فى العدة والعتاد ، وناصر ورفاقه فى موقع محاصر منعزل • ولكنهم تمسكوا بالشرف والواجب والوطن فهزموا المعتدين ، وفر العسكرى اليهودى مذعورا لمجرد رؤية المصريين يقاتلون • فمهزلة ١٩٤٨ لا تقع على عاتق الرجال المقاتلين • لقد اعتمدت اسرائيل

على هذه الخرافة ، هزيمة الجيش المصرى طبقا للمثل المشهور « لا يزال المرء يكذب ثم يكذب ثم يكذب حتى يصدق الناس ثم يكذب ثم يكذب ثم يكذب حتى يصدق نفسه » • وقد قاتل الجيش المصرى أيضا فى عدوان ١٩٥٦ وحارب فى معركة أبو عجيبة وهو فى أوج الانسحاب ، وقابل العدوان بالعدوان ، كما حارب بالقدر الذى سمح له فى عدوان ١٩٦٧ •

● النظم التقدمية فى العالم العربى هى الوحيدة القادمة على التصدى للاستعمار والصهيونية ، فالثورة العربية معادية لكليهما لا تهادن ولا تساوم • لذلك كان الهدف من عدوان ١٩٦٧ هو قلب نظام الحكم فى مصر وسوريا حتى يتم تسليم العالم العربى للنظم الرجعية المتحافة مع الاستعمار والتي تحرص على مكاسبها قبل حرصها على تحرير فلسطين • ويعترف عبد الناصر بأن ذلك قد يدوم بعض الوقت ولكن الصليبيين كثوا سبعين عاما • كما كشفت له تجربته الثورية أن فلسطين قد ضاعت فى ١٩٤٨ بسبب هزيمة العرب وليس بسبب انتصار اسرائيل •

● القومية العربية التى حاول الاستعمار وصنيعته الصهيونية القضاء عليها واحلال الصهيونية محلها فى فلسطين العربية • وكما كانت فلسطين أحد أسباب اليقظة العربية فان القومية العربية هى الطريق لتحرير فلسطين • لذلك حرص الاستعمار والصهيونية على تفتيتها ،

وبث عناصر الفرقة بين البلاد العربية واتهام ناصر بالرغبة في السيطرة على العالم العربى حبا في الزعامة واستيلاء من مصر على باقى البلاد العربية : فكما أيقظت فلسطين الوعى العربى فان النوعى العربى بؤرة القومية العربية هو السبيل لتحرير فلسطين • لذلك شغل ناصر نفسه بقضايا القومية العربية خاصة أيام الوحدة فبرزت قضية فلسطين كرأس للقومية العربية •

● الوحدة العربية التى تجسد على الصعيد السياسى القومية العربية • لذلك ارتعشت اسرائيل من وحدة مصر وسوريا ، وظنت ان الاوان قد حان لوضعها بين فكى الكماشة • كذلك ارتعدت من القيادة العربية المشتركة ، ومعاهدات الدفاع العربى المشترك لانها تعلم أنها لا قبل لها بحرب على جميع الجبهات ، وبأن العرب قادرون لو أرادوا تجنيد ثلاثة ملايين مقاتل في مواجهة اسرائيل • وتظل تجربة الجمهورية العربية المتحدة أولى التجارب الرائدة على طريق الوحدة • وفى نفس العام قامت الثورة — يوليو — تموز في العراق • وتكون الاتحاد الهاشمى ثم سقط ، ووقفت الوحدة العربية أمام الغرب والشرق ، وم العرب في ١٩٥٩ أثناء رحلة ناصر الى سوريا وفي خطابه في دمشق بأزهى فترات حياتهم •

● القوى البشرية العربية القادرة على العطاء وعلى سد احتياجات المعركة في الجند والخبرة مهما حاولت اسرائيل في سياسة التهجير من احضار جميع يهود العالم نظرا لما بينهم من قوميات متنافرة وعنصرية متبادلة ، في حين أن الامة العربية متجانسة القوى ، قادرة على الحشد والتجنيد لكل متطلبات المعركة • ان البحر البشرى العربى لقادر اذا

ما هاجت أمواجه على ابتلاع أية جزر صغيرة تعترض طريقه أو تظهر على سطحه • وتكون القضية كيف يمكن تحويل الكم العربي الى كيف عربي • بل ان القوى البشرية العربية ذاتها داخل اسرائيل قبل ١٩٤٨ لقادرة على تحويل اسرائيل ذاتها الى دولة يكون أغلب سكانها من العرب •

● النفط العربي الذي لم يدخل المعركة حتى الآن في حياة الزعيم الراحل الا باسلوب تفجير أنابيب التصدير في معارك ١٩٥٦ • ولكن طائرات العدو وآلياته تسير بالنفط العربي • والاسطول السادس الامريكى يحركه النفط العربي • وعائدات النفط مخزونة في البنوك الامريكية والصهيونية تستثمر لصالح اسرائيل لزرع الصحراء ، واقامة الصناعات ، وصناعة الاسلحة • لم يحشد العرب الى الآن جميع امكانياتهم المادية من أجل قضية فلسطين • ومازالوا يحاربون بأقل من قدراتهم الفعلية • واسرائيل تحشد كل شىء ، وتجنّد كل الانصار ، وتستنفذ جميع الامكانيات بما فيها الامكانيات العربية !

● بروز الكيان الفلسطينى بعد أن حاول الاستعمار والصهيونية تصفية القضية ، وظهور منظمة التحرير الفلسطينية ، وتكوين جيش التحرير فرض على العالم قضية فلسطين • وتحولت من قضية لاجئين الى قضية شعب له حقوقه السياسية في تحرير أرضه ، وتكوين دولته ، واختيار نظامه السياسى أى حقه في تقرير المصير • لذلك حاول الاستعمار تصفية القضية ، وتثريد الشعب ، ومحو الاسم • وكل دعوة للمصلح أو للاعتراف كان الهدف منها تصفية القضية • ويشيع الاستعمار أن



فلسطين تخيف العرب أكثر مما تخيف إسرائيل ، والعرب أكثر رفضا لدولة فلسطين من إسرائيل حتى تحدث الفرقة في صفوف العرب •

#### رابعاً : خاتمة : كيف ؟ ومتى ؟

بالرغم من أن الناصرية تمثل لنا نحن في مصر حلما ما زلنا في يقظته الا أن السؤال الذي يفرض نفسه هو الآتى • اذا كان هذا هو موقف عبد الناصر من قضية الصلح مع إسرائيل فلماذا لم تحرر فلسطين وما الذى أخرج الزعيم الراحل عن الدخول في معركة فاصلة كان قادرا عليها بزعامته والثقة التي أولته اياها الامة العربية ؟ ويمكن الاجابة على ذلك على النحو الآتى :

١ — بالرغم من أن حركة الضباط الاحرار تبلورت أثناء حرب فلسطين في ١٩٤٨ فقد اندلعت الثورة بالفعل بعد ذلك بأربع سنوات الا أن القضية الاساسية في ذلك الوقت كانت جيوش الاحتلال الرابضة على ضفاف القناة • كانت مصر مستعمرة عسكريا فكان أول ما يشغل بال قادة الثورة الجدد هو جلاء القوات الاجنبية حتى يتفرغوا للتنمية • وكانت احدى حجج بورقيبة التي أقام عليها دعوته للصلح هي : ماذا فعل العرب ؟ وكان رد عبد الناصر : كان العرب مستعمرين يتحررون من الاستعمار مثل فلسطين • وهذا هو الذى أخرج معالجة القضية كل هذا الوقت • فماذا تستطيع دولة عربية مستعمرة العمل لفلسطين الواقعة تحت أبشع أنواع الاستعمار ؟

٢ — كان عبد الناصر يريد انهاء احتلال القوات الاجنبية لمصر وتوقيع معاهدة الجلاء مع بريطانيا سلما ، هذه المعاهدة التي نقدها

الشيوعيون والاشوان والوفديون في مصر وكانت بداية الفرقة بين التيارات الوطنية التقليدية قبل الثورة والثورة ذاتها ، حتى تفرغ لعملية البناء الداخلى في مصر • وكانت حجة ناصر على بعض النصوص المجحفة بمصر في هذه المعاهدة التي تعطى للغرب حق الرجوع الى مصر في حالة الحرب لاستعمال قناتها ومطاراتها وأرضها ، انه يريد أن يتفرغ لبناء مصر ، ويريد مساعدة الغرب في ذلك • وكان نقد ناصر للشيوعيين انهم يتخذون موقف اسرائيل في رفض معاهدة الجلاء من أجل افساد العلاقة بين مصر والغرب • ومع ذلك رفض ناصر عرض بريطانيا لتمويل السد العالى في مقابل الصلح مع اسرائيل • فقضية فلسطين مبدأ لا يمكن المساومة عليه •

٣ — لم يترك الاستعمار لعبد الناصر فرصة لالتقاط الانفاس وجره الى معارك متتالية فرضتها الظروف ، كل معركة تولد أخرى وقد أدرك عبد الناصر بالفعل ان محاربة الاستعمار هو في نفس الوتت محاربة لاسرائيل لانها كما اتضح له « رأس جسر » الاستعمار » ومخلب القط « له •

فجاء العدوان الثلاثى في ١٩٥٦ والذي تحول بعده عبد الناصر بطلا قوميا ، وزعيما لحركات التحرر في العالم الثالث كله ثم دخل معارك الوحدة الوطنية في ١٩٥٨ ، ومعارك الرجعية العربية بعد الانفصال في ١٩٦١ ، ومعارك التحول الاشتراكي في ١٩٦١ — ١٩٦٤ تدعيما للحركة الثورية العربية ، ومعارك الاحلاف العسكرية والحلف الاسلامى في ١٩٦٥ • وكان آخرها تكالب الاستعمار والصهيونية عليه في يونيو ١٩٦٧ •

٤ — لما أدرك عبد الناصر أن مأساة فلسطين انما نتجت عن ضعف العرب أكثر مما نتجت عن انتصار اسرائيل في ١٩٤٨ فان قضية تثوير العالم العربى كانت الطريق الى تحرير فلسطين • كانت اسرائيل تخشى الثورات العربية كلما تفجرت واحدة منها • ولما كانت الثورة المصرية رائدة للثورات العربية فقد عملت اسرائيل على محاربتها كما عمل ناصر على تثبيت أركانها ودعم القوى الثورية كلها في العالم العربى لتطويق اسرائيل • فقامت ثورة العراق في يوليو — تموز ١٩٥٨ ردا على الاعتداء الثلاثى ، وقامت ثورة اليمن في سبتمبر ١٩٦١ ردا على الانفصال السورى • وقامت ثورة الفاتح في سبتمبر ١٩٦٩ ردا على عدوان ١٩٦٧ •

٥ — بعد الغارة الاسرائيلية على غزة في ٢٨/٢/١٩٥٥ أدرك عبد الناصر أهمية السلاح ، ودخل معركة تسليح جيش مصر ، وعقد صفقة الاسلحة التشيكية في نفس العام • وكان ذلك بداية كسر احتكار السلاح ، والتحول من الغرب الى الشرق كمصدر أساسى للتسليح • وقد كانت سياسة الغرب دائما تسليح اسرائيل بحيث يكون جيشها أقوى من جيوش الدول العربية مجتمعة وهو ما سماه الغرب « ميزان القوى » في الشرق الاوسط والذي أدرك ناصر معناه ومغزاه • وظل سباق التسليح قائما حتى آخر لحظة من حياة الزعيم الراحل وتدعيم مصر بحائط الصواريخ ضد غارات اسرائيل في العمق ، واعادة بناء جيش مصر بعد تدمير ٨٠٪ من معداته في عدوان ١٩٦٧ • بل ان قبوله مشروع روجرز تم وهو يفاوض الاتحاد السوفيتى على صفقات السلاح وبطؤ التسليم ، وتحديد نوع السلاح وكميته كوسيلة ضغط على الاتحاد السوفيتى للحصول على السلاح المطلوب •

٦ — الحروب المتتالية التي أجهضت مصر ، والتي جعلتها كل عشر سنوات أو أقل تعيد بناء جيشها وتبحث عن مصادر جديدة للسلاح في دول تفرض شروطها ولزعيم يحرض على الاستقلال الوطنى وفي صناعة تتطور يوما بعد يوم • فالعدوان الثلاثى فى ١٩٥٦ لحقه العدوان الاسرائيلى فى ١٩٦٧ • هذا بالاضافة الى حروب مصر الكثيرة اما للدفاع عن نفسها كما هو الحال فى حرب الاستنزاف فى ١٩٦٩ أو للدفاع عن الثورات العربية كما هو الحال فى حرب اليمن أثناء فترة التحول الاشتراكى فى ١٩٦٢ — ١٩٦٤ وكان الاستعمار أراد لمصر دائما أن تبدأ من الصفر حتى لا يحدث لديها تراكم تاريخى تضيق فيه أشواطها المتعددة حتى تموت سيرا •

٧ — صعوبة التحرك على الساحة الدولية فى مشكلة يصفها المعالم بأنها مشكلة لاجئين وتحويلها ابان الثورة المصرية الى « حقوق شعب فلسطين » ، ويعترف باسرائيل بما فى ذلك القوتين العظميين ، الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتى ، وفى عالم تسيطر عليه أجهزة الاعلام الغربى بما فيها من نفوذ صهيونى ومصالح دول كبرى لا تسلم بحقوق الشعوب الا اذا هددت مصالحها وفرضت هذه الشعوب نفسها على الساحة الدولية الامر الواقع • لذلك لجأ ناصر باستمرار الى انتويه بقرارات الامم المتحدة المتعددة بالنسبة لحقوق شعب فلسطين • وابتدأت محاصرة اسرائيل فى الساحة الدولية ، وأصبحت قضية فلسطين جزءا من قضايا شعوب آسيا وافريقيا ، واحدى حركات التحرر فى العالم الثالث • فى حين ظهرت الصهيونية كحركة ثورية مضادة ، وحركة عنصرية توسعية ، واستعمار استيطانى له ما يشابهه فى جنوب افريقيا •

٨ — ابراز الكيان الفلسطيني ، وتكون منظمة التحرير الفلسطينية ،  
وانشاء جيش تحرير فلسطيني للمحافظة على شعب فلسطين ، حتى تكون  
قضية فلسطين لها جسم وروح • وفي نهاية الامر لن يحرر فلسطين  
الا أبناء فلسطين في هذا الخضم الواسع من المساندة العربية والتأييد  
العالمي • وبالرغم مما كان يحدث بين ناصر والفلسطينيين من خلاف في  
وجهات النظر خاصة بعد مشروع روجرز فانه كان خلافا بين رفقاء  
السلاح ، خلافا على الوسائل المتبعة وليس على الاهداف ، وبلغة العصر  
خلافا في « التكتيك » وليس خلافا في « الاستراتيجية » • لذلك رفض  
كل دعوات الصلح مع اسرائيل والمساومة على حقوق شعب فلسطين •

هذا هو صوت ناصر المكتوم وهو يئن في مضجعه ، ويتململ في  
دشواه ، فلعله يعود يوما رنيناً مدويا يخرج من صدور الناس فيصم  
الآذان •

## عبد الناصر والحلف الاسلامى

---

### ١ - الاسلام الامريكى :

لقد كانت لعبة الاستعمار فى المنطقة العربية الاسلامية دائمة استغلال الدين لصالحه فى معركته مع النظم الاشتراكية . اذ يعلم الاستعمار بناء على مستشاريه وعلمائه الاجتماعيين والمستشرقين أن الدين فى منطقتنا هو تراث الامة ، ومحرك جماهيرها . وبالتالي فهو يقوم باستعماله من أجل تحقيق أهدافه فى المنطقة وهى :

١ - الوقوف أمام الافكار الاشتراكية وانتشارها فى المنطقة على أساس أنها أفكار تعارض الدين ، يروجها الكفار والملحدون ، مادية لا تتفق مع روحانية الاديان ورسالاتها السماوية .

٢ - تفسير الدين تفسيراً رأسمالياً بمعنى قصره على الشعائر والطقوس والعبادات والصلوات والعقائد وترك النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية حتى ينشغل المسلمون عنها فنكون بالتالى نظماً موالية للغرب ، تحقق أهداف الاستعمار فى السيطرة على الموارد ونهب الثروات .

---

(\*) كتب هذا المقال بعد معاهدة كامب ديفيد واندلاع الثورة الاسلامية الكبرى فى ايران فى فبراير ١٩٧٩ من أجل احياء الفاصرية والمقارنة بين سياسات مصر فى الستينات وبينها فى السبعينات . والمقال الاول مفقود بعد أن سلم الى احدى المجلات العربية . وهذه صياغة ثانية من المسودة كتبت فى خريف ١٩٨٧ .

ويقوم الاستعمار بذلك في لحظات التحول التاريخية في المنطقة مثل ثورة يوليو ١٩٥٢ وما تمثله من استقلال وطنى ، وقضاء على الاحلاف ومناطق النفوذ ، وتأميم مصادر الدخل القومى ، والتحول الاشتراكى ، والاصلاح الزراعى ، والتصنيع ، ومقاومة الاستعمار والصهيونية ، واقامة كتلة عدم الانحياز ، وتأسيس منظمة الشعوب الاسيوية الافريقية • بدأ الاستعمار ذلك من خلال عملائه في المنطقة خاصة في مرحلة التحول الاشتراكى ١٩٦١ — ١٩٦٤ •

والآن يعيد التاريخ نفسه بعد أن انحسرت الناصرية بعد موت قائدها في ١٩٧٠ وتحولت تدريجيا الى ثورة مضادة حتى عادت من جديد بعد اندلاع الثورة الاسلامية الكبرى في ايران في فبراير ١٩٧٩ تعيد الى الناصرية مجدها الاول وتكملها عن طريق بنائها على ثقافة الجماهير وهو الاسلام وعن طريق تعبئة الملايين في الشوارع فاكتملت لها عناصر النجاح : القيادة الحاسمة ، والاسلام كأيديولوجية ثورية ، وتعبئة الجماهير • أعادت الثورة الاسلامية الكبرى في ايران الى الناصرية حلمها الاول في معاداة الاستعمار ، والوقوف في مواجهة الصهيونية ، والقضاء على محاولات التغريب التى كانت تهدد الهوية الاسلامية في ايران • واستطاعت الثورة أن تتحدى أعتى الدول الاستعمارية وأقواها عدة عتادا هي الولايات المتحدة الامريكية • فقضية الرهائن ليست في الحقيقة قضية جاسوسية أو تسليم شاه ، بل هي قضية اثبات الذات ، سواء من الخارج بالحصار البحرى الاقصادى ، وقطع العلاقات السياسية ، أو الداخلى عن طريق اثاره النعرات القومية والعرقية والطائفية أو تدبير المؤامرات أو اغراء بعض كبار الضباط في الجيش الذين مازالوا يدينون بالولاء للشاه أو جماعات الطفولة اليسارية خارج

الوحدة الوطنية اذ كثيرا ما يتلاقى الطرفان • اكتشفت الولايات المتحدة سماحة الاسلام ، وأنه دين الحب والاخاء والمساواة • لم يقع هذا الاكتشاف أيام حكم الشاه والسافاك ، وقت الارهاب والتعذيب والقتل • غسماحة الاسلام الآن في صالح الاستعمار ولم يكن لها وجود أيام الشاه الذي كان يقوم بالدفاع عن مصالح الاستعمار بلا حاجة الى اللجوء الى سماحة الاسلام • وقد حدث ذلك أيضا بعد التدخل السوفييتي في أفغانستان ، فقد اكتشف الاستعمار فجأة أن أفغانستان بلد مسلم ، وأن شعبه شعب مسلم ، وأن الاسلام في خطر ، فبدأ يشحذ نفوس المسلمين ، ويقوى من همهم ضد الاحتلال السوفييتي ، وكان الولايات المتحدة أصبحت بين عشية وضحاها راعية للاسلام ، وحامية للمسلمين ، وخادمة الحرمين الشريفين ، وكان شعب فلسطين ليس شعبا مسلما ، وكان القدس ليس بها مقدسات المسلمين ، وكان العنصرية في جنوب افريقيا وفي قلب الولايات المتحدة يرضاهم الاسلام ، وكان الفقر والجريمة والرشوة والفساد والقتل والتسلط مقررات اسلامية ، شريعة تطبقها الولايات المتحدة نصا وروحا • ان المصالحة الحققة لا تأتي الا بناء على تسليم اليهود بالحق المستقل عنهم « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » ( ٣ : ٦٤ ) • والمصالحة الحققة تنم بانء على الاتفاق على عبادة الله وحده وليس عبادة الطاغوت أو المال ، الاخلاص له ، وليس الايمان أول النهار والكفر آخره أو الايمان في العلن والكفر في السر أو الايمان ببعض الكتاب والكفر بالبعض الآخر • كما تقوم على المساواة بين الشعوب أمام اله واحد وألا



يعتبر شعب نفسه فوق الجميع ، له حق الحياة والوجود ، وليس  
للآخرين الا الموت والفناء •

لقد اكن هدف الاستعمار منذ اندلاع الثورات العربية وصياغة  
أكبر مشروع عربى قومى حديث منذ صلاح الدين ومحمد على حتى الآن  
محاصرتها بهدف منع انتشارها • ولما كان الاسلام على الطريقة  
الرأسمالية خير وسيلة لتحقيق هذا الهدف تمت صياغة الحلف الاسلامى،  
وهو حلف بغداد القديم ، حيث تدخل فيه السعودية وايران وباكستان  
فى حلف جديد من أجل عمل نموذج اسلامى آخر ، يتف فى مواجهة  
النموذج الثورى العربى • ولما كان وعى الجماهير السياسى ليس قويا  
وكانت تربيتها الدينية تقليدية كان من السهل خداعها • ولما كانت  
النظم العربية التقليدية متفقة فى الاهداف مع الاستعمار فى صد المد  
الثورى الاشتراكى فى الستينيات وضعت نفسها فى أيدى الاستعمار  
متكاتفه معه لتحقيق الهدف المأشترك •

## ٢ — الاسلام كقناع لحلف بغداد •

ويستخدم الاستعمار الاسلام كقناع يخفى وراءه أهدافه السياسية  
فى المنطقة • ان التعاون الاسلامى مقبول بل واجب ولكنه يجب أن يكون  
فعلا لوجه الله ولوجه الاسلام وليس نتيجة لسياسة امريكية انجليزية •  
الحلف الاسلامى الصحيح يجب أن يخدم الاسلام وليس الاستغلال  
السياسى ( الاجتماعى ) ، وأن يعمل علماء الاسلام من مراكز الفكر  
الدينى لا أن يدافع عنه الارهابيون وسامسة الدين • أخذوا الاسلام  
حجة ووسيلة ليخدعوا بها بسطاء الناس •

الحلف الاسلامى خديعة كبيرة • وكما تصدت الثورة من قبل للرجعية فانها تتصدى الآن للحلف الاسلامى وتكشف عن نواياها فان الخديعة لا تتطلى على احد ، هو حلف جديد يتخذ من الدين اسما وستارا لحلف بغداد • وجدوا له اسما عربيا وسموه حلف بغداد ، وألبسوه عتالا وعباية حتى تخفى انجلترا وأمريكا وراءهما • والحلف الجديد ألبسوه عمة ليسموه الحلف أو المؤتمر أو التجمع الاسلامى ، أى ثساء اسمه اسلامى لخداع المسلمين باسم الدين • ولقد اعترفت الصحف البريطانية نفسها بأن هذا الحلف سياسى أساسا تحت غطاء الدين • لقد قيل فى صحف لندن أن الحلف الاسلامى حلف سياسى وليس حلفا اجتماعيا • قال ايزنهاور لسعود فى ١٩٥٧ على فكرة الحلف الاسلامى ، وتحدث سعود فى هذا الامر فى القاهرة (١) • ومن السهل استنتاج أن هؤلاء عملاء الامريكين وأدواتهم تحت ستار الدين مدعين أن الحلف عملية دينية وليست عملية سياسية • يدعى فيصل أن الامريكين ليسوا وراء الحلف ، وأنها فكرته الخاصة ، يهدف بها خير المسلمين وخير الدين فى حين أن الانجليز والامريكين فى السعودية مسيطرون عليها وذاك كفيلا أن تكون دعوة ميصلى نوجه الله ! ويشاركه حسين فى دعوته بأنه يخدم الاسلام

---

(١) ستم الاحالات باستمرار الى خطب وأحاديث جمال عبد الناصر عن طريق ذكرها على نحو حر وليس نصا نظرا لتكرارها وأسلوبها العامى وتأسيا بطريقة القدماء فى أحد أنواع الشرح وهو العرض الشارح أو الشرح العارض ، فالهم هو المعانى وليس اللفاظ • الاعمال الكاملة لخطابات وأحاديث جمال عبد الناصر ، الأجزاء الثلاثة الاولى ، الهيئة العامة للاستعلامات ، وجزءان أخيران ، الاهرام ، خطاب فى عيد الوحدة ٢٢/٦/١٩٦٦ ج ٥ ص ٥٩٨ ، ص ٥١١ ، ص ١٥٢ •

والسلمين وهما يخدمان أمريكا وانجلترا والاستعمار • لقد قررن  
الاستعمار بعد جلائه عن المنطقة العودة اليها من جديد عن طريق العملاء  
فبدأ الكلام عن الحلف الاسلامى ، والتضامن الاسلامى ، والمؤتمر  
الاسلامى • ولكن معظم الدول الاسلامية ردت ردودا غير مشجعة  
لان معظمها يعمل بالسياسة ، ونظمها متحررة ، وتعلم الهدف من الدعوة •  
ومعروف فى العالم العربى كله أن العملية الغرض منها خداع الجماهير  
والشعوب العربية (٢) •

يقول فيصن أن الغرض من الحلف مقاومة الالحاد ! وكيف يتاوم  
الالحاد بالسياسة ولا يقاوم بالدين ؟ الحلف الاسلامى حلف سياسى  
وليس تكتلا دينيا لان التكتل الدينى يكون من رجال الدين وليس من رجال  
السياسة • ومن الذى سيقاوم الالحاد فى العالم العربى وفى العالم  
الاسلامى ؟ شاه ايران وبورقيية ؟ وماذا يعرف الشاه عن الاسلام ؟  
ومنذ متى يدافع بورقيية عن الاسلام ؟ لقد ألغى بورقيية أجازة العيد  
كلها وقصرها على يوم واحد • بورقيية الذى يتكلم على الاسلام أكبر  
متنكر للاسلام فى بلده وهو اليوم يدافع عن الاسلام • لقد أصدر  
فتوى بالافطار فى رمضان ، ولبس العمة اليوم ، وجعل نفسه الشيخ  
بورقيية داخل الحلف الاسلامى • كيف يصح الحلف الاسلامى ؟ شاه  
ايران يبحث فى الشؤون الدينية وهو لا يعلم شيئا عن الدين ، يعارض  
رجل سياسة وليس رجل دين • وكيف يضم الحلف بورقيية بفتاويه  
للافطار فى رمضان والمصلح مع اسرائيل ؟ بورقيية عميل ومدسوس  
فكيف يتحدث فى الدين أو يناقشه أحد فى الدين ؟

لم تكمل الثورة فكرتها الاولى عن المؤتمر السياسى من خلال الحجج ، فقد قام حلف بغداد فى أوائل ١٩٥٥ وأصبح من المستحيل أن يجتمع المؤتمر الاسلامى كمؤتمر سياسى غير مرتبط بالاستعمار ، يعمل لصالح الاسلام والمسلمين ، ويعمل على التخلص من الاستعمار والاحلاف وعلى اقامة عدالة اجتماعية لانصاف المسلمين فى كل بلد مسلم . ولكن بعد قيام حلف بغداد ، وانضمام تركيا وايران وباكستان لهذا الحلف أصبح من العسير أن يجتمع المؤتمر الاسلامى على أساس سياسى . لذلك سارت الثورة فى الفكرة على أساس شعبى . فكل تقارب على مستوى القمة يجب أن يبدأ من الذين استطاعوا تحرير بلادهم من الاستعمار والاحلاف ومناطق النفوذ . وقد كانت اتصالات هؤلاء بعضهم ببعض مستمرة . اذا لم تكن دعوة التقارب الاسلامى على هذا الاساس بل على أساس سياسى على اجتماع قادة الدول تكون غايتها بالرغم من رفع اسم الاسلام ضرب المسلمين ونشنتيتهم باسم الدين ، وبتفتيت العرب لحساب الاستعمار أى تزييف المدين من أجل خدمة المبادئ والاهداف الاستعمارية . ولم يأخذ مؤتمر القمة الأخير قرارات بشأن التعاون الاسلامى مع مصر من أجل قضايا الجرية ومن أجل قضية فلسطين (٣) .

لقد صرح الملك فيصل لاحدى الصحف الكويتية معلقا على الحلف الاسلامى بأنه قام تعاون بين الطوائف المسيحية ، وكان هناك المجمع المسكونى ولم يقل عنه أحد أنه تحالف (٤) . والحقيقة أن اجتماع

---

(٣) ج ٥ ص ٥١٣ — ٥١٤ .

(٤) ج ٥ ص ٥٦٤ .

المجمع المسكونى ليس اجتماعا سياسيا أو عسكرياً بل اجتماع ضم رجال الدين المسيحيين ولم يضم رؤساء الدول المسيحية • أما إذا ضم رؤساء الدول المسيحية فإنه ينقلب الى اجتماع ومؤتمر سياسى • ان التضامن الاسلامى الحقيقى هو تضامن الشعوب الاسلامية المناضلة ضد الاستعمار لا تضامن الحكومات الرجعية العميلة للاستعمار والمستغلة للاسلام والمزيفة له • والجماهير قادرة على معرفة من يخدم الدين ومن يستغل الدين • لا تجد الرجعية العربية المتحالفة مع الاستعمار من خط دفاعى سوى تزييف الدين • وتكشف الجماهير العربية هذا التزييف واستخدام الدين لوضع البلاد العربية داخل مناطق النفوذ • والشعوب العربية قادرة على اسقاط الحلف الاسلامى المزعوم كما أسقطت حلف بغداد • وان الثورة المصرية لعلى استعداد لعقد مؤتمر اسلامى لعلماء الدين وليس من علماء السياسة والسماسة والارهابيين أو شاه ايران وبورقبيية ، مؤتمر اسلامى لله وللدين وليس للاستعمار والرجعية • وان الاسلام لاندس من أن يسخر لخدمة الاستعمار أو الرجعية • وتظل الثورة المصرية على استعداد كامل لان تعمل من أجل التضامن الاسلامى الحقى السليم الذى يخدم الدين ، ويتكون أساسا من علماء الدين • وتظل أيضا على استعداد لعقد اجتماع اسلامى كريم وتنزيه داخل الازهر بالقاهرة ، أو داخل الحرم النبوى فى مكة أو داخل المسجد الاموى فى دمشق أو داخل المسجد الاقصى فى القدس ، مؤتمر لله وليس للاستعمار والرجعية •

والحقيقة أن حجج ناصر ، بالرغم من قوتها الجدلية لافحام الخصم ، الا أنها ضعيفة اسلاميا اذ لا يوجد فى الاسلام هذه التفرقة بين رجال الدين والسياسة فرجال الدين هم أهل الحل والعقد الذين بيدهم عقد البيعة على الحاكم أو عزله • ورجال السياسة هم أئمة

المسلمين • لا يفرق الاسلام بين الدين والسياسة كما يريد ناصر أن يجعل رجال الدين يتكلمون في الدين ورجال السياسة يناقشون في السياسة • هناك موضوعات واحدة تجتمع فيها شؤون الدين وشؤون الدنيا • وادا كان ناصر يدين تسمييس الدين ويرى أن الدين ثورة اجتماعية ونظاما اشتراكيا فانه من الصعب قصر الدين على المبادات والتعاون الاخوى بين الدول الاسلامية وابعاده عن السياسة ومعاركها • واذا كان ناصر قد وصف رجال الدين من قبل بالتخلف والرشوة وتبعية الحكام فكيف يرجى من مثل هؤلاء أى نفع أو خير للمسلمين ؟ ويبدو أن مقارنة الحلف الاسلامى الغربى بالمجمع المسكونى المسيحى يجعل تصور ناصر للاسلام تصورا تقليديا مسيحيا خالصا • يستعصم ناصر ولا شك حجة جدلية ضد خصومه دون أن يعلم أنها قد ترد اليه • فهو أيضا يدخل الدين في السياسة والسياسة في الدين بتحويل الحج الى مؤتمر سياسى سنوى كما عبر عن ذلك في فلسفة الثور ويبرر الاشتراكية باسم الاسلام • عبد الناصر يتكلم في الدين وهو رجل سياسة ويستعمل الدين في السياسة حتى وهو يحتاج لفصل الدين عن السياسة • فالدين في كلتا الحالتين بين عبد الناصر وخصومه في أتون السياسة لما شهور سلاح الدين في وجه ناصر اضطر ناصر لاعادة شوره في مواجهة خصومه ، فعبد الناصر وخصومه سياسيون يستعملون الدين كسلاح ايدىولوجى لتدعيم المواقف السياسية • معارك الدين هى معارك السياسة ، واختلافات التفسير هى اختلافات في المصالح وفى المواقف السياسية •

أما حجج ناصر ضد بورقيبة في فتواه الافطار في رمضان وتتمصير أجازة العيد، فانها أيضا حجج ضعيفة • فقد اعتمد بورقيبة على أصول دينية معروفة عند القدماء ، ولا يعيب بورقيبة أن يكون مجددا أخذ

برأى دون الرأى السائد ، ومن حق حكام المسلمين اعادة الاختيار بين البدائل طبقا للظروف المتغيرة أو اصدار حكم جديد لم يتوصل اليه القدماء • فاذا كانت الغاية زيادة الانتاج ، وزيادة ساعات العمل فان الاجتهاد يكون صحيحا ضد ما هو سائد الآن من اتخاذ رمضان حجة للكسل والتراخى وذريعة للغياب عن مواقع العمل • ان العمل للهـ و خير عيد للمسلمين بدلا من كثرة الاجازات مرة باسم الاعياد الوطنية ومرة أخرى باسم الاعياد الدينية •

### ٣ - حلف بغداد الاسلامى •

الحلف الاسلامى هو طبعة جديدة لحلف بغداد • فبعد سقوط هذا الاخير بعد الثورة العراقية فى يوليو - تموز ١٩٥٨ ، أراد الاستعمار والرجعية احياء الحلف باللباس القبعة والبذلة العمامة والجبّة حتى يبدو محايًا وكأنه يدافع عن مصالح الشعوب فى المنطقة • كان هدف الرجعية والاستعمار تحويل حلف بغداد الى حلف اسلامى بعدما دخلت تركيا وباكستان وايران والعراق فى الحلف ثم خرجت العراق وبقية تركيا وباكستان • ليس الحلف الاسلامى الا استكمال لحلف بغداد لوضع الامة العربية داخل مناطق النفوذ • ومن لم يستطع الدخول فى حلف بغداد قبل اليوم حاول عن طريق الاسلام ، ولكن الشعب العربى يعلم أن طريق الاسلام هو الاسم الجديد لحلف بغداد والاسم الجديد لمناطق النفوذ • وكل من هلك لحلف بغداد فى ١٩٥٥ ينادى اليوم بالحلف الاسلامى • ولما كان هذا الحلف مثل حلف بغداد فان مصيره أيضا مثل مصير حلف بغداد(ه) •

---

(٥) خطاب فى عيد الوحدة ١٩٦٦/٢/٢٢ ، ج ٥ ص ٥١٠ ، خطاب فى المؤتمر الشعبى بمدينة دمنهور ١٩٦٦/٦/١٥ ج ٥ ص ٥٩٨ •

وفي كلتا الحالتين ، لم يتجاوز الامر مرحلة الشعارات التي سرعان ما أسقطها الشعب العربي • فشعار الحلف الاسلامى الذى يروج له ليس بالفكرة الجديدة بل سبقتها محاولات مشابهة مثل حلف بغداد ، ولا تختلف الفكرتان فى شىء • وكما رفض الشعب العربى الفكرة الاولى سيرفض الفكرة الثانية • والدول الداعية للحلف الاسلامى أو المؤتمر الاسلامى هى جدة وطهران • ووجود طهران يؤتد بل ويزيد التأكيد على أن الحلف ضد العرب وضد المسلمين لحماية الرجعية • والذى أيد الحلف صحف السعودية وايران وصحف بورقبيية فى تونس وأعداء العروبة والاسلام فى لبنان • نفس الجرائد التى أيدت حلف بغداد فى ١٩٥٥ — ١٩٥٦ هى التى أيدت الحلف الاسلامى فى ١٩٦٥ — ١٩٦٦ (٦) •

وهنا يبين ناصر أن التاريخ يعيد نفسه مرة على نحو علمانى فى حلف بغداد ١٩٥٥ ومرة على نحو اسلامى بعد ذلك بعشر سنوات فى ١٩٦٥ • ولكن الغاية واحدة ، محاصرة الثورة العربية بأجنحة الرجعية المتعاونة مع الاستعمار • ليست المعركة اذن بين العلمانية والدين • فكلاهما قد يخدم الاستعمار ولكن علمانية من ؟ ودين من ؟ علمانية لصالح الجماهير أم لصالح الاستعمار ؟ ودين لصالح الشعب أم لصالح الرجعية ؟ يكرر ناصر نفسه ولا يطور حججه الى ايدىولوجية ثورية مضادة ، ويجعلها معركة بين قيادات أو عواصم عربية واسلامية ، صحيح أنه كان ضد الاحلاف والمحاور المضادة حتى ولو كانت لصالحه وجرصا

---

(٦) حديث لجريدة « ازفستيا » السوفيتية ١٩٦٦/٢/٧ ج ٥ ص ٤٨٧ — ٤٨٨ ، ص ٥٢٢ •



على وحدة الامة العربية ، ولكنه ظل دائما في موقف الدفاع وليس في موقف الهجوم ، يجره الاستعمار الى الممارك ولا يبدأ هو معاركه في جبهاته التي يختارها •

#### ٤ — الانحياز للغرب •

أراد الحلف الاسلامى الايتاع بدول المنطقة في سياسة الانحياز والاحلاف ومناطق النفوذ لمواجهة سياسة عدم الانحياز ومناهضة الاحلاف والخروج من مناطق النفوذ • بعض الدول الاسلامية دخلت في موثيق ، وانحازت للغرب • وبدأت محاولات لاستغلال الدين الاسلامى من أجل سياسة الانحياز التي تتنافى مع سياسة عدم الانحياز ، سياسة الثورة المصرية • وقد بدأ الحديث عن حلف اسلامى غير منحاز مباشرة الى الغرب ولكنه منحاز بطريقة غير مباشرة • بدأ ذلك قبل ١٩٥٥ ولم ينقطع • كانت هناك خطورة كبيرة في أن تنضوى مصر تحت اسم الاسلام لتتحاز الى الغرب أو لتدخل تحت سيطرة الدول الغربية لان ذلك يتنافى مع الاسلام • فالاسلام ينادى بالحرية ، وبأن يكون الشعب حرا وسيدا لنفسه وألا تكون مصر داخلة في مناطق النفوذ لاية دولة أخرى • وكيف يكون هناك حلف اسلامى يأخذ أوامره من لندن أو واشنطن أو أية دولة أخرى ؟ الحلف الاسلامى في هذه الحالة يتنافى مع كلمة الاسلام ، يكون حلفا غربيا • لذلك رفضت الثورة المصرية أن يكون العمل تحت اسم الاسلام جارا الى الاحلاف أو الى الانحياز للغرب بطريق الخديعة تحت اسم الحلف الاسلامى أو الرابطة الاسلامية أو أى اسم من الاسماء لان سياسة مصر هي سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز سواء كان الحلف الاسلامى أو المؤتمر الاسلامى أو التجمع الاسلامى أو التكتل الاسلامى أو

مؤتمر ذروة اسلامي • هو حلف للتأخر ضد الشعوب العربية ووضعها في مناطق النفوذ الغربي • وهو حلف للتآمر على البلاد الاسلامية الاخرى غير العربية التي تتبع سياسة عدم الانحياز • الحلف كله المقصود منه وضع الامة العربية كلها تحت مناطق نفوذ أمريكا وانجلترا (٧) • واذا ما تم الانحياز للغرب فانه يسهل تطويق الاتحاد السوفييتي من الجنوب الغربي لآسيا حتى أوروبا فيمتد الحصار على ثلاث قارات. آسيا وأفريقيا وأوروبا وبالتالي يتم شق حركة عدم الانحياز والقضاء على منظمة الشعوب الاسيوية الافريقية • وبالرغم من هذه الخطابة السياسية التي تجعل الخصم في نفس الدرجة من القوة يظل الخلاف بين الرؤيتين ليس خلافا في الدين بل صراع بين توتين سياسيتين • ولا يكون الحسم بينهما في أي الرؤيتين أصح من الاخرى بل في أي القوتين أقدر على حسم الصراع • وبهزيمة ١٩٦٧ ثم وفاة عبد الناصر في ١٩٧٠ انحسرت القوى الثورية في المنطقة وكسب الاستعمار والرجعية الجولة •

#### ٥ . ضرب القومية العربية •

كان الهدف من حلف بغداد كذلك ضرب القومية العربية بما تمثله من مضمون تقدمي اشتراكي في مواجهة تحالف القوى الرجعية ورأس المال ، وذلك باعتراف الصحف الغربية نفسها • فقد طلع حلف بغداد من جديد في صورة الحلف الاسلامي في انجلترا في ديسمبر ١٩٦٥ • وبدأ الكلام على الحلف الاسلامي في ٣/١٢/١٩٦٥ • فقد نشرت الصحف

انبريطانية في ذلك الوقت أن الملك فيصل أوفد صديقه المغربي محمد الكتاني في مهمة سرية الى دول الغرب تستهدف الى انشاء حلف اسلامي مقدس يتصدى للثورات التقدمية في المنطقة ولكافة للشيعوية في العالم العربي . وأن الفكرة هي محاولة ايجاد صيغة اسلامية مناسبة لقيام الحلف . وفي ١٩٦٥/١٢/٤ في تعليق لصحيفة « لا تريبيون » أن واشنطن جطن كلفت الملك فيصل والشاه للقيام بتشكيل الحلف الاسلامي المكي المقدس للزد على التومية العربية بزعامة القاهرة . وأنه اذا دعيت اسرائيل للاختيار بين جبهة الملوك والجبهة المتحررة فستختار جبهة الملوك . وفي ١٩٦٥/١٢/٧ قالت « رويتر » أن فيصل سيبحث مع الشاه الوحيدة الاسلامية ! وفي ١٩٦٥/١٢/٢٨ قالت صحيفة « كومبا » الفرنسية أن فيصل انتهاز فرصة الهدنة الحالية في اليمن لوضع أساس تحالف ايراني سعودي في جميع المجالات وانشاء جمعية اسلامية متحدة . وقالت مجلة « جين أفريك » بمناسبة صفقة السلاح السعودي من بريطانيا أن الصفقة لها صلة بزيارة فيصل لايران ودعوته لانشاء جمعية اسلامية وهو مشروع ايزنهاور لملا الفراغ في الشرق الاوسط وتحقق حلم بريطانيا وأمريكا قديما بانشاء جبهة تخلف حلف بغداد والحلف المركزي بالوقوف في وجه القومية العربية والحياد . وأن بريطانيا تزود السعودية بالاسلحة لا ضد اسرائيل بل لاقامة قوة دفاع غرب السويس تحت اسم الجبهة الاسلامية . وفي ١٩٦٦/١/١٢ قالت « لوسوار » الفرنسية أن التفاهم السعودي الانجليزي الامريكي في ايران يدعم النظرية القائلة بأن واشنطن ولندن يؤيدان فيصل والشاه لمشروع حلف اسلامي ضد توسع الاثنتراكية في الشرق الاوسط . وفي نفس التاريخ قالت صحيفة « لا تريبيون » الفرنسية أن أمريكا تعتمد على السعودية في تعبئة العالم العربي . ويبدو أن هناك

نوايا لاستراتيجية واسعة قد يفسرها تزويد ايران والسعودية بالاسلحة،  
وتغيير تكتيك حلف بغداد الارضى بتكتيك جوى وبحرى • وقالت  
الصحيفة أن الغرض مساندة التيارات الرجعية وخنق المطالب القومية  
الاقتصادية ، وربط رفاهية هذه البلاد بالمصالح الاجنبية(٨) • وقالت  
« الديلى تليجراف » فى ١٨/١/١٩٦٦ ان الملك فيصل يقود حركة احياء  
الحلف الاسلامى • وقالت الصحيفة انه طالما أن الشرق الاوسط حانوت  
مغلق من الدول العربية فان القاهرة ستظل بلا جدال عاصمته السياسية •  
لكن وجود حلف اسلامى تشترك فيه دول مثل تركيا وايران وباكستان  
يغير الوضع • وتضيف الصحيفة أن كثيرا من الزعماء المسلمين يرون  
أن الحلف الاسلامى يكون أقوى نفوذا من القومية العربية فى الشؤون  
العالمية • وهو يكون بطبيعة الحال أقوى نفوذا فى الموالاة للغرب  
لان الحلف الاسلامى من أهدافه موالاة الغرب • وقالت « التايمز »  
فى ١٥/٢/١٩٦٦ ان فكرة عقد مؤتمر اسلامى ليست جديدة • وعلى  
الرغم مما يقال من أن المؤتمر الجديد سيبحث فى مسائل اجتماعية  
واقتصادية فان من المسلم به أن أهداف هذا المؤتمر سياسية أساسا  
اذ ستحضره دول عربية محافظة مما يساعد على تخفيف ثقل الدول  
العربية المتحررة •

وتساءلت جريدة « لوموند دبلوماسيك » فى ١٦/٢/١٩٦٢ عما اذا  
كان شعار الاسلام سيتمكن من القضاء على القوى التقدمية فى العالم  
العربى • وقد قلم وزير الدولة البريطانى السابق أنطونى ناتنج بجولة  
فى الدول العربية بعد فشل خطة السويس • ونشر عدة مقالات فى صحيفة

« ديويدورك هيرالد تريبيون » خلال عام ١٩٥٧ يقول فيها ان الوسيلة الوحيدة للتفاهم مع القومية العربية يجب أن يكون عن طريق تأسيس جماعة اسلامية من الممالك الاسلامية بالمنطقة • عندئذ تخرج البلاد العربية من حيز القومية العربية الضعيف الذي لا يمكن التفاهم فيه الى حيز العقيدة الاسلامية الواسع الذي يجمع العربى والتركى واليرانى والباكستانى فى مجال واسع اذ ينسون جنسياتهم ولا يفكرون الا فى الاسلام • حينئذ يمكن للبلاد العربية التفاهم مع الغرب ! وقد قال ناتج ذلك عن الحلف الاسلامى أو الجماعة الاسلامية أو التكتل الاسلامى فى ١٩٥٧ • لقد ظنت الدول الاستعمارية والرجعية أن القوى التقدمية فى العالم العربى مختلفة مع بعضها ، وأنها قد تعبت من النضال ، وبهذا أصبح الطريق مفتوحا أمام الاستعمار القديم لوضع البلاد العربية فى حلف جديد ، يلبسوه عقلا وعباية ويتخذ من الدين اسما أو ستارا لحلف بغداد • والاهداف واحدة وهى القضاء على القومية العربية التى سيطرت على أفكار واتجاهات الشعوب العربية باعتبار أن القومية العربية هى الوسيلة الوحيدة للتخلص من الاستعمار ومناطق النفوذ وتحقيق الوحدة العربية • لقد تحالف التآمر الرجعى ضد العراق من أجل ابعاد بغداد عن القاهرة ونشر فكرة الوحدة الاسلامية فى مواجهة الوحدة العربية • واتفقا على أن تعمل دول حلف بغداد الاسلامية من أجل الوحدة الاسلامية وتكون قطب جذب للدول العربية فتقوم الوحدة الاسلامية فى مواجهة الوحدة العربية • وقد زار سعود عام ١٩٥٧ أمريكا ثم عاد بعد أن تشاور مع ايزنهاور من أجل اقامة حلف اسلامى وطبقا لنصيحته ، وطلب من باقى العرب أن تشترك معه فى حلف اسلامى • وقد ذكر ايزنهاور فى مذكراته أن

السياسة الامريكية في ١٩٥٧ قد خطت على أساس استخدام الملك سعود ضد الوحدة العربية والوقوف في وجه القومية العربية (٩) \*

والغريب أن أنتوني ناتنج يضرب به المثل في معارضته للعدوان الثلاثي في ١٩٥٦ واستقالته احتجاجا على ذلك وهو من ضمن المخططين للحلف الاسلامي لاحتواء القومية العربية بأسلوب أكثر ذكاء وأدوم من العدوان المباشر \* فلم يختلف ناتنج مع ايدن في الاهداف بل في الوسائل فقط \* والغريب أيضا أن يصبح الملك فيصل بعد ١٩٧٠ من أخلص الزعماء للقضية العربية والعالم الاسلامي ورمزا للاخوة الاسلامية والتضامن العربي والاخاء الاسلامي \* وما ان انتهى خطر الناصرية على الملوك حتى انفرد بالزعامة \* وكان وراء الحظر البترولي في ١٩٧٣ \* وظهر بطلا في وقت كثر فيه العملاء \* وواضح وسط كل ذلك اطماع ناصر على الصحف العالمية ودرايته ووعية بالعالم حوله \* استطاع الغرب أن ينسج حوله حلقة الاسلام ضد حلقة العروبة ، ويحكم حصاره حوله حتى قضى عليه \*

## ٦ — الصلح مع اسرائيل \*

وقد كان من ضمن أهداف الحلف الاسلامي انتهاء الصراع العربي الاسرائيلي لان القومية العربية ترفض الصلح أو الاعتراف أو تعد أية معاهدة سلام مع العدو الصهيوني \* فمن خلال الحلف الاسلامي يمكن التفاهم مع اسرائيل في حين أن القومية العربية لا تقبل وجود اسرائيل بدليل اعتراف ايران وتركيا باسرائيل \* لذلك وضع الحلف

---

(٩) خطاب في عيد الوحدة ٢٢/٢/١٩٦٦ ، ج ٥ ص ٥٠٨ — ٥١١ \*

الاسلامى الرجعية والاستعمار يدا بيد ضد العروبة وضد فلسطين بل وضد المسلمين • وفى نفس الوقت تدعى لندن وواشنطن المخططان للحلف أن الحلف كسب وتأيد للتضية الفلسطينية وهو نفس ما قاله نورى السعيد فى ١٩٥٥ • وماذا تكسب فلسطين من حلف تشرف عليه أمريكا وبريطانيا ويشترك فيه حكاه ايران وتونس الذين يدعون للمصلح مع اسرائيل؟ (١٠) • لقد أزعجت القيادة العربية الموحدة الصهيونية والاستعمار فبدأت الرجعية فى الحديث عن الحلف الاسلامى ثم بدأت الاتصالات مع شاه ايران • وحينما يتحرك فيصل وحسين وبورقبيه فان هذا يعنى أن الاستعمار قد دفع أصدتاءه الى العمل وتحقيق عدة أهداف منها اضعاف القيادة العربية الموحدة واطعاف الكيان الفلسطينى وجيش تحرير فلسطين • والعجيب أن تدافع اسرائيل عن الحلف الاسلامى فتذكر فى اذاعتها أن عبد الناصر وقف ضد الحلف الاسلامى لانه يهدد زعامته فى المنطقة • وهذه شهادة من العدو بأن الحلف الذى تدافع عنه اسرائيل يعبر عن أحقاد الصهيونية • وقد قيل ان الحلف الاسلامى هو تكتيل للمسلمين ضد اسرائيل والحقيقة أن الحلف من صنع الاستعمار والرجعية واسرائيل ممثلا فى السعودية والاردن وايران • يستطيع الحلف أن يخدم قضية فلسطين بشىء واحد فقط هو منع امداد اسرائيل بالبتروال الذى يأتى من احدى دول الحلف من ايران الى ايلات • الحلف حلف استعمارى ، ومعنى هذا أنه مع الصهيونية لان الصهيونية هى الحليف السياسى للاستعمار • ويعلم العالم العربى ذلك • والقومية العربية قادرة على تعبئته ضد عملاء الاستعمار وحلفاء الصهيونية والطابور الخامس • وكيف يضم الحلف

---

(١٠) حديث صحفى للرئيس مع الصحفيين العرب ١٩٦٧/٢/٤ ،

بورقوية بفتاويه للافطار في رمضان وبالصلح مع اسرائيل ؟ واذا كان بورقوية عميلا مهووسا فكيف يتحدث أو يناقش في الدين ؟ وفي عام ١٩٦٠ أعلن الشاه اعترافه باسرائيل فقطعت الثورة المصرية علاقتها معه مع أنها في علاقات مع دول أخرى معترفة باسرائيل • وذلك لان ايران أيام الشاه كانت تتاجر بالدين ، وتضلك باسم الاسلام • وكانت ايران قد اعترفت باسرائيل في ١٩٥٠ ثم جاءت حكومة مصدق في ١٩٥١ وسحبت اعترافها ، وأغلقت التنصلية الاسرائيلية في طهران • ولكن بعد عودة الحكم الرجعي في ١٩٥٣ عادت العلاقات التجارية والثقافية، وفتحت الوكالة اليهودية فرعاً لها في طهران • وايران دولة اسلامية من دول حلف بغداد تفتح كل مجالات العمل مع اسرائيل وتساعد اسرائيل ضد الوطن العربي ، وأصبحت قاعدة اسرائيلية • ونشرت جريدة « هاعام » الاسرائيلية أنه تم توقيع اتفاقية سرية بين اسرائيل وايران في ١٩٦١ في مطار طهران • كان بن جوريون وهو في طريقه الى بورما قد مر على طهران ونشر الخبر في ١٩٦١/١٢/٦ • ثم عرف السر من الزيارة في ١٩٦١/١٢/٦ • وبالرغم من أن الصحف الايرانية قالت ان السبب هو تعطيل المحركات الا أن الزيارة كانت مرتبة ، واشترك فيها رئيس أركان حرب الجيش الايراني وممثل ايران في الحلف المركزي لدراسة دور اسرائيل في النظم الدفاعية لبلدان الحلف المركزي وضرورة تعزيز التعاون الاقتصادي والسياسي والعسكري بين البلدين • وان بريطانيا تزود السعودية بالاسلحة ليس ضد اسرائيل بل لاقامة قوة دفاع غرب السويس باسم الجبهة الاسلامية (١١) •

---

(١١) خطاب في مؤتمر الاتحاد الاشتراكي القومي بمناسبة الاحتفال بالعيد القومي للسويس ١٩٦٦/٣/٢٢ ، خطاب في مركز القيادة المتقدمة للقيادة الجوية ، ١٩٦٧/٥/٢٢ ، ج ٥ ص ٥٠٨ — ٥٠٩ •



وان تعاون الرجعية والاستعمار في الحلف الاسلامى انما هو مرجح  
ضد العروبة والاسلام وضد فلسطين \* فشاء ايران وبورقوية تونس  
عملاء الاستعمار والصهيونية وكلاهما أكبر متفكرين للاسلام \* وقد  
يكون الهدف الأكبر للحاف الاسلامى هو تهديد لاستمرار أى عمل عربى  
مشترك لمواجهة عدو العرب المشترك وهو اسرائيل \* وبالرغم من  
التناقضات مع الرجعية العربية فقد استطاعت الثورة المصرية أن تضع  
أسس عمل موحد من أجل فلسطين \* كما تم انشاء القيادة العربية  
الموحدة لأول مرة ، وهو حدث كبير فى تاريخ كفاح العرب ونضال الامة  
العربية \* واستطاعت الثورة المصرية أيضا من خلال مؤتمرات القمة  
أن تجمع الشعب الفلسطينى لأول مرة منذ ١٩٤٨ \* وبذلك ظهر الكيان  
الفلسطينى ومنظمة التحرير الفلسطينية \* وبطبيعة الحال لم يقبل  
الاستعمار واسرائيل هذا العمل العربى المشترك من أجل فلسطين \*  
فعمل على تفتيت الجبهة العربية عن طريق احداث الفرقة بينها وذلك  
بانشاء الحلف الاسلامى (١٢) \*

#### ٧ - تثبيت الرجعية والاستعمار \*

والهدف الاخير من الحلف الاسلامى هو تثبيت أركان الرجعية  
وقواعد الاستعمار فى الوطن العربى \* الحلف الاسلامى استعمارى  
هدفه أنه يقاوم حركات التحرر وأن يتصدى للمتقدم الاجتماعى \* هو  
مجرد تجمع القوى الرجعية المتعاونه مع الاستعمار فى خط دفاعى

---

(١٢) خطاب فى مؤتمر الاتحاد الاشتراكى العربى فى الاحتفال بالعيد  
القومى للسويس ١٩٦٦/٣/٢٢ ج ٥ ص ٥١١ - ٥١٢ ، ص ٥٣٢ \*

أخيراً ضد المد الثورى العربى التقدمى فى البلاد العربية • وكان من الطبيعى أن تتعاون الرجعية والاستعمار وهما يشعران بالخوف من المد الثورى العربى الذى يمثل خطراً على مصالحهما وعلى احتكارات البترول وخبثية من الاثترابية التى تهدد كيانهما المشترك وأنظمتها ووجودهما • فبدأ معا فكرة جديدة ، استغلال الدين كسلاح حتى تتحقق أهدافهما المشتركة فى المحافظة على نفوذهما ودورهما فى سلب ناتج الشعب العربى والمحافظة على الاحتكارات البترولية ومكاسبها الباهظة وضمان استعادة نفوذهما فى البلاد العربية • وبهذا يمكن التخلص من الحركات التحررية الشعبية فى الوطن العربى • ان وصف الحلف الاسلامى بالرجعية والتعاون مع الاستعمار ضد العروبة وضد المسلمين وضد فلسطين يستند الى أصحاب الدعوة الاصيلين فى صحف لندن وواشنطن • كما أن العواصم الداعية للحلف الاسلامى هما جدة وطهران • وذلك يعنى أن الحلف ضد العرب وضد المسلمين ولحماية الرجعية • لم يؤيد الحلف الاسلامى الا ايران والسعودية فى العالم العربى • كما أيدت صحف بورقيبية الحلف ، وكذلك أيده أعداء العروبة والاسلام فى لبنان وكل من هلك لحلف بغداد فى ١٩٥٥ • والحقيقة أن الحلف موجه ضد قوى الثورة فى العالم العربى بالرغم من أن الاسلام ثورة وأن التضامن الاسلامى جزء من العقيدة الاسلامية تحتاجه الشعوب (١٣) •

وطندما سأل كرانجيا عبد الناصر : هل يمكن أن يقال أن الهجوم

الاستعماري هو في الواقع امتداد في شكل جديد لاستراتيجية منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط والحلف المركزي وحلف جنوب شرقي آسيا ؟ وأنا عندما أقول ذلك أفكر فيما يسمونه بالمؤتمر أو الحلف الاسلامي ؟ أجاب عبد الناصر : هذا صحيح ، أنها نفس الاستراتيجية القديمة • كانوا في الماضي يضعون الخطط لمحاربة الثورة ولتمكين الاستعمار الجديد تحت ستار الخوف من الغول الشيوعي • لكنهم اليوم قد أعطوا هذه الاستراتيجية طلاء دينيا زائفا • حاولوا في أول الامر أن يفرضوا على المنطقة منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط • وعندما فشل حلف بغداد في تحقيق النتائج التي أرادوها بدأوا يفكرون فيما يسمى بالحلف الاسلامي ليوقفوا زحف الاشتراكية والديمقراطية في المنطقة بتفسيرات مضللة للتعاليم الاسلامية العظيمة التي تدعو في جوهرها الى الاشتراكية والديمقراطية • وقد ذكر أيزنهاور هذه المؤامرة في مذكراته • وكانوا يفكرون في ذلك الوقت في الملك سعود كأداة رئيسية لمؤامرتهم الرجعية الاستعمارية • وسقط سعود لان الاقطاع لا بد له أن يسقط عندما يتصدى للقوى التقدمية الثورية • اكتشفوا اليوم أن الملك فيصل نبى جديد لهجومهم الاستعماري الا أنه لم يجد تأييدا لهذا التحريف في تفسير الاسلام لتحويله الى اسلام سياسي رجعي الا من بورقوية وشاه ايران • وهي نفسها ملابسات التحالفات العسكرية السابقة مثل حلف بغداد • والشئ الوحيد الجديد هو تحريف الاسلام ليكون ستارا دينيا لمؤامرة رجعية استعمارية ضد الاستقلال والتغير الاجتماعي وحركات التحرير والاهداف الثورية

لشعوب هذه المنطقة (١٤) . وكما تحطمت أحلاف الاستعمار القديمة مثل حلف بغداد فان الحلف الاسلامى المقترح يوشك اليوم أيضا أن يتحطم . وقد اكتسبت الجماهير العربية بذلك مناعة تقويها على فضح التضليل وكشف أساليب الخداع وبالتالي عرفت أن هذا الحلف الاسلامى المقترح ليس الا اسما لواجهات جديدة لحلف بغداد القديم . هذا الحلف المنهار هدد سوريا في ١٩٥٧ ، والآن يهدد اليمن في ١٩٦٥ . تتاجر الرجعية اليوم بالدين سواء كان مؤتمرا اسلاميا أو تجمعا اسلاميا أو حلفا اسلاميا . ويعرف الشعب العربى فى كل مكان ، ويعلم علم اليقين أن الذين يدعون للمؤتمرات الاسلامية ويقولون أنها عملية اسلامية أنهم أبعد الناس عن الاسلام ، وأبعد الناس عن الدين ، وأن العملية كلها سياسية الغرض منها أن يوضح الشعب العربى من جديد داخل مناطق النفوذ . لم يكن الحلف الاسلامى بالسياسة الجديدة فقد كانت أمريكا تريد حلفا اسلاميا فى المنطقة منذ ١٩٥٧ كما ذكر أيزنهاور فى مذكراته . ثم دعى الملك سعود الى أمريكا ولكنه لم ينجح فى اقامة الحلف الذى طلبه ايزنهاور ومن أجل ضرب القوى الثورية التى كانت تتزعزعا مصر فى هذا الوقت (١٥) .

كان الهدف الاساسى من الحلف الهجوم المضاد على القوى الثورية العربية . فعندما دعت مصر الى مؤتمرات القمة فانها تصورت أنها بذلك تصل الى تعايش سلمى بين الانظمة الاجتماعية المختلفة .

---

(١٤) حديث الى د . كرانجيا رئيس تحرير مجلة « بليز » الهندية فى ١٩٦٦/٥/٨ ، ج ٥ ص ٥٦٣ .

(١٥) ج ٥ ص ٥٦٩ ، ص ٥٩٩ .

وفجأة بدأ الملك فيصل يعلن عن الحلف الاسلامى ، وبدأت دعاية واسعة جدا ضد النظام الاشتراكى فى مصر ، وأعلن فيصل والشاه عن الحلف ودعيا بنية الدول الاسلامية لتتضم اليهما • والحقيقة أن الولايات المتحدة كانت وراء الملك فيصل فى سياسته ، تحاول تحقيق نفس الاهداف وعلى رأسها الدفاع عن الشرق الاوسط وذلك عن طريق جمع الدول العربية كلها فى صف واحد تحت السيطرة الغربية • وفى نفس الوقت كانت هناك مؤامرات تحاك ضد سوريا والعراق • وكان الاردن مسؤولا عن التنظيم ، والسعودية عن التمويل • بدأ فيصل يعمل من أجل الحلف الاسلامى لخدمة مصالح أمريكا ومصالح الانجليز • وتصور أنه يستطيع أن يقوم بهذا العمل فى حماية مؤتمرات القمة • لذلك لما اجتمع رؤساء الحكومات تكلموا فى كل شىء الا فيما يهم العرب • ولم يقل أى واحد منهم كلمة واحدة عن الحلف الاسلامى علما بأنه كان فى رأس كل منهم • ولكنه لم يجروا أن يتفوه فيه بكلمة حتى لا ينفضح التآمر الرجعى الاستعمارى على الامة العربية باسم الدين (١٦) • ولما سأل مراسل جريدة « الاوبزرفر » البريطانية : هل صحيح أنكم تعتبرون بعض التطورات الاخيرة فى المنطقتين هجوما على القوى النورية خصوصا من فيصل والحلف الاسلامى ؟ أجاب عبد الناصر فيما أجاب : بدأ الملك فيصل يعمل من أجل الحلف الاسلامى لخدمة مصالح أمريكا وانجلترا ، وتصور أنه يستطيع أن يقوم بهذا العمل فى حماية مؤتمرات القمة • فالداعون له عملاء لأمريكا وأدوات لها ،

---

(١٦) خطاب فى مؤتمر الاتحاد الاشتراكى العربى بمناسبة الاحتفال

بالعيد القومى للسويس فى ٢٢/٣/١٩٦٦ ج ٥ ص ٥٣٥ •

يقولون أنهم يدافعون عن الدين ، وأن الحلف دينى وليس سياسيا ، وهم يعملون لتنفيذ المخطط الأمريكى فى المنطقة ، وقد واحهت مصر كل مخططات الرجعية والاستعمار مواجهة واضحة ومريرة حماية لمؤتمرات القمة من استغلالها للدعوة الى الحلف الاسلامى • وكشفت استحالة أن يكون الحلف الاسلامى مؤتمرا اسلاميا أو تضامنا اسلاميا يعمل من أجل الدين • اقم حاولت أمريكا من قبل استخدام السعودية ضد القوى الثورية فى ١٩٥٧ ، وأعلن أيزنهاور ذلك وقال انه لا يبدأ حلف اسلامى بلا عمل اسلامى • وقال فى مذكراته أنهم أرادوا أن يكونوا قوة مضادة ضد القوى الثورية العربية التى كانت تتزعمها مصر فى ذلك الوقت ، واقترحوا على الملك سعود أن يعمل من أجل تأسيس حلف اسلامى أو مؤتمر اسلامى • ودعوا الملك سعود الى أمريكا • ثم عاد ولم تنجح العملية كلها • ومع ذلك يدعى فيصل أن الامريكيين ليسوا أصحاب المؤتمر الاسلامى أو الحلف الاسلامى وأن الفكرة من لديه يهدف منها الى تحقيق خير المسلمين وخير الدين • والحقيقة أن الامريكيين والبريطانيين موجودون فى السعودية ، وهى تحت نفوذهم ، ولا يمكن أن يكون الحلف لوجه الله (١٧) •

#### ٨ — خاتمة : الاسلام السياسى •

فاذا كان السؤال : الى أى حد يمكن اعتبار نقد عبد الناصر

---

(١٧) حديث صحفى الى جريدة « الاوبرفر » فى ١٩٦٧/٢/٥ ،

وهجومه على الحلف الاسلامى أحد مكونات الاسلام السياسى فانه يمكن  
الاجابة عليه على النحو الآتى :

١ — لم تتحقق نظرية الدوائر الثلاث التى عرضها عبد الناصر فى  
« فلسفة الثورة » ، الدائرة المصرية والدائرة العربية والدائرة الاسلامية،  
ولم تكن على نفس الدرجة من النشاط والتكامل فيما بينها • كانت  
الدائرة العربية أقوى الدوائر وأكثرها نشاطا • أنتجت القومية العربية ،  
والاشتراكية العربية ، وحركة التحرر العربى ، والقوى التقدمية  
والثورية العربية • • المخ • وتلتها الدائرة المصرية ، فالقاهرة مركز  
الثقل فى العالم العربى والثورة المصرية بداية الثورة العربية ودعامتها  
الاولى • ولكن ظلت الدائرة الاسلامية مجرد رابطة دينية روحية  
دون أن تتحول الى نظرية سياسية أو الى عمل سياسى ، قوة فعالة  
على مسرح السياسة الدولية باستثناء استخدامها استخداما سياسيا  
للتأثير على الرأى العام فى موضوع القدس والمسجد الاقصى ،  
وارسال البعثات العربية لتدريس اللغة العربية والدين فى العالم الاسلامى،  
وتبول الطلبة الوافدين من العالم الاسلامى فى الجامعة الازهرية ،  
وارسال المصاحف والكتب الدينية ، وتبادل العلماء ، وحضور المؤتمرات  
وتكرين المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية لهذا الغرض(١٨) • وبالرغم  
من مبادرة الثورة المصرية فى مؤتمر باندونج فى ١٩٥٥ وتضامن الشعوب  
الاسيوية الافريقية والتنبيه على أن هذا التكتل الجديد هى صياغة

---

(١٨) أنظر بحثنا الدين والتنمية فى مصر ، الجزء الرابع : الدين  
والتنمية القومية .

سياسية حديثة للعالم الاسلامى الذى امتد كله بين قارتي آسيا وأفريقيا لم تستطع الثورة استخدام الاسلام كعنصر ترابط بين شعوب آسيا وأفريقيا واستغلال طاقاته فى توحيد هذه الشعوب ثقافيا وحضاريا وسياسيا (١٩) . وظلت علاقة مصر بالهند وبالصين وبيوجوسلافيا أقوى منها بكثير من علاقاتها بالدائرة الاسلامية فى اندونيسيا والملايو وباكستان وأفغانستان وتركيا بالرغم من الخلاف السياسى بين الانظمة السياسية لهذه الدول والثورة المصرية . فالخلاف السياسى بين الحكومات شىء عابر والتقارب الثقافى والحضارى بين الشعوب ثابت ودائم . وقد أدرك عبد الناصر ذلك أيضا دون أن يحققه . اذ يصرح فى حديثه الى المحرر السياسى لجريدة «الابزرغر البريطانية» أن الدور الدينى الذى يؤديه الاسلام قائم وفعال . ولقد تسألنى لماذا تبدو علاقاتنا بالهند أقوى منها بايران المسلمة وأقول لك ان الخلاف بين الحكومة المصرية والحكومة الايرانية لا يمكن أن يعوق أو يخجب العلاقة بين الشعب المسلم فى مصر والشعب المسلم فى ايران . ان العلاقات الدولية بظروفها الموضوعية لها أحكامها . لكن ذلك لا يناقض ولا يتعارض مع تعاطف الشعوب التى تعتنق نفس الدين . وقد تحدثت فى «فلسفة الثورة» عن دور افريقيا لمصر ، وعن دور افريقى آسيوى ، وعن دور فى العالم الاسلامى ، ولست أرى تصادما بين هذه الادوار الثلاثة أو احتكاكا بين دوائرها (٢٠) .

---

(١٩) مالك بن نبي : فكرة الاسيوية الافريقية ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، دار العروبة ، القاهرة .

(٢٠) حديث الى مستر روبرت ستيفن المحرر السياسى لجريدة الابزرغر البريطانية ١٩٦٤/٧/٥ .



٢ — ظلت تفرقة عبد الناصر بين الدين والسياسة تفرقة ضعيفة ولا تخدم قضيته • فهو يواجه عدو يتستر بالدين ليحقق أهدافاً سياسية في الحلف الاسلامى ، ويبين أن الدين أقرب الى سياسة عدم الانحياز والخروج عن مناطق النفوذ والاحلاف العسكرية • وفي كلتا الحالتين هناك تداخل بين الدين والسياسة ، أولاً لصالح الاستعمار والرجعية ، وثانياً لصالح الثورة والتقدم • بل أن عبد الناصر أراد في « فلسفة الثورة » تحويل الحج الى مؤتمر سياسى سنوى وليس مجرد شعائر ومناسك تقضى ، قوة سياسية وليس مجرد تذكرة لدخول الجنة ، وهو تأويل سياسى للدين يتفق مع روح الدين الهدف من اقامة الحج وشعائره قبل الاسلام عندما كانت تحج القبائل الى البيت العتيق وبعده عندما يأتى العالم الاسلامى كله فى مكان واحد ووقت واحد لينتدابروا شؤون الامة •

٣ — اقتصر استعمال الثورة المصرية فى التطبيق الاشتراكى على النحو الدعائى الجدلى الاعلامى للمحافظة على النظام ضد هجوم السعودية • كانت معركة بين نظامين سياسيين وحركتين تاريخيتين من خلال أجهزة الاعلام الرسمية ومفكرى كل نظام دون أن يكون له أثر كبير على رأى العام • ولم تتحول المبادئ الثورية الاسلامية العامة الى مشاريع ثقافية وحضارية للتحقيق • فالاسلام الثورى كان مجرد خطابة يتعلمها الناس فيحفظها طلاب المدارس دون أن يكون لها مضمون عملى يذكر • فلا يكفى أن يقال : ان الاسلام دين تقدمى ، رابطة بين الشعوب الاسلامية ، دعوة قدسية الى الحرية ، نزل ليطالب البشر فى كل زمان ومكان أن يرفضوا استغلال شعب لشعب ، وطبقة لطبقة ، وانسان لانسان • بل نادى بالمساواة والعدالة بين

الناس • كما لا يكفى أن يقال : ان رسالة الاسلام بطبيعته معادية للاستعمار وللامتيازات الاقطاعية وللاستغلال الرأسمالى • أو يقال : ليس الاسلام قيذا يثد الناس الى الماضى بل حافظ يدفع الى اقتحام المستقبل على توافق وانسجام كاملين مع مطالب الحرية السياسية والحرية الاجتماعية والحرية الثقافية • فالتحدى الحقيقى هو قياس بعد المسافة بين المثال والواقع ، بين الممكن والمتحقق ، بين النوايا الطيبة والافعال القائمة ، بين العبارات الانشائية ومضامينها الخبرية •

٤ - الدائرة العربية نفسها ممتزجة بالدين • فالعروبة امة والاسلام ثقافة • أما القومية العربية التى راجت ابان الثورة المصرية فقد كانت أقرب الى العلمانية باستثناء لبنان التى اقتترنت فيها الناصرية بالقومية العربية والاسلام ساعة الازمات وكما حدث ابان الحرب الاهلية الاولى فى ١٩٥٨ ثم الحرب الاهلية الثانية فى ١٩٧٥ وحتى الآن • أما ما يقال عن العروبة والاسلام فى موائيق حزب البعث ولدى حركة القوميين العرب فانه أقرب الى التبشير بالعروبة وسط جماهير المسلمين • الاسلام مجرد أداة للتعبير ، ووسيلة للانتشار • وكيف يمكن استعمال الكل وهو الاسلام من أجل التشريع للجزء وهو العروبة دون وضع للجزء فى إطار الكل ؟ ان القول بأن تعاون جميع المسلمين ذون خروجهم عن الولاء لاركانهم الاصلية هو تناقض يكشف عن استحالة الولاء المزدوج ، الاول نظرى للاسلام والثانى عملى للعروبة • فاسلام دين دولة ، نظر وعمل ، ثقافة وسياسة ، حضارة وأمة • والحقيقة أن كليهما ، العروبة والاسلام ، قادران على الاستجابة لمطالب العصر فى الحرية والتحرر وتحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة • ومن هنا فلابوجود لتعارض مفتعل بين القومية العربية والاخوة الاسلامية

على ما يقول عبد الناصر • فالامة العربية بقواها الثورية التقدمية لا نرى في الاسلام عائقا عن التطور بل دافعا له • ليست القومية العربية عازلا عن تضامن الشعوب الاسلامية ، فمواعم الفضال من أجل الحرية السياسية والاجتماعية تعزز بعضها البعض وتتكامل فيما بينها (٢١) •

٥ — لم يكن دور مصر في المحافظة على الاسلام قليلا • فمصر هي التي دافعت عن حصن المسلمين منذ الصليبيين حتى عين جالوت • جندها خير خير أجناد الارض وشعبها مرابط الى يوم القيامة • ومن ثم لا يعقل أن يحدث تصادم بين الاخوان والثورة كما حدث في مارس ١٩٥٤ بدعوى الصراع على السلطة • ومنذ ذلك الحين تم شق الامة الى قسمين . الاسلام ضد الثورة والعروبة والقومية والاشتراكية والعلمانية • ثم انزوم الاسلام وتحول الى داخل السجون ثم خرج راغبا في الانتقام • والثورة العربية تحولت الى ثورة مضادة من داخلها وبالتالي ضاع الحسينان معا (٢٢) • وان ثتل مصر في محيطها العربي والاسلامي انما يأتي من اللغة ، فالعروبة هي اللسان ، ومن الدين ، فالاسلام ثقافة الامة •

٦ — وبدسرف النظر عن تشخيص المبادئ والافكار والسياسات

---

(٢١) انظر بحثنا : القومية العربية والاسلام ، هذا الجزء : الدين والنضال الوطنى •

(٢٢) انظر بحثنا : الحركة الاسلامية المعاصرة ، الجزء الخامس •

في الزعماء وكثرة نقد الاشخاص فانه قد يتحول الامر الى أن تصبح  
المعارك السياسية معارك شخصية بين زعامات ، كل منها يدافع عن  
نفسه ، والكل يدعى الشرعية في التمثيل السياسي للامة جمعاء •  
انما كان الهدف من ذلك بيان كيف أصبح أعداء الامس أصدقاء اليوم ،  
وكيف تحولت الزعامة في القاهرة من ثورة الى ثورة مضادة • قد  
يكون في البحث تكرار كثير ، ولكن الهدف كان ترك أقوال عبد الناصر  
تدل بنفسها ، فالخطابة السياسية ليست فقط شكل تعبير أو أداة  
اتصال بل هي أيضا موضوع سياسي يكشف عن الاوضاع السياسية  
العامة التي كان الخطاب السياسي فيها محورها الاول •



## عبد الناصر والشاه

---

في الوقت الذي لا يجد الشاه في العالم كله مكانا يأويه أو طبييا يداويه أو وطنًا يحميه يتبرع حاكم مصر بالقيام بذلك تأييدا لعمل أمريكا وطاقية ايران ، فالعملاء يؤيد بعضهم بعضا ، والكل يتسابق لدى السيد في اظهار مزيد من عمالته . اذا سقط عميل أتى الآخر ليحوى الاول أو على الاقل ليأويه في أيامه الاخيرة . وربما كان الدافع الرغبة في أخذ أموال الشاه الهارب وثوراته المهربة التي تقدر بمئات الملايين من الدولارات في البنوك الاجنبية والعقارات الشاهية على الجبال وفي العواصم الكبرى والمجوهرات من فوق تاج الطاووس ومن ثنايا خزائنه ، الشاه أولا وماركوس ثانيا . وربما تأتي المصاهرة من أجل تشريع النهب والسرقة . فالملل مشاع بين الاسرة القديمة التي بها الشاب المدعى للعرش والاسرة الجديدة الطامعة بها العروس ، زوجة ملك المستقبل ! استقبل استقبال الملوك وهو الشاه الهارب المخلوع ، وشيعت جنازته رسميا ، وعلى عربة مدفح ، وأمامه جنود مصر ، وحرس حاكمها الخاص باسم اكرام الميت ، وواجبات الدفن ، واستقبال العزاء ! وهو الذي كان يسرع وهو حي بالقضاء

---

(\*) كتب هذا المقال أيضا بعد اندلاع الثورة الاسلامية في ايران وبعد موت الشاه واقامة جنازة له في مصر وبعد عقد معاهدة كامب ديفيد في ربيع ١٩٧٩ ، لتوضيح التقابل بين عدو الامس وصديق اليوم ( الشاه ) وبين زعيم الامس ( عبد الناصر ) وحاكم اليوم ( السادات ) . والاصل مفقود . وهذه صياغة ثانية من المسودة الاولى تمت في خريف ١٩٨٧ .

على الاحياء وانهاء الآجال • كانت جنازة لا يحيط بها ولا يسير فيها فيها ولا يرهاها الا الخونة والعملاء باسم الدين وتحت ستار الاسلام • وقد يكون أطباء أمريكا هم الذين قتلوه أثناء اجراء العملية الجراحية له بجرخ الكبد حتى تنتهى مشكلة تسليم الشاه والافراج عن الرهائن • قتلته أمريكا باسم العلم ، وواريناه نحن التراب باسم الدين ، خديعة فى الاولى ، ونفاقا فى الثانية •

وهو الشاه الذى عادته مضر فى ثورتها والذى كان عدوها اللدود مع حكام الرجعية والخيانة • فلما انقلبت الثورة الى ثورة مضادة ، تحول عدو الامس الى صديق اليوم • أحالنا الواقع المر الحالى الى الحلم الثورى القديم • ماذا كانت صورة الشاه أيام كانت مصر فى قلب الثورة العربية وتحت قيادة زعامتها الثورية ؟ كان الشاه أداة الاستعمار ضد التقدم ، ومطية الصهيونية ضد شعب فلسطين ، وعميل أمريكا ضد الاستقلال الوطنى للشعوب ، وحليف الرجعية ضد القومية العربية ، والمناهض للوطنية ضد مصدق والحكم الوطنى ، والمتاجر بالدين والمزيف لشعارات الاسلام باسم الحلف الاسلامى ، والقاضى على الحريات بأوامره للسافاك • هذه هى صورة الشاه فى الخطابة السياسية لنزعامة الثورية فى الستينات فى مصر •

#### ١ — أداة الاستعمار •

فأول خط فى رسم صورة الشاه فى الخطاب السياسى عند عيد الناصر أن الشاه أداة للاستعمار • فقد كان محرصا فى حلف بغداد ، وكان محرصا لانجلترا وتب العدوان ومؤيدا لها ، وكان محرصا ضد

الامة العربية وضد القومية العربية • كان يزيّف الشعارات ليضع  
الامة العربية داخل منطقة النفوذ الامريكية والبريطانية • لذلك  
حاولت الثورة المصرية كشفه باستمرار باعتباره عميلا للاستعمار وعدوا  
لارجمية • أيده الاستعمار ؛ ونصبه على العرش خلفا لابيه ، وأرجعه  
بعد هروبه في وجه ثورة مصدق الوطنية • وأيده بالسلاح والمعلومات  
عن المعارضة • كان الغرب يعتبر ايران واحة أمان في الشرق الاوسط ،  
وأبعد البلدان عن الثورات والتقلبات السياسية • وفجأة وبلا مقدمات  
اندلعت الثورة ، ونزلت الملايين الى الشوارع ، وظهر الائمة كقيادة  
ناريخين للشعوب الاسلامية • وانضم الجند الى الشعب في ثورة  
عرايية ناجحة ، وهرب الشاه • رفض الاستعمار استقباله ، واستقبله  
اعوان الاستعمار الآخرون في المناطق القريبة • تنصل الاستعمار منه  
حرصا على شعب ايران ، وتمادى باقى العملاء في مسانדתه تقربا  
للاسياد ، وطمعا في ثروة الشاه المخلوع • وانضم الشاه الى نادى  
الملوك المخلوعين الذين رأوا في الاستعمار خير سند لهم ضد شعوبهم  
مثل لوان نول ، سبارك ، ديم ، تشان كاي تشيك ثم لحق بهم ماركوس  
والنميرى ، والباقون آتون بأشخاصهم أو ان لقوا حتفهم قبل الهروب  
يمثلون بأزواجهم(١) •

---

(١) تم الاعتماد في هذا المقال على الخطاب السياسى لجمال عبد الناصر  
بروجه لا بنصه وعن طريق شرحه دون فصل بين النص والشرح . وهى  
أحدى طرق القدماء في الشرح عن طريق العبارات الشاسارحة للمعنى  
Paraphrasing . سواء بنفس الالفاظ أم بغيرها • والمقال تكبير لنقطة  
واحدة هى « عبد الناصر والشاه » من المقال السابق الاعم « عبد الناصر  
والحلف الاسلامى » الذى يشمل سعود ، وفيصل ، وبورقيبة ، والحسين ،  
والشاه . والذى هو بدوره تكبير لنقطة واحدة من المقال القادم « عبد الناصر  
والدين » .



## ٢. مطية الصهيونية •

وذانى خط فى صورة الشاه هو أنه مطية الصهيونية وحليف إسرائيل • لقد باع الشاه نفسه بأبخس الاسعار للاستعمار حتى اعترف باسرائيل ليرضى أمريكا • ولكن الامة العربية لم تخدع ولم تتأثر بهذه الشعارات الزائفة • فهى تعلم أن الاستعمار أقام اسرائيل فى قلب الامة العربية ، وأنه يريد من اسرائيل أن تقضى على الامة العربية ، وان أعوان الاستعمار لا يمكن أن يكونوا للاستعمار. الا عندما ينفذون أوامره • وتنظر الزعامة فى مصر الى هؤلاء الاعوان باحتقار شديد لانها عندما صممت على استقلال البلاد استطاعت أن تنتزع الاستقلال انتزاعا • هذه الروح هى التى تسرى فى كل شعوب الدنيا • وان شعب ايران الذى ثار ليتحرر والذى انتكست ثورته لا يمكن أن يقبل أن يخضع للاستعمار أو لمناطق النفوذ. ، ولا يمكن أبدا أن يكون مطية للصهيونية العالمية لتتحكم فى مصير ايران • لقد باع الشاه نفسه للاستعمار والصهيونية ، وأعلن بنفسه أنه يعترف باسرائيل ليرضى هؤلاء الاسياد ، أمريكا وبريطانيا والصهيونية واسرائيل • لذلك لم تقبل الثورة المصرية أن تبتمى لها سفارة فى ايران بل أغلقتها • ولم ترض أن يكون لها ممثل لدى هذا الذى باع نفسه للصهيونية وللاستعمار • وقد أتى اليوم الذى تحررت فيه ايان من الرجعية والفساد والسيطرة والاستعمار والصهيونية حتى تعود الثورة المصرية وتفتح سفارتها لدى شعب ايران الحر الابى الكريم • ان الثورة المصرية تقف مع شعب ايران وتؤيد ثورته من أجل التحرر حتى يصبح هذا الشعب سيد نفسه ، لا مطية للاستعمار والصهيونية •

### ٣ - عميل أمريكا •

والخط الثالث في صورة الشاه في الخطاب السياسي لدى عبد الناصر هو أنه عميل أمريكا ، لما كانت أمريكا هي زعيمة الاستعمار في العصر الحديث بعد أن تخلت بريطانيا زعيمة الاستعمار القديم عن دورها المباشر في قيادة الاستعمار العالمي وتنازلت عنه لأمريكا • ولما كانت الصهيونية أداة الاستعمار وخلقه وكانت أمريكا زعيمة الاستعمار كان الشاه في نفس الوقت أداة الاستعمار ومطية الصهيونية وعميل أمريكا • لقد جعل الشاه نفسه مطية للصهيونية وللإستعمار ، وأراد أن يتحدى الأمة العربية وأن يجعل من نفسه ومن باده خادما للصهيونية وللإستعمار • لذلك أغلقت الثورة المصرية سفارتها في طهران اذ لا يمكن أن يكون لها ممثل لدى رضا بهلوى شاه ايران وهو نفسه ممثل الإستعمار والصهيونية • لقد ظن الشاه أنه بواسطة اسرائيل والصهيونية العالمية يستطيع أن يحصل على دولارات أكثر وتأييد أمريكي أعظم لاختضاع شعب ايران • ولقد كافح شعب ايران طويلا ، ومع ذلك استطاع الشاه اخضاعه واجهاض ثورته • وفي كل يوم كان الشاه يعقد مؤتمرا صحفيا للهجوم على الثورة المصرية التي حررت شعب مصر والتي أصبحت رائدة التحرر للثورة العربية ، وهو في الحقيقة بوق لاسياده ، جعل ايران مستعمرة أمريكية ومستعمرة صهيونية ، خاضعة للنفوذ الامريكى والصهيونى • قسام الشاه باستغلال ايران لصالحه ، ونهب أموال الشعب ، وسرق ثرواته • حول ايران الى دولة داخلية ضمن الاحلاف الغربية ، واقعة تحت حماية الغرب • يعطيه الغرب معونات كل سنة فيسرق بعضها وينفق الباقي على الجيش لحمايته وللانتفاض على الثورة العربية اذا ما حان الوقت •

#### ٤ — حليف الرجعية \*

والخط الرابع لرسم صورة الشاه من الخطاب السياسى لعبد  
الناصر هو أنه حليف الرجعية العربية ، وعدو الحركة التقدمية العربية \*  
لذلك أيدته النظم الرجعية فى السعودية والاردن وتونس والمغرب ،  
وهو يعادى النظم التقدمية العربية فى سوريا والعراق ومصر والجزائر \*  
والرجعية ترى أمريكا حليفها الاول فتتعاون فيما بينها وتنسق مع  
أمريكا من أجل اجهاض الثورة العربية التقدمية والقضاء كلية على  
احتمالات الثورة فى ايران \* كان عبد الناصر على علاقة وثيقة بكل  
التنظيمات الثورية الايرانية المناهضة للشاه والعاملة داخل الوطن مثل  
« مجاهدى خلق » ، و « فدائى خلق » ، يمدهم بالسلح ويعدهم  
بالتدريب مع جيش فلسطين حتى يأتى الوقت لتخليص شعب ايران  
من حكم الشاه \* ان ثروات الشاه و ثروات أمراء النفط فى المغرب وفى  
أمريكا لاستثمارها هناك خشية من مطالبة الشعبين الايرانى والعربى  
بها عندما تحن الثورة \*

#### ٥ — المتاجر بالدين \*

والخط الخامس فى رسم شخصية الشاه هو أنه متاجر بالدين \*  
فباسم الحلف الاسلامى أراد تجميع الرجعية العربية والاستعمار  
الامريكى فى حلف واحد تحت ستار الاسلام وهو الحلف الاسلامى \*  
لقد زيف الشعارات الوطنية والشعارات الاسلامية \* ولكن الشعبين  
الايرانى والعربى كشفوا زيف هذه الشعارات وأغراضها فى أن تخدم  
الامة العربية لتدخل من جديد فى مناطق النفوذ ، وليتم تكبيلها  
بالسلاسل الى الابد \* ان شعب ايران اليوم يستطيع أن يكشف كل

ما يدعيه الشاه حينما كان يتكلم عن الحلف الاسلامى وهو حلف بغداد القديم وحينما كان يبين أن هذا الحلف الاسلامى انما هو السند للمعروبة جمعاء • ان هذه الاحلاف التى نادى بها أعوان الاستعمار ليست الا السند الاكبر للاستعمار ومناطق النفوذ والسند الراسخ للصهيونية العالمية • أما الامة العربية فقد كافتحت مع شعب ايران فى سبيل حرية الوطنين ومن أجل استرداد حقوق شعب فلسطين ان رد الثورة المصرية على الاستفزاز الناتج عن تزييف الشعارات لخداع الامة العربية وتكبير شعب ايران هو مزيد من الكشف عن التجارة بالدين والخداع باسم الدين اءتمادا على التصور الدينى التقليدى لدى عامة الناس الموروث من التراث القديم والذى تروجه أجهزة الاعلام فى النظم الرجعية وفى الغرب على حد سواء (٢) •

## ٦ — المناهض للوطنية •

والخط السادس فى صورة الشاه هو أنه أكبر مناهض للوطنية وللاستقلال الوطنى داخل ايران • لذلك لم يتحمل الثورة العربية التى كانت تدافع عن الاستقلال الوطنى للامة العربية دفاعا عن سيادتها واستقلالها فى صنع القرارات السياسية والاقتصادية • كان من الواضح أن الشاه لديه عقدة مصدق ، مصدق الذى قام ليحرر بلده ، ويقضى على الاحتمكارات التى قامت فيها ، مصدق الذى قام ليقتضى على النفوذ الاجنبى ، مصدق الذى استطاع الشاه بالتعاون مع

---

(٢) انظر مقالنا السابق « عبد الناصر والحلف الاسلامى » •

الاستعمار أن يقضى عليه وعلى ثورته • كان شبحة يقف دائما للشاه بالمرصاد • وكان ينظر الى الثورة التي قامت في مصر والى الحركة التحررية في أنحاء الامة العربية ، كان ينظر اليها بخوف ورهبة لانه كان يعلم أن ثورة قد قامت في بلده في الماضي واستطاع بواسطة الاستعمار أن يقضى عليها ، وأن ثورة قد تنتشب في المستقبل وتطيح به • كانت عدة مصدق هي التي تدفع شاه ايران دائما الى أن يضع نفسه داخل النفوذ الاجنبي • واذا كان شاه ايران قد باع نفسه بثمن بخر فان شعب ايران لا يمكن أن يبيع نفسه بالذهب أو بكل كنوز الدنيا • ان شعب ايران يكافح ولم يتوقف عن النضال ضد الشاه • ومنذ أسبوع واحد فقط استغنى الشاه عن ٥٠٠ ضابط من ايران بدعوى أن الفساد موجود بالجيش ، وهم الضباط الاحرار الذين يخشى الشاه منهم • وقد قام الشاه من قبل ، بعد ثورة مصدق وقضاء الاستعمار عليها باعدام ٦٠٠ ضابط وبعدها مكفه الاستعمار من العودة الى العرش مرة أخرى بعد هروبه خارج ايران وكما هرب بعد الثورة الاسلامية الاخيرة •

#### ٧ — القاضي على الحرية •

سيظل الشاه مثلا يضرب في التعذيب والتنكيل بالشعب وبالخصوم على يد السافاك الذي طار صيته الآفاق في الوحشية والقسوة • كان الخصوم السياسيون يعذبون حتى الموت في السجون ، تقطع أيديهم وأرجلهم ويتذف بهم في البحار والمحيطات • كانوا يخطفون نهارا وليلا ، ويختفون ولا يدري أحد مصيرهم • كان الشاه يصور نفسه ويصوره الغرب على أنه أكبر نصير للحريات ضد الهيمنة الشيوعية

والارهاب الماركسى • وكان في نفس الوقت يزج بالآلاف في المعتقلات • وحتى اندلاع الثورة الاسلامية الاخيرة ، كانت دباباته تسير على أجساد الآلاف من المتظاهرين في الشوارع • لقد مثل المشوهون والباقون أحياء من التعذيب أمام المحاكم الثورية الاسلامية بعد انتصار الثورة كشواهد حية ضد عملاء السافك دون ما حاجة الى أقوال اثبات ودون ما حاجة الى أقوال دفاع عن المتهمين : آذان مقطوعة ، أيادي مبتورة ، أصابع مثلومة ، عيون مفقوعة ، ألسنة مشطورة ، أنوف مجدوعة ، أجساد كسيحة ••• الخ • ولقد استطاعت الاتحادات والتنظيمات الطلابية في الخارج تأليب الرأي العالمي كله ضد الشاه ، وبالوثائق والصور حتى لم يعد أمام الاستعمار مهرب الا الاستسلام والتخلي عن عميلها والتضحية به وبحثا عن عميل آخر ينجح ويعيد الكرة (٢) •

هذه خيوط سبعة تظهر في الخطاب السياسي لعبد الناصر وترسم صورة للشاه • ليس هو الاخ السليم ، أو الصديق المخلص الذي مد العرب بالبترول أثناء حرب أكتوبر ، أو الذي أعطى مصر صفتة الاوتبيسات المريبة التي انسابت منها العمولات في جيوب الحكام • وليس هو الصهر المحتمل والحمو الرقيق وأب « العريس » المرتقب ، ولي العهد الذي ينزل بسرار القبة ويجثم على أرض مصر • هو

---

(٣) خطاب في المهرجان الرياضي الذي اقيم مساء ٢٦/٧/١٩٦٠ ج ٣ ص ٢١٧ — ٢١٩ ، خطاب في عيد النصر ببورسعيد في ٢٢/٢/١٩٦٤ ، ج ٥ ص ١٠١ ، خطاب في مؤتمر الاتحاد الاشتراكي العربي بمناسبة الاحتفال بالعيد القومي للسويس في ٢٢/٣/١٩٦٦ ، ج ٥ ص ٥٣٢ ، حديث للرئيسين عارف وناصر للصحف العرب في ٤/٢/١٩٦٧ ج ٦ ص ٣٥ •

صاحب الكنوز الذى هربها فى كل مكان والتي كان حاكم مصر يقتفى  
أثرها ودفن ثمنا بخسا فى نظره ، باهظا فى نظر الشعب ، قطعة أرض  
وحفنة تراب من ثرى مصر يوارى فيه الخائن جسده بعد أن لفظته  
الأرض فى كل مكان • ولكنه سرعان ما لحق به • فتشابعت الجنازتان ،  
واتحد المصيران •

## عبد الناصر والدين

يظهر ناصر هذه الايام وكأنه كان حلم حياتنا \* فقد استطاع لأول مرة في تاريخنا الحديث منذ محمد على صياغة مشروعنا القومي الذي تمثل في مبادئ الثورة الست والذي تحقق على مدى ثمانية عشر عاما فأعطى المنطقة واتعا وكيانا مناهضا للاستعمار والصهيونية والرأسمالية ومؤداه استقلال الارادة الوطنية للشعوب وسيطرتها على وسائل الانتاج ومؤسسا حركة عدم الانحياز التي أصبحت تمثل مستقبل العالم ، تمده بقيم جديدة في التحرر الوطنى والعدالة الاجتماعية \*

وبالرغم مما عاناه البعض منا أثناء تحقيق مشروعنا القومى ، رغبة في المزيد من العدالة الاجتماعية أو مطالبة منا بالمشاركة في صنع الرقرار ، وتأسيس نظام ثورى شعبى يساند القيادة الا أننا في هذه الايام وبالمقارنة بما يحدث الآن ، نعتبر معاناتنا القديمة وكأنها لا شىء بالنسبة لأمسينا الحالية وانقلابنا على أنفسنا ، واقامتنا مشروعا مضادا يتحالف مع الاستعمار ، ويستسلم للصهيونية ، وتتشابك مصالحه مع الرأسمالية العالمية \* أصبح كل من يقاوم الرأسمالية العالمية عميلا

---

(\*) كتب هذا البحث ابان الثورة المضادة في مصر لاستغلال الدين من أجل الابقاء على الوضع القائم وكتبرير للثورة المضادة واضفاء الشرعية عليها . وقد أرسل الى جريدة « السفر » في بيروت لنشره في سبتمبر ١٩٧٩ بمناسبة الذكرى السنوية لوفاة جمال عبد الناصر .



للاشتراكية الدولية ، وكل من يرفض الاستسلام للصهيونية مغامرا  
رافضا متاجرا بالحروب وكل من يناهض الاستعمار مأجورا للمعسكر  
الاشتراكي ويعمل لحساب الشيوعية ، وكل من يتحدث عن معاناة  
الجماهير كافرا ملحدا ! •

كما يظهر الدين لنا هذه الايام وكأنه قد أصبح الدعامة الاولى  
لثورة المضادة نظرا لعجاب أى تنظير لها • فالطبقة الحاكمة التى بيدها  
المال والسلطة ليست فى حاجة الى تنظير بل وتدرك سذاجة المنظرين  
الجدد وسطحيتهم ونفاقهم وجبنهم • لم يبق الا اللجوء الى الدين  
لتدعيم الثورة المضادة وازفاء الشرعية عليه • فالدين يدعو الى  
التوازن بين الدنيا والآخرة وعلى الفقراء المحرومين ألا يشغلوا أنفسهم  
بهموم الدنيا فالآخرة خير وأبقى • كما يدعو الى التوازن بين الفرد  
والمجتمع ، فعلى الاغنياء أن يقووا من فرديتهم وأنانيتهم ضد النزعات  
الاجتماعية • كما يدعو الى التوازن بين العنصر المادى والعنصر  
الروحى ، فعلى الفقراء أن ينعموا بالروح الباقية بدلا من المادة  
الفانية التى يعكف عليها الاغنياء !

أصبح الدين فى أيامنا مجموعة من الشعائر والطقوس ، واطالة  
اللحاة ، وتمتمة الشفاعة ، وتسبيل العينين ، وبناء المساجد ، واثارة  
المآذن ، والاعلان على الصلوات الخمس فى أجهزة الاعلام ، ولبس  
الحجاب حتى يحيد المشعور الدينى عن البناء الاجتماعى ومظاهر  
الظلم والفساد وأشكال التسلط والطغيان • أصبح الدين فى أيامنا دعوة  
الى تطبيق الشريعة ، واقامة الحدود ، ووضع مادة فى الدستور تجعل  
الشريعة مصدرا أساسيا للتشريع ، واييقاف بيع المشروبات الروحية فى

شهر رمضان في الاماكن العامة على المصريين وحدهم دون العرب والاجانب تشجيعا للسياحة ! كما أصبح دعوة لتطبيق الحدود قطع اليد ورجم الزانى على صغار الناس وافساح المجال للمضاربات والرشاوى والعمولات بلا حدود ، وانتشار قيم الاستهلاك والانحلال وتجارة الرقيق الابيض • وكلها مزايدات كلامية وتعمية على ما يدور في الموانع من اختلاس وحرائق ونهب لثروات الشعوب ، وتبرئة للذمة للمتستر على أسباب الجرائم الحقيقية في النظام الاجتماعى • أصبح الدين في أيامنا مجموعة من العقائد النظرية يؤمن بها الانسان ولا ينتج عنها أثر عملى فى الحياة الاجتماعية كل من خرج عليها يكون كافرا وذلك لمنع حرية الفكر والاجتهاد وحتى لا ينكشف المضمون الاجتماعى للمعتيدة فيثور الناس • أصبح الدين شيئا والسياسة شىء آخر ، وعدنا الى المقالة الابليسية القديمة التى روج لها الاستعمار ، ودعت اليها الرجعية • أصبح الدين مجموعة من التيم السلبية مثل الصبر والرضا والقناعة والتسليم والمحبة تدعو الناس الى الاستكانة والرضوخ والاستسلام والخروج من حلبة الصراع الاجتماعى ، وقبول الامر الواقع ، وانتظار الفرج القريب • فالايامن يدعو الى القبول والتسليم بلا تفكير أو اعتراض ، والاصالة تحتم التصدى للنظم الاثتراكية المستوردة ، والصلابة تقف فى مواجهة مخاطر الانقلابات وتغيير النظم الاجتماعية •

وهنا يظهر لنا ناصر من جديد واستخدامه الدين من أجل الثورة كجزء لنا عما نحن فيه هذه الايام من استخدام الدين لتكريس الثورة المضادة • أصبح الدين لدينا الآن « أفئونا للشعب » بعد أن كان « صرخة للمضطهدين » • وقد ظهر البعد الثورى للدين فى معظم المعارك التى دخلها ناصر : الدين والثورة ( ١٩٥٢ ) ، الدين والسلطة .

( ١٩٥٤ ) ، الدين والوحدة ( ١٩٥٨ ) ، الدين والاشتراكية ( ١٩٦١ ) ،  
الدين وعدم الانحياز ( ١٩٦٥ ) ، الدين والصمود ( ١٩٦٧ ) • وسأترك  
ناصر يتحدث عن نفسه من خلال خطبه ومواعظه وأحاديثه (١) •

### ١ — الدين والثورة ( ١٩٥٢ — ١٩٥٣ ) :

لقد قام الضباط الاحرار بالثورة التي سببتهم اليها رجال الدين •  
ثورة الجيش وثورة العلماء ثورة واحدة • لقد وقف رجال الدين أمام  
نابليون ، ونادوا الى الجهاد ، وقاوموا الحملة الفرنسية • ثم قام عرابي  
متسلحا بروح الازهر مدافعا عن حقوق الوطن • ثم اشترك العلماء  
في ثورة ١٩١٩ ، وقاد رجال الدين المظاهرات • لذلك كان هدف الاستعمار  
هو القضاء على الجيش وعلى الازهر ، قمع الضباط الاحرار ورجال  
الدين • ففي مصر قوتان : قوة الجيش وقوة العلماء ، وكان هدف  
الاستعمار دائما تسريح جيش مصر والقضاء على هيئة العلماء ،  
وتشويش الدين وافساد نظم التعليم • لقد كان دور العلماء دائما هو  
توجيه السياسة المصرية • فقد قام السيد عمر مكرم بتنصيب محمد على  
واليا على مصر ، وارتفع صوت محمد عبده ينادى بالاصلاح الديني •  
كما ارتفع صوت لطفى السيد مناديا بأن تكون مصر للمصريين •

---

(١) هذه المعارك التي دخلها ناصر حول الدين والنضال الوطنى  
بدأت فى تواريخ محدودة ولكن ظلت مستمرة على مدى حياته وابان الثورة  
المصرية • فمعركة « الدين والثورة » مثلا بدأت منذ اندلاع الثورة فى ١٩٥٢  
ولكنها استمرت حتى ثورة البهن ١٩٦٢ وكذلك أيضا بدأت معركة الدين  
والسلطة فى ١٩٥٤ ولكنها استمرت حتى صراعه الثانى مع الاخوان فى  
١٩٦٥ • فالتاريخ المعطى هو بداية المعركة فقط وليس مسارها •

ودعا قاسم أمين الى تحرير المرأة • فالدين والوطنية والمجتمع كله  
روافد ثورية واحدة لان الدين ثورة وطنية اجتماعية •

ولكن لسوء الحظ استغلت الدولة العثمانية الدين ضد مصلحة  
الجماهير ومن أجل تثبيت دعائم الظلم والطغيان ، وبث الرشوة  
وافساد الضمائر وتدعيم حكم الاقلية المسيطرة ضد غالبية الشعب  
المطحون حتى عاش الشعب أسود ثمرات الظلم والطغيان تحت ستار  
الدين • ثم أتى الاستعمار فأيد نظام الاستبداد واعتبر مع السلطان  
كل ثائر من رجال الدين أو رجال الجيش خارجا على الدين • لذلك لم  
يكتف الضباط الاحرار في مصر بقول « يارب يا متجلى ، اهلك  
العثمانلى » ، ولكنهم كانوا يرون أن ميدان الجهاد الاكبر هو في  
مصر وذلك من أجل الثورة ، « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ••• » ،  
تلك المهمة التى شاءها التدر لهم • كما استطاع الاسلام أن يقف  
في مواجهة الحملات الصليبية قديما وهى الشكل القديم للاستعمار •  
واستطاع أيضا الوقوف أمام الغزوات الاستعمارية حديثا وهى الشكل  
الحالى للحملات الصليبية •

لقد أتى الاسلام برسالة تحرر للانسانية جمعاء من الذل والعبودية  
والمادية • تلك هى روحانية الاسلام لا الروحانية العرجاء الصماء  
التى تعبر عن العجز والنفاق • « ان القيم الروحية الخالدة النابعة من  
الاديان قادرة على هداية الانسان وعلى اضاءة حياته بنور الايمان  
وعلى متجه طاقات لا حدود لها من أجل الخير والحق والمحبة » • فالدين  
توجيه للانسان وثورة للجماهير يقوم على الحرية • « فان هذه القيم  
لا بد لها أن تعكس نفسها فى ثقافة وطنية حرة تفجر ينابيع الاحساس

بالجمال في حياة الانسان الفرد الحر • ان حرية العقيدة الدينية يجب أن يكون لها قداستها في حياتنا الجديدة الحرة » • فالدين ليس تكفيرا وتفتيشا في الضمائر واتهاما للابرياء بل ثقافة وطنية حرة واجتهاد مفتوح والتزام بأهداف الامة • « ان رسالات السماء كلها في جوهرها كانت ثورات انسانية استهدفت شرف الانسان وسعادته • وان واجب المفكرين الدينيين الاكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته » • فالدين ثورة انسانية ، ورجال الدين هم الثوار وليسوا بائعي الفتاوى وفقهاء السلطان • « ان جوهر الرسالات الدينية لا يتصادم مع حقائق الحياة ، وانما ينتج التصادم في بعض الظروف ومحاولات الرجعية أن تستغل الدين ضد طبيعته وروحه لعرقلة التقدم وذلك بافتعال تفسيرات له تتصادم مع حمكته الالهية السامية » • فالدين في حقيقته ثورة ولكن النظم الرجعية تحيله الى ثورة مضادة • « لقد كانت جميع الاديان ذات رسالة تقدمية ولكن الرجعية التي أرادت احتكار خيرات الارض لصالحها وحدها أقدمت على جريمة ستر مدامها بالدين وراحت تلتمس فيه ما يتعارض مع روحه ذاتها لكي توقف تيار التقدم •

وتعود القيم الثورية في الاسلام للظهور بعد ثورة اليمن في سبتمبر ١٩٦٢ وتظهر قيم الحرية والتحرر بالاضافة الى النظام الجمهوري الجديد ، حكم الشعب بالشعب والقيم الاشتراكية الجديدة فقد كانت معركة الاسلام والاشتراكية في أوجها • لقد قامت ثورة ٢٣ يوليو في مصر وهي تحمل شعارات الاسلام التي خرج بها الى العالم أول مرة وأولها الحرية ، حرية الفرد وحرية الوطن • فقد حرر الاسلام كما حررت الثورة الفرد من سيطرة الاقطاع ورأس المال وكل أشكال

السيطرة • نقد عادت الثورة تثبت دعائم الاسلام التي توضحها  
الخلافة وحررت المسلمين من الاستعمار البريطاني • ثم قامت ثورة  
اليمن فحررت العلماء الاحرار والضباط الاحرار من المسجونين والاعتقلت  
قامت ثورة اليمن للقضاء على الرق والعبودية بالقضاء على حكم  
الائمة اذبن اتخذوا الدين ستاراً للاقطاع والتسلط في حين أن رسالة  
الاسلام رسالة الحرية والمساواة • لقد انتشر الاسلام من اليمن  
في أرجاء الارض ولكن نظام الائمة عزل اليمن فقامت الثورة لتعيد  
الي اليمن رسالته في الحرية والتضامن ، رسالة الاسلام الاولى •  
لقد حرر الاسلام اليمن من الرق والعبودية والاطاع ولكن نزلت  
الائمة قضى على ما أتى به الاسلام • ثم جاءت الثورة وأعدت الي  
اليمن رسالته الاولى • فقد قام محمد بن عبد الله للقضاء على  
الاقطاع والاستبداد والاطاحة بحكم الاسر ، أسر بنى سفيان وقريش •  
كان حكم الائمة مثابه للحكم العثماني ، كلاهما باسم الدين وتحت  
ستاره ، وكلاهما تكاتف مع الاستعمار في الارهاب وقطع الرؤوس  
والاعتقال •

ورسالة الاسلام أن يكون الامر شورى ، لا امامة ولا ملكية  
بل جمهورية يشعر فيها كل فرد بحته في الحرية والحياة ، له الحق في  
أن يكون رئيساً للجمهورية • « ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها  
وجعلوا أعزة أهلها أذلة » • لم يكن حكم الائمة قائماً على الشورى  
بل على مبدأ الحكم الفردي والسيطرة والتحكم ، حكم السيف وقطع  
الرقاب • ولكن ثورة اليمن أعادت اليه حكم الشورى ، حكم الاسلام  
الممثل في مجلس الامة والحركات الشعبية وحق كل فرد في التعبير  
الحر عن رأيه • وعلى هذا النحو ترسي دعائم الاسلام • لم يورث

الاسلام الامة ابنا عن أب أو أبا عن جد ولكنه نادى بأن يكون الحكم للشعب لا أن تكون الولاية وراثية • لقد حكم المسلمون بعد النبي أبو بكر وعمر لان المسلمين اختاروهما وبايعوهما • فالاسلام يعنى المساواة بين الجميع أو حق كل فرد في الحكم اذا ما اختاره الناس بغض النظر عن حسبه ونسبه وعائلته وقبيلته • يكفى أنه مسلم له حق الحرية والمساواة •

والنظام الجمهورى هو الذى تتحقق فيه هذه المبادئ الاسلامية عادة كالشورى والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والمبادئ التى قامت من أجلها الثورة فى الديمقراطية والمساواة • فالجمهورية تعنى اختيار الشعب بارادته الحرة الحاكم الذى يتولى شئونه • ويمكن لكل مسلم أن يتصدى للحاكم كما تصدى المسلمون لعمر وقالوا له « والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » • ليس بالاسلام كهنوت يحكم بالحق الالهى اذ يستطيع الشعب أن يعزل الحاكم اذا انحرف عن مصلحة الشعب وارادته •

ولما كانت الثورة فى حاجة الى البذل والعطاء فان الاسلام يوفر لها ما تريد بما يقدمه للناس من قيم الجهاد والتضحية التى تتضح فى عيد الفطر وعيد الاضحى • فالصائم يضحى بمأكله وشربه فى سبيل الاحساس بالآخرين • وابراهيم ضحى بابنه طاعة لله وتنفيذا لامره • وحياة الرسول كلها تضحية وجهاد فى حربه للمشركين حتى فتحه مكة • والانسان هو الذى حمل الامانة بعد أن أثبتت السموات والارض والجبال ، والمسلم هو الذى عقد تجارة مع الله للجهاد فى سبيله • فالاسلام جهاد ، وما فرضت العبادات فى الاسلام الا لتقوية

النفس واعدادها لخوض المعارك دفاعا عن الوطن • « لقد اشترى الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » • وتتحقق آماني الشعوب بالاعمال وليس بالاماني والمني • وقد أعطت المسيحية أيضا درس الجهاد والشهادة والتضحية في حياة المسيح والحواريين والمؤمنين وما لاقوه جميعا من اضطهاد الرومان • طريق الجهاد اذن هو طريق الانبياء وطريق الثوار ، طريق العمل والفداء • كما جاهد محمد والمسيح وقد كان باستطاعة الله تأييدهما ونصرهما • وما قام به الضباط الاحرار ان هو الا جزء من الجهاد •

ولما ترك المسلمون الجهاد واستسلموا للذل والظغيان نزاهم الاستعمار • وبالتالي لن يتحقق تحرير المسلمين الا بالجهاد وتوحيد الامة ضد تفككها من أجل مواجهة الاستعمار والقضاء على المنافقين في الامة من الامراء والسلاطين مثل يوسف خنفس في مصر والجلال في المغرب • ان تحرر المسلمين من الاستعمار البريطاني لهو الجهاد الذي نادى به الاسلام ، الجهاد في سبيل الوطن وفي سبيل الله لا بسبيل الشهرة بل ابتغاء مرضاة الله • رسالة الدين رسالة الجهاد في مواجهة بريطانيا التي تأمرت على المسلمين في جميع أنحاء العالم ، وتأمرت على العرب لانها اعتقدت أن ذل العرب ذل للاسلام • وقد كتب الجهاد على جنود مصر من أجل الحق الالهي للانسان العربي في أن يحيا بالحرية والعدل • ولم تتردد مصر في ارسال ابنائها لدفع العدوان الرجعي الاستعماري على ثورة اليمن لان الثورة في مصر تؤمن بنزلة العرب جميعا كأساس لعزة الاسلام • « ان جبال اليمن تحمل قبسا من نفس الشعلة المقدسة التي يحج اليها المسلمون في عرفات » ، نفس الروح العظيمة التي أجرت بها العناية الالهية قدرة البشر على التضحية



من أجل العقيدة وفاء للرسالة ، رسالة الانسانية والتحرر • لقد عاهد جيش مصر على هذه الارض المقدسة على طرد بريطانيا من عدن ومن كل الجنوب العربى وعلى نصره دين الله ومساعد الاخوة الذين يكافحون الاستعمار فى جنوب اليمن • ان رسالة مصر نحو الاخوة العرب والمسلمين هو شد الازر والمساعدة على أن يرسوا فى بلادهم دعائم الاسلام الحقيقية • لقد جاءت الثورة المصرية لمساعدة الثورة اليمنية ورد اعتداء الرجعية والاستعمار عليها تنفيذا لامر الله ، لم تحارب الثورة المصرية فى بلد غريب بل فى بلد شقيق • ان جنود مصر حضروا الى اليمن واستشهدوا فى سبيل الله من أجل رسالة الله ، لا من أجل منفعة بل من أجل مبدأ ، وسارعوا للملاقاة الله من أجل رفعة راية الحرية وهى راية الاسلام ، جزاؤهم عند الله وليس عند الناس كما خرج الجنود الاوائل طلبا للاستشهاد فى سبيل الله •

وإذا كان الجهاد الاصغر هو الجهاد ضد الاستعمار من أجل تحقيق الاستقلال فان الجهاد الاكبر وهو جهاد النفس ، جهاد ضد التخلف والفقير ، جهاد التنمية والتغير الاجتماعى • الاول ثورة ضد الاستعمار الاجنبى ، والثانى ثورة ضد الفقر والجوع والجهل والمرض • فالجهاد ثورتان : ثورة سياسية وثورة اجتماعية وهو ما حققته الثورة المصرية رائدة الثورات العربية •

## ٢ — الدين والسلطة ( ١٩٥٤ — ١٩٥٥ ) :

لقد كان من سوء الطالع صدام الثورة المصرية مع الاخوان المسلمين فى بداية المد الثورى فى ١٩٥٢ وفى بداية الانحسار الثورى

في ١٩٦٥ • كانت العلاقة بين الثورة والايخوان علاقة وطيدة من خلال اتصالات ناصر بحسن البناء ووجود بعض الضباط الاحرار من الاخوان مثل عبد المنعم عبد الرؤوف ومساهمة الاخوان ليلة الثورة وبعدها في تأييد الثورة والدفاع عنها • وقد حدث الصراع على السلطة حتى قبل الثورة عندما طلب عبد المنعم عبد الرؤوف انضمام حركة الضباط الاحرار الى الاخوان حتى تؤمن الجماعة حياة الضباط ومستقبلهم في حالة فشل الثورة • ولما رفض ناصر لان الوطنية لا ترهن بموضوعات شخصية استقال عبد المنعم عبد الرؤوف قبل الثورة بعدة أشهر من حركة الضباط الاحرار • وفي أول يوم لقيام الثورة طالب الضباط أبو المكارم عبد الحى رئيس التنظيم الاخوانى بالجيش أسلحة لتوزيعها على الاخوان تأييدا للثورة ولكن رفض ناصر بالرغم من قبوله مبدأ التعاون معهم • ولم تحل الجماعة طبقا لقانون حل الاحزاب ولكن حدث الصدام بعد ذلك حينما رفض الاخوان الاشتراك في الوزارة الا بشروط ثلاث : الاول ألا يصدر قانون الا اذا أتمره الاخوان ، والثانى لا يصدر قرار الا اذا أقر الاخوان • وقد رفض ناصر هذين الشرطين لان الثورة ترفض أية وصايا عليها • وهناك فرق بين الوصايا والتعاون • والثالث طلب الاخوان أن يفرض ناصر الحجاب وأن يغلق المسارح والسينما وأن يتحول ناصر الى حاكم بأمر الله في حين أن ذلك موكول لرب كل أسرة ، وهو شرط في ظاهره تطبيق الاسلام وفي حقيقته أيضا فرض الوصايا على الثورة • وهنا يبدو الصراع على السلطة بين الثورة والايخوان ، بين الشرعية الثورية والشرعية الدينية • كان يكفى عقد حوار بين الشرعيتين حتى تتحقق الوحدة الوطنية في ضمير الامة وفي وعيها القومى بين الدين والثورة ، ولكن ذلك لم يحدث حتى الآن فقد

كانت الثورة في السلطة وكان الاخوان يريدون التعبير عن طريق السلطة •  
« لان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » •

ومن هنا جاء اتهام الاخوان بالاطماع الشخصية وبالحدود وبأنهم كانوا ضحية الحزبية البغيضة • حاولوا هدم الثورة من أجل السلطة مع أن الثورة أخرجتهم من السجن وحققت للجميع العزة القومية • خدع الاخوان الناس باسم الدين وعادوا الثورة وأصبحوا يمثلون العهد البائد ، الحزبية والملكية • احتكروا تفسير الدين ووقعوا فريسة التعصب وتآمروا ضد رجال الثورة الذين يعبرون عن أمانى الشعب • فالثورة تمثل شعب مصر ، ولا يمكن ترك الاسلام حكرا على فئة تتستر وراءه للخداع والتضليل وانتهاز الفرص • لذلك كون الاخوان جهازا مسلحا للانقضاض على الحكم بالرغم مما يرفعونه من شعار الديمقراطية • لقد أسس حسن البنا هذا النظام لمحاربة الملك والاحزاب ولكن القيادة الجديدة للاخوان حلتها وأقامت نظاما سريا بديلا عنه ليست مهمته متاومة الانجليز والاستعمار بل لمقاومة حكام مصر الوطنيين والوقوف ضد الشعب والسيطرة على الجيش والشعب والشباب وللقيام بعمليات ارهابية للقضاء على الحياة الديمقراطية في البلاد •

وكما هادن الاخوان القصر هادنوا الانجليز واتصلوا بمستر ايفانز الممثل الشرقي للسفارة البريطانية • وقد كان ناصر في حقيقته الامر يعلم بأمر هذه المفاوضات التي رفض فيها الاخوان ما قبله رجال الثورة في المعاهدة • كان الاخوان يمثلون تيارا شعبيا وليسوا

في الحكم ، وكان رجال الثورة في الحكم ومازالوا في البحث عن سند شعبي • واذا كانت تبادات الاخوان قد سجلت أسمائها في سجل التشريعات واعتبرته ولي الامر ولم تعارض اباحية الملك فان الملك كان يعتبرهم ألد أعدائه بدليل اغتياله لمرشدهم حسن البنا •

وقد اتهم ناصر الاخوان بأنهم أيضا أعوان الصهيونية والمرجعية العربية • فتد كانت اذاعات اسرائيل والعواصم الرجعية العربية تزوج لهجوم الاخوان على الثورة ، وكانت السعودية تؤيد الاخوان ضد الثورة ، وكان الحلف المركزي الاستعماري يؤيدهم كذلك • والحقيقة أن جهاد الاخوان ضد الصهيونية في فلسطين مشهود ، وتعاونهم مع السعودية تعاون الاحلاف ضد الثورة المصرية التي يصارعونها السلطة • لم يتجاوز الاخوان حدود الشعارات الدينية ولم يملؤوها بمضمون سياسي في حين أن الثورة حققت المضمون دون الشعارات • فاذا كان القرآن هو الدستور فان ذلك يعنى خلع الملك والفضاء على الفساد والظلم الاجتماعى وتحقيق الجلاء وهو ما حقته الثورة •

وقد بلغت قمة المأساة فيما يسمى بحادث المنشية بعد الصراع حول اتفاقية الجلاء • وللحقيقة والتاريخ أن اتفاقية الجلاء كانت تمثل أقل من المطالب الوطنية اذ كانت تسمح بعودة قوات الاحتلال الى قناة السويس في حالة الحرب • ولم يتحقق الجلاء بالفعل الا بعد تأميم قناة السويس في ١٩٥٦ • ولكن نقد الاخوان للاتفاقية في ذلك الوقت كان أقرب الى المطالب الوطنية • ولكن ناصر أخذ عليهم أسلوب الاغتيالات والتعزير بمحمود عبد اللطيف وأمثاله من الفقراء الذين يدفع عنهم ناصر • كما أخذ عليهم المخدر به بمجرد تعاونهم معه وايتارهم

نجيب عليه • والاسلام كما هو واقع من سيرة الرسول اتفاق الظاهر والباطن ، السر والعلن ، « وذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها » • وكما قال القرآن : « فلا تطع المكذبين • ودوا لو تدهن فيدهنون » •

لقد كان صراع الثورة مع الاخوان مأساة وطنية خسرت فيها الثورة التأييد الشعبى الذى كان يمثله الاخوان كما خسر الاخوان التفسير الثورى للدين الذى كان يمثله رجال الثورة ، وضاعت الوحدة الوطنية من أجل الصراع على السلطة ، وكان السلطة السياسية والدينية لصالح الثورة ضرورة لاحداث أى تغير اجتماعى شعبى فى مستقبل مصر (٣) •

### ٣ — الدين والوحدة (١٩٥٨ — ١٩٦٠) :

يظهر موضوع الوحدة الوطنية بين عنصرى الامة الاقباط والمسلمين داخل مصر أو خارجها بين المسيحيين والمسلمين فى لبنان فى ١٩٥٨ على أنها الدرع الوحيد الذى يحمى الشعب من الطائفية التى يغرسها الاستعمار ويتلاعب بها لاحداث الفرقة والقضاء على وحدة الشعب • والحقيقة أن الطائفية فى مصر ليس لها أى أساس فى مجتمع ثورى يقوم على المساواة بين المواطنين فى الحقوق والواجبات • كل على

---

(٢) وهذا يفسر نشأة كل مشروعنا « التراث والتجديد » الذى تعاد فيه الوحدة بين الدين والثورة أنظر « من العقيدة الى الثورة » ، المجلد الاول ، ، المقدمات النظرية ص ٤٩ — ٥١ ، مدبولى ، القاهرة ١٩٨٨ . ولهذا أيضا تم انشاء منبر فكرى لهذه الوحدة وهو مجلة « اليسار الاسلامى » ، العدد الاول ، القاهرة ١٩٨٠ .

قدر جهده ، وكل له فرصة مساوية في العمل • فلا توزع الاعمال على أساس طائفي ، والترقيات بالاقدمية أو الكفاءة ، والاجور على مستوى العمل وليس كما تزوج أجهزة الدعاية الغربية من أن الاشتراكية في مصر تقوم على أساس طائفي • ويدخل الطلاب الجامعات على أساس المجموع وليس على أساس الدين • والمادة الرابعة والعشرين من الدستور تنص على أن المصريين أمام القانون سواء ، وهم متساوون في الحقوق والواجبات العامة لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس أو الاصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة • ولقد أراد الاستعمار في سوريا أيضا التلاعب بالطائفية ولكن استشهد المسلم والمسيحي كلاهما دفاعا عن استقلال سوريا • كما حاول الاستعمار في مصر تقسيم الطبقة العاملة بالاستعانة بفلول الرجعية • تقوم الوحدة الوطنية اذن بين المسلمين والمسيحيين على مبادئ الثورة ، فالاسلام والمسيحية كلاهما ثورة قامت على المحبة والمساواة وتكافؤ الفرص وهي المبادئ التي نادى بها جميع الاديان • لقد عملت الاديان للفقراء والمساكين والعامة ، واستنكرت الاستعباد والاستغلال • كان المسيح ضد الاستعباد الروماني ، وكافح محمد بن عبد الله ضد الاستعباد القبلي • اعترف الاسلام بأهل الكتاب وأعطاهم حقوقهم • وفي فلسطين في ١٩٤٨ حارب المسلم والمسيحي جنبا الى جنب ، ولم تفرق قنابل الاعداء في ١٩٥٦ بين المسلم والمسيحي • ولكن التعصب والجهل يثيرهما رجل فيرد عليه آخر ، حوادث فردية قليلة وليست ظاهرة عامة ، وتاريخ مصر خال منها • والوحدة الوطنية بين عنصرى الامة هي الاساس كما بان ذلك في ثورة ١٩١٩ •

ثم ظهر موضوع الاسلام والوحدة الوطنية أثناء الثورة

الإيمانية • فقد قامت الثورة للتوحيد بين الشعب بعد أن فرقه الائمة •  
« لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين تلميذهم ولكن الله ألان  
بينهم » • لقد رفعت الثورة شعار الوحدة الوطنية حتى تفوت على  
الاستعمار تفرقته بين أبناء الوطن الواحد تحت ستار الحزبية أو  
الطائفية • فالكل عرب لا فرق بينهم لأن كل فرد يعرف واجبه وهدفه  
وهو الحرية والاستقلال • ان الاسلام يقتضى تضامنا ووحدة بين  
الاشقاء والعمل من أجل عزة العروبة • كما ينادى الاسلام بالتماون  
على البر والتقوى ليس فقط بالابناء والآباء بل بالامة كلها • وتقوى  
الله في جميع الامور تعذر التخلص من الانانية والفردية ، كما تعنى  
رفض الأعياب الاستعمار ونبذ لغة المال • وتعنى ثالثا بناء البلاد من  
أجل صالح الابناء في الحاضر والمستقبل • تلك هى تعاليم الاسلام  
الواضحة • وطريق الوحدة الوطنية هو طريق العفو ، والعفو من  
تعاليم الاسلام • فعندما دخل النبي مكة منتصرا لم ينتقم من أعدائه  
بل قال « اذهبوا فأنتم الطلقاء » حتى تتحقق الوحدة الوطنية ويجمع  
شمل العرب •

وقد ظهر الاسلام في معارك الوحدة العربية في ١٩٥٨ بعد اتحاد  
مصر وسوريا وتكوين الجمهورية العربية المتحدة • دخل الاسلام المعركة  
على نحو تاريخى عن طريق استرجاع الحروب الصليبية أو مظاهر  
الاستعمار في صوره القديمة وتوحيد المسلمين تحت قيادة صلاح  
الدين الذى وحد مصر وسوريا • لقد انتهز الاستعمار الاوربى في ذلك  
الوقت تفكك الامة العربية واستطاع باسم الحملات الصليبية — وهى  
شكل مقنع للاستعمار تحت ستار الدين — أن ينفذ الى الوطن العربى •  
ورغم ضعف العرب هبوا للدفاع عن أراضيههم ، واتحدت الامة لمواجهة

الغزو الاستعماري ، وكان النصر حليف القومية العربية . واستمرت الحرب ثمانين سنة استطاع الصليبيون في أول الامر احتلال فلسطين وبيت المقدس وتفرقة الامة العربية وقطع الطريق بين مصر والشام . تقدم نحو مصر ، الى الشرقية وبلبيس على أبواب القاهرة فكان اتحاد مصر وسوريا هو سبيل النصر . فقد أرسل السلطان نور الدين محمد — السلطان السوري — جيشه ليحارب مع جيش مصر ضد الغزاة . ثم اتخذت مصر وسوريا مرة أخرى تحت قيادة صلاح الدين ليصد الغزو الصليبي ضد سوريا بعد ذلك بربع قرن وانتصر صلاح الدين في معركة حطين ، فكانت الوحدة هي الدرع الذي تحدامت عليه موجات الغزاة . كما استطاعت الوحدة بين مصر وسوريا قبل ذلك صد هجمات التتار التي وصلت حتى بغداد واستولى عليها هولاء ثم توجه الى سوريا فقامت مصر لتحارب مع سوريا وهزمت جيوش التتار في عين جالوت . لم ينخدع المسيحيون العرب بالحملات الصليبية لانهم كانوا يؤمنون بالقومية العربية وباستقلال أراضيهم التي نشأوا عليها فوقفوا جنباً الى جنب بجوار اخوانهم المسلمين يدافعون عن أوطانهم وفطنوا الى تسنر الحملات الصليبية بالدين . فقد غيرت احدى هذه الحملات طريقها الى القسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية التي كانت تحمي المسيحية في الشرق فدمروها ونهبوها واحتلوها . فكانت وحدة المسلمين والمسيحيين سبيل النصر .

والآن يعيد التاريخ نفسه . فلا سبيل الى تحرير الاراضي العربية من الصهيونية العالمية الا بوحدة مصر وسوريا والوحدة العربية . ولم تكن مصادفة أن دخل الجنرال اللنبي قائد الجوش البريطانية الى القدس وقال « اليوم انتهت الحروب الصليبية » . ولم تكن مصادفة أيضاً



حين وصل القائد الفرنسي جورو الى دمشق ووقف أمام قبر صلاح الدين قال « هاقد عدنا اليك يا صلاح الدين • لقد هزم العرب في ١٩٤٨ لانهم كانوا سبع جيوش عربية ، ولو كانوا جيشا واحدا مثل جيش صلاح الدين لكان النصر حليفهم • ان الانتداب البريطانى على فلسطين لهو الصليبية الجديدة من أجل القضاء على القومية العربية • لقد قامت أساطيل بريطانيا من قبل في ١٨٠١ ثم ١٨٠٧ لغزو الامة العربية وقشبات • ثم عادت الجيوش البريطانية بعد انهيار الامبراطورية العثمانية في أواخر الحرب العالمية الاولى ، ولم يخرج الاستعمار البريطانى حتى ١٩٤٨ قبل أن يسلم الجزء الاكبر من فلسطين الى الصهيونية عميل الاستعمار الاول في المنطقة • وأخيرا مكنت الابريالية الامريكية في ١٩٦٧ الصهيونية من الجزء الباقي من القدس وفلسطين • وساعدت اسرائيل على تنفيذ أكبر مؤامرة للصهيونية والاستعمار في تاريخ الامة العربية • ولكن تاريخ الامة العربية شاهد على أنها قادرة على الصمود والعزم على التحرر •

#### ٤ - الدين والاشتراكية ( ١٩٦١ - ١٩٦٤ ) :

الاسلام دين اشتراكى ، حقق أول تجربة اشتراكية في العالم ، وأسس في أول أيامه أول دولة اشتراكية • وكان محمد بن عبد الله رئيس أول دولة اشتراكية وأول من طبق سياسة التأمين في حديثه المشهور « الناس شركاء في ثلاث : الماء والكلا والنار » ، وفي قول آخر يضاف الملح ، وهى المقومات الاساسية للمجتمع في ذلك الوقت التى لا يجوز ملكيتها لفرد • وقد عاش النبو ولم يملك شيئا ، ولم يأخذ شيئا من أموال المسلمين ، ولم ينصب نفسه ملكا • ومات ولم يترك

شبيثا بل باع ثوبه وتصدق به • لم يكن ملكا ولا أميرا من ملوك وأمراء  
اليوم الذين يملكون الملايين ويكنزون في بنوك فرنسا وسويسرا •

ثم استمرت الدولة الاسلامية الاشتراكية الاولى أيام أبى بكر  
وعمر • فقد حارب أبو بكر مانعى الزكاة لان الامتناع عن الزكاة ردة  
عن الاسلام ، فالزكاة حق المال • كانت حروب الردة نموذجا للثورة  
الاجتماعية ، ثورة الفقراء ضد الاغنياء ، ثورة من لا يملكون ضد  
من يملكون ، ونموذج اشتراكية الثورة حتى نزول الفواق بين الطبقات  
وحتى تقام العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص بين الناس • صحيح  
أن النبي عفا عن قومه بعد فتح مكة ، في قوله المشهور « اذهبوا  
فأنتم الطلقاء » ولكنه أيضا رفض العفو عن المنافقين بقوله « ان  
المنافقين يقتلون ولو كانوا متعلقين بأستار الكعبة » • وقد نصت جميع  
الاديان على العدالة الاجتماعية وعلى الزكاة • في الاسلام ربع العشر  
من المال الموجود آخر كل عام • فلو عاش الانسان أربعين أو خمسين  
عاما لثلث الزكاة ثروة طائلة يمكن استخدامها لصالح الجماعة • الزكاة  
أساس من أسس الاشتراكية • لذلك لم يكن في الدولة الاسلامية  
الاولى فقراء أو عجزة بل كان هناك تكافل اجتماعي • كما حرم الاسلام  
الربا حتى لا يتحكم الغنى في رقاب الناس وينتهد فرص حاجاتهم ،  
وهو ما عملته الثورة بالتضاء على الربا في السلفيات الزراعية • أما  
عمر فقد أمم الارض ووزعها على الفلاحين كما أخذ الارض من  
الاقطاعيين في العراق ، وزعها على المعدمين • رفض عمر أن تكون هناك  
طبقة أو فقر ، ولم يملك شيئا مما تملكه ملوك الرجعية الحالية •

« الاشتراكية شريعة العدل ، وشريعة العدل شريعة الله » •

والاسلام دين المساواة والعدل الاجتماعى وتكافؤ الفرص • يدعو  
الاسلام الى قسمة الربح مع الآخرين وأخذ حقوق الفقراء من أموال  
الاغنياء • والاسلام لا يسمح بوجود فقراء في مجتمع غنى • الاسلام  
دين العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص « لا فضل لعربى على عجمى  
الا بالتقوى » • ينص الدين على تكافؤ الفرص « ان جوهر الاديان  
يؤكد حق الانسان في الحياة وفي الحرية • ان أساس الثواب والعقاب  
في الدين هو فرصة متكافئة لكل انسان • اذ يبدأ كل فرد حياته أمام  
خالته الاعظم صفحة بيضاء يخط فيها ما يشاء باختياره الحر •  
لا يرضى الدين بطبقة تورث عقاب الفقر والجهل والمرض لغالبية  
الناس وتحتكر ثواب الخير لقلّة منهم • أن الله جلت حكمته وضاع  
الفرص المتكافئة أمام البشر جميعا أساسا للعمل في الدنيا وللحساب  
في الآخرة » • والغنى الذى يمتلك الاموال الضخمة في مجتمع فقير  
لا يمكن أن يكون ثروته عن طريق العمل بل عن طريق الاستغلال •  
الدين عمل ، وكان النبو يعمل بيديه ، ولم يكن الدين تجارة أو الميعل  
استغلال • الدين والاشتراكية اذن سواء • نادى كل منهما بالمساواة  
وتكافؤ الفرص ورفع مستوى المعيشة وتذويب الفوارق بين الطبقات •  
كان نصف في المائة يملكون نصف الدخل القومى فقضت الثورة على  
هذا التوزيع غير العادل ، وأصبح الدخل القومى موزعا على الشعب  
بعد أن قضت الثورة على الطبقة الرأسمالية والاقطاعية • وبهذا طبقت  
الثورة مبادئ الاسلام • بل ان الاسلام والاشتراكية متفقان من حيث  
المنهج فكلاهما يتم تطبيقه بالتدرّيج فيما يسمى بمرحلة التحول  
الاشتراكى • وقد أرشد القرآن الى حكمة التدرّيج لانه لم يحرم  
الخمير من أول مرة • فقد ذكر أولا « يسألونك عن الخمر والميسر قل

فيهما اثم كبير ومنافع للناس ، واثمهما أكبر من نفعهما » ثم ذكر ثانيا  
« ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى » • وذكر ثالثا « إنما الخمر والميسر  
والانصاب والالزام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه » •

ولكن رجال الدين يشوهون الدين ، ويصدرون الفتاوى لصالح  
الاقطاع بعد أن يقبضوا الثمن ، يؤيدون الملكية الفردية ويحرمون  
المساس بها « بعض المشايخ يروح يخبط ديك رومى أو خروف عند  
الاقطاءيين ويطاح يدي فتوى أن الملكية لا يمكن أن نترب لها أو  
نمساها • انهم لا يفكرون الا فى بطونهم وهم بذلك أجراء للاقطاع  
والرأسمالية » • ليست مهمة رجال الدين الخطابة فى المساجد بل النزول  
الى الاسواق والحياة العامة والتعرف على مشاكل الجماهير والعيش  
بمعهم ، فرجل الدين لا يتاجر ولا يعجز بل يقول الحق ويعمل به •

كما أن أعداء الاشتراكية والاسلام من فلول الرجعية العربية  
تحاول الاساءة الى الاشتراكية والاسلام معا لحساب تحالف الاقطاع  
والرجعية والرأسمالية • والحقيقة أن الاسلام ضد الاستغلال وكنز  
الاموال وصرها على الجوارى • أموال المسلمين للمسلمين وليست  
للملوك والأمراء الذين يدعون تمثيل الاسلام • والحقيقة أنه لا يوجد  
ممثل للاسلام ، ولا يوجد حامى حمى الحرميين أو أمير المؤمنين لان  
للكعبة ربا يحميها ، أما العائلة المالكة فهى أكبر تشويه للاسلام فى  
صحف الغرب • ليست الاشتراكية بديلا عن الاسلام ، وليس ناصر  
نبيا جديدا لدين جديد بل الاشتراكية جوهر الاسلام وناصر محقق  
لرسالة الاسلام • ليست الاشتراكية الحادا كما تدعى الرجعية بل  
ان الرجعية هى الالحاد واغتصاب لاموال المسلمين • ليست الاشتراكية

كفراً بل هي شريعة العدل ، وشريعة العدل شريعة الله ، الكفر هو نهب أموال المسلمين والاستيلاء على ثرواتهم • ليست الاشتراكية هي اشتراكية النهب والاولاد والاموال بل استرداد الاموال المغتصبة من الشعب وردها الى الشعب • الاشتراكية احترام للعائلة والدين والوطن • ليست الاشتراكية شيوعية أو ماركسية لينينية لانها تؤمن بالدين والمرسل وتؤمن بالله ، تقوم على أسس روحية وليس على الاساس المادى وحده • ليست الاشتراكية تعد على حقوق الله فالعدالة الاجتماعية ليست من وضع الله وتدبيره كما تقول الرجعية بل هي من صنع البشر نتيجة لارضاغهم الاجتماعية والا فلماذا وزارة العدل ؟ الجنة ليست للفقراء ، فليأخذها الاغنياء ويتركوا دنياهم الى الفقراء • ليست الاشتراكية صدقة كما تقول الرجعية من أن الدين يطالبنا بالصدقة • فالحقيقة أن الدين لا يطالب بالصدقة فقط • فالمال مال الله ، ومال الله مال الشعب ، لا يوضع في البنوك الاجنبية بل يستثمر داخل البلاد « وفي أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم » • انهم يستحسنون الاشتراكية شعرا ويستهنونها نظاما • فعندما يتول شوقي « الاشتراكيون أنت امامهم » وتعنى أم كلثوم « أنصفت أهل الفتر من أهل الغنى » تنبسط أسارىهم ويصفقون بأيديهم ولكنهم يعادونها كنظام اجتماعى يهدد مصالحهم ، ويستعيد ثرواتهم المسلوبة من الشعب، الاسلام والاشتراكية اذن صنوان •

• — الدين وعدم الانحياز ( ١٩٦٥ — ١٩٦٦ ) :

لقد كان لمصر دورها فى الحفاظ على الحضارة الاسلامية ، وعرفت الاسلام الحضارى وليس الاسلام الصورى الشعائرى •

« وكان الفتح الاسلامى ضوءاً آتار هذه الحقيقة وأنار مسالمها و... نعم لها ثوبا جديدا من الفكر والوجدان الروحي وفي اطار... لنا بين الاسلامى ، وعلى هدى من رسالة محمد تام الشعب المصرى بأعزازم الادوار دفاعا عن الحضارة الانسانية » . هذه هى رسالة مصر ، بؤرة الاسلام ومركز اشعاعه الحضارى . وقد حفظت مصر التراث الحضارى الاسلامى وجعل من الازهر حصنا للقاومة ضد عوامل الضعف والتخلف التى فرضتها الخلافة العثمانية استعماراً ورجعية باسم الدين ، والدين منها براء » فمصر مركز الثقل الاسلامى وضمان استمرار تراثه » . وليس عبثاً أن الحضارة الاسلامية والتراث الاسلامى — الذى أغار عليه المغول الذين اكتسحوا عواصم الاسلام القديمة — تراجع الى مصر ، وأوى اليه فى مصر ، وأنقذته عندما ردت غزو المغول على أعقابها فى غير جالوت .

وحول هذه البؤرة الاسلامية فى مصر ينسج ناصر دوائره الثلاث منذ « فلسفة الثورة » حتى « الميثاق الوطنى » ، الدائرة العربية والدائرة الافريقية ، والدائرة الاسلامية . فالدائرة العربية أهم الدوائر » وقد امتزجت هذه الدائرة معنا أيضا بالدين فنقلت مراكز الاشعاع الدينى فى حدود عواصمها من مكة الى الكوفة ثم الى القاهرة ثم جمعها الدين فى اطار ربطته كل هذه العوامل التاريخية والمادية والروحية » . أما الدائرة الافريقية والتى تشير أيضا الى تداخلها مع الدائرة الاسيوية فيما عرف فيما بعد باسم العالم الافريقى الاسيرى فانها فى حقيقة الامر الكيان السياسى المعاصر للدائرة الثالثة وهى الدائرة الاسلامية » . يمكن أن نتجاهل أن هناك عالما اسلاميا تجمنا

واياه روابط لا تقربها العتيدة الدينية فحسب وانما تشدها حقائق التاريخ » • اننا الدائرة التي تشد العالم الاسلامى كله وتربطه برباط روحى وتوجهه نحو غاية واحدة • « ثم تبقى الدائرة الثالثة التي تمتد عبر قارات ومحيطات والتي قلت انها دائرة اخوان العقيدة والذين يتجهون معنا أينما كان مكانهم تحت الشمس الى قبلة واحدة وتهمس شفاهم الخاشعة بنفس الصلوات » • ويرى ناصر الحج رمزا سياسيا لما يمكن أن يكون عليه ثقل العالم الاسلامى ومدى فاعليته وايجابيته وترابطه حينما يتجه الى الكعبة كل عام المسلمون من جميع أنحاء العالم الاسلامى • « لا يجب أن يصبح الذهاب الى الكعبة تذكرة دخول الجنة بعد عمر مديد أو محاولة ساذجة لشراء الغفران بعد حياة حافلة • يجب أن تكون للحج قوة سياسية ضخمة ويجب أن تهرع صحافة العالم الى متابعة أنبائه لا بوصفه مراسم وتقاليد تصبح صوراً طريفة لقراء الصحف وانما بوصفه مؤتمرا سياسيا دوريا يجتمع فيه كل قادة الدول الاسلامية ورجال الرأى فيها وتجارها وشبابها ليضعوا فى هذا البرلمان الاسلامى العالمى خطوطاً عريضة لسياسة بلادهم وتعاونها معا حتى يهين موعد اجتماعهم من جديد بعد عام • يجتمعون خاشعين ولكن أنبياء متجردين من المطامع لكن عاملين ، مستضعفين لله ولكن أشداء على مشاكلهم وأعدائهم ، حاملين بحياة أخرى ولكن مؤمنين أن لهم مكانا تحت الشمس يتعين عليهم احتلاله فى هذه الحياة » • ويقول ناصر أيضا • « وحين أسرح بخيالى الى ثمانين مليونا من المسلمين فى أندونيسيا ، وخمسين مليونا فى الصين ، وبضعة ملايين فى الملايو وسيام وبورما ، وما يقرب من مائة مليون فى الباكستان ، وأكثر من مائة مليون فى منطقة الشرق الاوسط وأربعين مليونا داخل الاتحاد السوفيتى ،

وملايين غيرهم في أرجاء الارض المتباعدة ، حين أسرح بخيالي الى هذه المثات من الملايين الذين تجمعهم عقيدة واحدة أخرج باحساس كبير بالامكانيات الهائلة التي يمكن أن يحققها تعاون بين هؤلاء المسلمين جميعا ، تعاون لا يخرج عن حدود ولائهم لوطانهم الاصيلة بالطبع ولكن يكفل لهم ولاخوانهم في العقيدة قوة غير محدودة » .

الاسلام اذن حكمة سياسية عااية شاملة تضم ملايين المسلمين في آسيا وأفريقيا ، وبالتالي تكون الحركة الافريقية الاسيوية في جوهرها حركة اسلامية . ويكون مؤتمر القارات الثلاث في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية مؤتمرات ذات أهداف واحدة في التحرر والاستقلال والعدالة الاجتماعية نظرا لان ظروف الكاثوليك الرومان في أمريكا اللاتينية مشابهة لظروف المسلمين في آسيا وأفريقيا . جمعهم وحدة الموقف والهدف ، وهي وحدة الاسلام الحقيقية . كما أن حركة عدم الانحياز في جوهرها حركة اسلامية « لا شرقية ولا غربية » لانها تنوم على رفض الصراع بين القوى العظمى ، وأن تكون الشعوب المتحررة حديثا خارج مناطق النفوذ والاحلاف وأشكال الاستعمار الجديد . هذا الترابط الاسلامي يتم على أساس شعبي وليس على أساس حكومي . واذا كان هناك خلاف بين الحكومتين المصرية والايرائية فانه خلاف حكومات وليس خلاف شعوب مسلمة .

ولا يوجد تعارض بين هذه الدائر الثلاث . تربطهما معاملات وثيقة بين مصر والعالم العربي والعالم الاسلامي من خلال البعثات الازهرية . لا يوجد تعارض بين القومية العربية والامة الاسلامية .



فكلاهما يشارك في معارك التقدم والثورة والدعوة الى الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية • هذا التضامن الاسلامى الذى يجمع الدوائر الثلاث انما يتم لوجه الله غير متجه للسياسة الاسريكية أو البريطانية • وهنا يتصدى ناصر للحلف الاسلامى بانهنباره حلفا انجليزيا أمريكيا استعماريا تحت ستار الدين يأخذ أوامره من لندن وواشنطن • بدأت الفكرة بعد ١٩٥٧ بعد بداية حركة التحرر العربى اثر تأميم قناة السويس وضرب الاحلاف العسكرية فى المنطقة ، وكان الهدف احياء حلف بغداد القديم بعد خروج العراق ودخول تركيا وباكستان وايران من أجل حصار العالم العربى واعادته تحت مناطق النفوذ فالاسماء واحدة : مؤتمر اسلامى ، تجمع اسلامى ، رابطة اسلامية ، تكتل اسلامى ، مؤتمر ذروة اسلامى ، والهدف واحد : عودة الاستعمار الى المنطقة عن طريق اللف حول العالم العربى من خلال العملاء حكام السعودية وايران والاردن وتونس • لقد قاد هؤلاء معركة الحلف الاسلامى لضرب القوى الرجعية لهذا المرض • كان الهدف أيضا تخفيف الضغط على اسرائيل بدليل أن ايران وتركيا معترفان باسرائيل • لم يكن الهدف فلسطين وتحرير فلسطين بل الدفاع عن اسرائيل والاعتراف بها واتهام ناصر بمعاداة الحلف ، بأنه يدافع عن زعامته فى المنطقة • لم يكن الهدف مقاومة الالحاد لان مقاومة الالحاد تتم بالدين لا بالسياسة ، والحلف الاسلامى حلف سياسى وليس تكتلا دينيا لانه يجمع رؤساء الدول وليس رجال الدين • وهل شاه ايران وبورقيية دعاة للايمان ، شاه ايران الفارسى النعرة وبورقيية الذى جعل أجازة العيد يوما واجدا ، وأفتى بالافطار فى رمضان • وبصرف النظر عن الصلة بين الدين والسياسة وتوحيد الاسلام بينهما وبين فتاوى علماء

تؤنس وشرعيتها فانه يبقى أن الحلف الاسلامى حلف استعمارى تحت ستار الدين كان يهدف الى حصار القومية العربية وايقاف حركة التحرر العربى •

## ٦ — الدين والصمود ( ١٩٦٧ — ١٩٧٠ ) :

ظهر موضوع الايمان بوضوح بعد هزيمة ١٩٦٧ فى فكر باصر من أجل الصمود فى المعركة وتنوية الروح المعنوية للشعب والجيش واذكاء ارادة الصمود فى الامة • وليس السبب فى ذلك التربية الدينية بل التربية السياسية من أجل بث الامل فى النصر بعد أن استشرى روح الهزيمة فى النفوس • كان موضوع الايمان فى أول الثورة مرتبطا برفض الاحاد والردة والاثارة الجنسية • كما ظهر ضد أخطار الشيوعية الممثلة فى حكم العراق والبعث السورى ، فالشعب المصرى شعب مؤمن • ولكنه أصبح بعد هزيمة ١٩٦٧ الدرغ الواقى لروح الاسلام • وارتبط بالقدرية وذلك أن الهزائم قدر الامم ، والايمان بالقضاء والقدر يجعل الانسان صابرا مجاهدا قادرا على الصمود وعاملا وآملا بالعدل الالهى « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » • وكان « الميثاق الوطنى » قد صاغ من قبل فى خمس ضمانات للعمل الثورى وهى : ارادة التغيير الثورى ، الطليعة الثورية ، الوعى العميق بالتاريخ ، الفكر المفتوح على كل التجارب الانسانية والضمان الخامس « ايمان لا يتزعزع بالله وبرسلة ورسالاته القدسية التى بعثها بالحق والهدى الى الانسان فى كل زمان ومكان » • فالايمان ضمان للعمل الثورى وليس خنوعا وانستسلاما ورضى وقبولاً • وقد أكد بيان ٣٠ مارس نفس المعنى بربطه العناية الالهية بصلابة الجماهير الثورية حتى يتحقق النصر

ويتجاوز الشعب مرارة المهزيمة • وقد حدد البرنامج خطة عمل تقوم على دعائم ثلاث : التحرر والنصر والتجديد والتجدد للثورة • وجعل الثانية تدعيم القيم الروحية والاخلاق • وحدد مهام المرحلة القادمة في ست مهام : تثبيت دور قوى الشعب في بناء الدولة الحديثة ، التنمية الشاملة ، اطلاق القوى الخلاقة ، تلاحم الشعب والجيش ، وجعل أيضا المهمة الرابعة العمل على تدعيم القيم الروحية والخلقية • وبالتالي يمكن تحقيق النصر ، ويكون حينئذ نصر الله « ولتعمل ارادة الحق فوق كل ارادة لانها جزء من ارادة الله » •

ولكن لا يعنى ذلك حربا دينية ضد اسرائيل فقد عاش العرب ، يهودا ومسيحيين ومسلمين في فلسطين منذ آلاف السنين بل لقد رفض بعض اليهود مغادرة مصر الى اسرائيل وآثروا البقاء في وطنهم ، فاليهود في مصر مصريون وفي الدول العربية عرب • العرب واليهود شعوب سامية ، والتشابه بينهما أكثر من الاختلاف ، وموسى مولود في مصر • فكيف يكون العرب معادين للسامية ؟ ولقد طردت اسرائيل الفلسطينيين مسلمين ومسيحيين ، أكثر من مليون لاجيء • ومن ثم يجب أن ينعاش الجميع على أرض فلسطين بصرف النظر عن الدين • فان لم تتحقق هذه الرؤية المستقبلية الشاملة فان تحرير الارض المقدسة من الصهيونية يصبح حتمية مقدسة ، وجزء من الايمان بالله والشرف المهان بواتع الاحتلال وحرق المسجد الاقصى • ان الحرب في الاسلام ليست من أجل الحرب. « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم » • ولكنها من أجل العدالة والحرية ودفعا للاذى والاضطهاد « آذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا

وأن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا .  
أن يقولوا ربنا الله » •

وكانت معركة الايمان والصمود آخر المعارك التي خاضها ناصر  
باسم الدين • يظهر لنا ناصر هذه الاهداف وكأنها حلم حياتنا • فقد  
صاغ مشروعنا القومي وعبر عن مصالح الجماهير ، وما زال كامنا في  
روح شعبنا ينتظر الانطلاق ، فتعود « الناصرية الشعبية » ويعود  
مشروعنا القومي لمناهضة الاستعمار والصهيونية والرأسمالية ولتحقيق  
أمانينا القومية في الحرية والاشتراكية والوحدة •



## مخاطر السلام

ليس السلام بضعة كيلو مترات هنا أو هناك ، أو انسحابا كليا أو جزئيا من هذه المنطقة أو تلك ، وليس اتفاقاتنا أو اعلاننا أو بياننا في هذا اليوم أو ذاك ، وليس زيارة أو مبادرة أو استقبالا في هذه المدينة أو تلك ، هنا أم هناك . وليس السلام مناطق عازلة وأخرى منزوعة السلاح والثالثة محددة السلاح . وليس تحجيمًا للجيش المصري أو تحديدا لانواع أسلحته أو إقامة نقاط للمراقبة ووضعها لقوات دولية، تابعة للأمم المتحدة أو تشكيل دوريات مشتركة ونقاط حراسة . إنما السلام شيء أهم من ذلك وأعمق وأدخل في روح الأمة وتحديدًا لوعيها . السلام جزء من تاريخ الأمة ، وتحديدًا لمستقبلها ، وبيان لهويتها ، وإظهار لرسالتها ، وحكم عليها بالحياة أو الموت .

ان ما قيل بيننا من أن المشكلة بيننا وبين إسرائيل هي في جوهرها مشكلة نفسية ، وأن الحواجز بيننا وبينها هي في صميمها حواجز نفسية ، إنما هو أخذ لوجهة نظر الصهيونية . فبالنسبة لنا تعنى إسرائيل ملايين من الكيلومترات المحتلة ، وملايين من الشعوب مشردة ، وما تعيش عليه مهدد بالضياع . ولكن بالنسبة للآخر السلام هو قبول الصهيونية كفكرة في أذهان العرب . والاعتراف بهذا الكيان

---

\* كتب هذا المقال في الاصل كورقة للمناقشة في « لجنة الدفاع عن الثقافة الوطنية » . وبعد انتظار عدة أشهر دون رد أرسلته الى قضايا عربية في بيروت ، ونشر في عدد مارس ١٩٨٠ .

كجزء طبيعي من المنطقتين ، وبالتالي تحويل العلاقة بيننا وبين الآخر على هذا المستوى النفسى الذى يعنى بالنسبة للعدو التسليم بأيدينا وأوجيته ونقبلها ، والذى يعنى بالنسبة لنا مبادرة شجاعة ولفته كريمة واظهار لحسن النوايا والرغبة فى السلام ، وما يعنيه السلام بالنسبة للعدو حقيقة وما يعنيه بالنسبة لنا مجرد مظهر يكشف العدو حقيقته . وان استبدلنا فى لغتنا السياسية اسرائيل بالصهيونية وعدم ذكرنا للصهيونية وذكرنا لاسرائيل فهو اعتراف مبدئى بالدولة ذات السيادة وقبول ضمنى بالايديولوجية التى تمثلها فى حين أن الصهيونية بالنسبة لنا تمثل ايديولوجية معارضة ومناقضة حتى ولو لم تتمثل فى دولة ، حتى ولو كانت فكرة أتت اليها من الفضاء الخارجى دون أن يكون لها أى ركيزة فى الارض .

لم تعد الصهيونية تطلب الارض فقد حصلت على أضعاف ما كانت تتمناه فى بدايتها بل قادرة على أن تحصل على المزيد ، ولم تمتد تطمع فى القضاء على الشعب ، شعب فلسطين ، فقد تم تشريد نصفه واحتلال النصف الآخر ، وقادرة على أن تشرذم المزيد من الشعوب العربية فى الاقطار المجاورة ، ولم يعد هدفها هو القضاء على اسم فلسطين حتى ولو كان اسما لفندق أو لهيئة أو لمنظمة أو اسما لندوة أو لقاء أو لجنة أو حتى شعارا لعلم أو لنشيد . أصبح الهدف هو تصدير الصهيونية للذهن العربى ، وهو الذى تعود على الاستيراد والتصدير فى محنته الاخيرة ، من أجل الاعتراف بها وقبولها وجعلها بديلا عن القومية العربية فى المنطقة ووريثتها فى التاريخ !

ولما كان الاستعمار هو الاحطبوط الذى يعبر عن العنصرية الدفينة

في الغرب ، فإنه قادر على تغيير أشكاله وصوره وتبديل أساليبه وخطه . لم يعد الاستعمار هو الاستعمار العسكري ، الزحف بالجيوش والاستيلاء على أراضى الغير بالقوة واحتلالها . فقد أثبتت التجارب مدى الخسارة التي تلحق بالاستعمار أثر بداية حروب التحرير الوطنية ، وسرعة يقظة الشعوب ، واذكاء روحها القومية وان أعتى الجيوش قوة وعتادا لا تستطيع أن تصمد أمام مقاومة الشعوب . ثم تحول الاستعمار الى الاستعمار الاقتصادي من أجل نهب ثروات الشعوب ، واستنزاف خيراتها ، والاستيلاء على مواردها الأولية ، واستخدام أيديها العاملة ، وتسويق منتجاته لدى شعوبها المستهلكة الفسيحة بعد أن فرحت بمظاهر الاستقلال الوطنى ، العلم والنشيد ، والمقعد فى هيئة الأمم المتحدة ، ومظاهر الامارة والسفارة ، ومتعة السلطة وشهوة الحكم . ولكن الشعوب سرعان ما تدرك بعد مرحلة التحرر الوطنى ان استقلالها السياسى لا يكون تاما الا باقامة اقتصاد وطنى وتأميم الشركات الاجنبية ، والقضاء على مظاهر الاحتكار واسترداد ثرواتها ومدخراتها الوطنية ، فيصبح الشعب مسيطرا على وسائل الانتاج . ثم تحول الاستعمار الى استعمار ثانى ، يسيطر على أذهان الوطنيين حتى يدخل الاستعمار من جديد فى العقول عن طريق « التغريب » Westernization ، وتقليد أنماط الحضارة الغربية فى قوالب التفكير وانماط السلوك . ولكن الشعوب بدأت أيضا تكشف عن هذه الصورة الجديدة للاستعمار ، وبدأت فى نهضاتها الاخيرة برفض التغريب والعودة الى تراثها الوطنى تجد فيه أصلتها ومواطن ابداعها . والآن عاد الاستعمار من جديد ليحاول أسر روح الشعوب والقضاء على وعيها القومى ، واستلاب تاريخها ، واقتلاع



جذورها حتى ينتهى مستقبلها وتصبح مجرد أقلية تلحق بالغرب ،  
وحضارات مندثرة تدرس فى متاحف الانثروبولوجيا !

والسلام المطروح الآن أمام شعوبنا هو من هذا الشكل الاخير  
من أشكال الاستعمار ، تبنته الصهيونية ، وهو استعمار جديد أيضا  
من دولة صغرى بمساعدة الدول الكبرى من أجل احتواء الشعوب  
التاريخية التى يظل رصيدها فى تراثها موطن تحررها ، ومصدر  
ايدولوجيتها ، ومثبت هويتها . فالاستعمار يتلون ويتشكل طبقا  
للظروف ، كالحية ذات الرؤوس المتعددة اذا تطعت احداها ظهرت  
أخرى . وقد يظل الامر كذلك حتى يتم تحجيم الغرب ، وردة داخل  
حدوده بالقضاء على عنصريته الدفينة التى جعلته محور العالم ،  
ومركز ثقله ، والنموذج الاوحد لحضاراته ، وبعودة الشعوب التاريخية  
فى الصين والهند وايران ومصر الى أخذ مكانها الطبيعى فى دورة  
التاريخ الجديدة . وقد يعود الغرب الى ما كان عليه من حياة طبيعية  
لقبائل متوحشة تأكل بعضها بعضا ، ويعود الى شريعة الغاب .

وقد قامت صحافتنا أخيرا بالتنبيه المفتعل على هذا الخطر فيما  
سمته بمعركة « التحدى الحضارى مع اسرائيل » ذرا للرماد فى  
العيون ، واظهارا لعضلاتنا الحضارية كما كنا من قبل نظهر قوانا  
العسكرية ، فى مظاهرات اعلامية . وعدنا الى ما كنا فيه من رفض  
لاسرائيل على مستوى البدأ وقبول لها على مستوى الواقع ، نقوم  
بمعركة التحدى الحضارى مع اسرائيل ونسهل لها عملية الغزو  
الحضارى لنا . وتلك هى مخاطر السلام .

**أولا : القضاء على روح النضال :**

تتمثل مخاطر السلام على روح النضال لدى الشعوب . فقد

أخذنا بالسلام ما لم نأخذه بالحرب ، وما خسرناه بالحرب كسبناه بالسلام . الحرب طريق مسدود يؤدي الى مزيد من الخسائر في حين أن السلام طريق مضمون يؤدي الى كثير من المكاسب . فتتخلى الشعوب عن الجهاد ، وهو أمر الهى « وجاهدوا في الله حق جهاده » . ولا عجب أن اتخذت الثورة الايرانية آية « فضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما » ( ٤ : ٩٥ ) شعارا لها . وكان محمدا لم يحارب ، وكان الشعوب لم تحارب ، وكان الحرب بدعة ، وكان هناك حربا تكون هي آخر الحروب ، « ولولا دفع الله الناس بعضهم لبعض لفسدت الارض » ( ٢ : ١٥١ ) . ويتم تشويه الحروب عمدا بأنها السبب في الازمات الاقتصادية وان السلاح يؤدي الى الجوع بالضرورة في حين أن السلام يجلب الرخاء وان الحرب دمار وقتل ويتم وترمل ، وان السلام حماسة وغصن وحياة وحب وتعایش واخاء ، وان الحرب همجية ووحشية في حين أن السلام تحضر ومدنية . والقتال فرض في الاسلام حتى في الاشهر الحرام . « ويسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير » ( ٢ : ٢١٧ ) . والقتال أمر الهى « يأيها النبى حررض المؤمنين على القتال » ( ٨ : ٩٥ ) . صحيح أن الحرب بها خسائر ولكنها خسائر متبادلة ، « ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله » ( ٣ : ١٤٠ ) بالاضافة الى أن قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار .

وجيلا بعد جيل ، بعد تغيير كتب التربية الدينية والقومية ، وتغيير كتب التاريخ والجغرافيا ، تضيع منا روح النضال ، وتخدمني فينا روح المقاومة ، وتضيع منا ارادة الصمود ، وتنتهى الشعوب الى الاستسلام لهزائمها ، وتقبل مقاديرها ، وتفرض عليها سياسة الامر

الواقع التي طالما حاول الاستعمار فرضها على الشعوب حتى لا تتحرك وتأخذ مصائرهما بأيديهما من جديد . في حين أن هزائم الشعوب قد ولدت فيها روح النضال ، وقوت فيها روح المقاومة ، فيتحول العدو الخارجى الى تحدٍ حضارى . حدث ذلك في تاريخ بنى اسرائيل قديما بعد الاسر البابلى . فما كان من كتابها وشعرائها ومفكراتها وروايتها الا أن حفظوا روح الامة وتراثها رمزا لمقاومتها وعدم اندثارها وسجلوه فيما سمي بعد بالتوراة أو الكتاب المقدس أو العهد القديم « تناخ » . وحدث ذلك أيضا عندنا اثر هجمات التتار وغزوات المغول فحفظت الامة تراثها في الموسوعات الضخمة التي ورثناها من العصر المملوكى ، عصر الشروح والملخصات ، وكنا الى عهد قريب ونحن فى قمة الهزيمة تد عبرنا عن روح الصمود باللغات الثلاث « لا صلح ولا مفاوضات ولا اعتراف » التي أصبحت الآن موضع سخرية أو استهزاء . ان الهدف هو هزيمة روح الامة ، وكسر شوكتها ، وضياع كرامتها ، واهانة شعوبها ، وركوب قلبها ، والنزول الى أحياء الحسين والازهر من تل أبيب للشراء من خان الخليلى ، قلب الامة وحفاظ تراثها ، وكأننا أصبحنا متحفا وذكريات يحملها السائح الاوروبى الجديد معه ، ورؤية القادة الجدد الاهرامات . وركوبهم القرام ، ورفضهم السكنى فى الضواحي دون قلب المدينة حتى تكون المدينة فيما بعد بلا قلب وبلا حرمان . وطالما ذكر عبد المناصر من قبل ما قاله اللنبى شائد الجيوش البريطانية الى القدس « اليوم أنتهت الحروب الصليبية » أو ما قاله القائد الفرنسى جورو فى دمشق أمام قبر صلاح الدين « ها قد عدنا اليك يا صلاح الدين » . والآن يتول حكامنا الصهاينة الجدد « ها قد عدنا اليك يا قاهرة المعز » . ولا عجب أن يهدى الينا

« دلالة الحائرين » لوسى بن ميمون ونحن نفرح به دون أن نعى المقصود به • كانت حضارتنا نحن اليهود فى عقر داركم واليهما ستعود • ولا عجب أيضا أن يعلن حكامنا الصهاينة الجدد فتح حدود مصر من داخل اسرائيل ، ورفضهم اعترافنا بهم ، وهو الاعتراف الذى طالما تمنوه ، فلهم اليد العليا ، والمعركة لديهم معركة كبرياء • فاذا ما انتهت بروح المقاومة والنضال سلكت الشعوب كى تأخذ حقوقها أسلوب الاخذ والعطاء وطريق التجارة والفضال ، وضاعت منها روح المبادئ التى لا يمكن التنازل عنها أو المساومة عليها • تتحول الشعوب الى شعوب تجارية ، تباع كل شىء ، وتضيع منها عناصرها التاريخية الثابتة فى حين تد استطاعت المقاومة عن طريق الثبات على مبادئها • وقد استطاعت الصهيونية أن تحصل على ما تريد عن طريق التشبث بأهدافها وعدم التنازل درجة واحدة عن متطلبات أمنها • وقد انتصرت رسالات الانبياء فى التاريخ أيضا عن طريق عدم التنازل عنها « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الامر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته » • أو كما يقول القرآن « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » ( ٣ : ١٧٣ ) • ولقد أتصفت جميع الثورات الكبرى فى التاريخ بالجذرية والأت تحولت الشعوب الى أقليات تستجدى حقوقها وتصبح مهددة بالقمع أو الاستئصال •

حينئذ تبدأ الشعوب فى المساومة على حياتها من موقف الضعيف أمام القوى ، وتستعمل أسلوب الاستجداء العاجز ، واستثارة نخوة الغالب وانسانيته وعدالته • وتستمر فى الاستجداء حتى يأنف منها الاصدقاء ويزداد احتقار الاعداء لها بالرغم من مظاهر الترحيب

وعبارات المجاملات ويرمون لها بالفتات الذي تفرح به ، وتعتبره انتصارا لها واستردادا للعزة القومية • تستنصر القوى الكبرى ، تستنصر الشعوب المحبة للسلام ولكن الاولى لا تعرف الالغة القوة ، والثانية لا تملك من القوة شيئا ، ونوتها معنوية أكثر منها فعلية • في الواقع السياسى لا يتغير شيئا الا بالقوة الفعلية • وقد حذر من قبل « اقبال » من أسلوب الشحاذة والشكاية والاستجداء ، وخطورته على حياة الافراد والشعوب • وسماه « فلسفة السؤال » وفي نفس الوقت فردد العلياء خير من اليد السفلى !

### ثانيا : نهاية مشروعنا القومى :

وسيوحى السلام لشعوبنا بأن ثوراتنا العربية الاخيرة التى قامت كرد فعل على هزيمتنا فى فلسطين فى ١٩٤٨ قد انتهت • وانها كانت عاجزة عن تحرير فلسطين • بل ان مزيدا من الاراضى تد ضاع فى عهدنا ، وانها كانت سببا فى انتكاسات الامة • وبالتالي نتوب عما قمنا به ، والتوبة الصادقة كما يقول الصوفية تقتضى الندم على ما فات ، وترك الذنب فى الحال ، وعدم العودة الى مثله فى المستقبل ! تحدث لدينا عقدة الذنب بأننا سلكنا الطريق الخطأ ! وما كان أجدانا أن نقبل قرار التقسيم فى ١٩٤٧ أو قبول الاستسلام بعد هزيمة ١٩٦٧ ، فالثورة طريق مسدود ، فورة سرعان ما تتطفئ ، يسلبها منا التمادة ثم لا يستطيعون الصمود • لذلك كان المطلب فى كل اعتداء علينا تحريرنا من الطغمة الثورية التى سببت لنا الهزائم وخربت الديار ، وهدمت المدن ، وشردت المواطنين ! وبالتالي تنتهى روح الثورة من الشعوب • وتكون الثورة العربية التى كانت رائدة الثورات فى العالم

الثالث ، تكون تلك الثورة الام قد تمت تصفيتها وادانتها واعتبارها خطأ لا بد من التكفير عنه ، واستثناء في تاريخ أمة هادئة الطبع ، ترفض العنف والغضب ، وتكرم الضيف ، وتحب الجار ، وتسامح المعتدين •

ولما كان لكل أمة مشروعها القومي ، فلا يوجد شعب الا وله رسالة بها يحيى وبدونها يموت ، فالشعوب السلافية تقوم على حب الارض والدفاع عن روسيا الام ( ايفان الرهيب ) ، والشعوب الجرمانية تعتز بروحها وثقافتها ولغتها ( فشتة ) ، والشعب الانجلوسكسونى يعتز بديموقراطيته ودمسائيره ومجالسه النيابية ( كرومويل ) ، والشعب الفرنسى يفخر بوطنيته وثورته ( جان دارك ونابليون ) — فاننا صغنا مشروعنا القومى فى مبادئ الثورة الست ثم فى « الميثاق الوطنى » ، يقوم على مناهضة الاستعمار والرأسمالية والصهيونية والرجعية ، ويحقق آمال الامة فى الحرية والاشتراكية والوحدة • يعنى السلام بالنسبة للعدو ونحن وراءه انهاء مشروعنا القومى • فقد أيدنا الاستعمار فى مطالبنا على مائدة المفاوضات ، وأعلنا بأن الرأسمالية لم تعد جريمة ، فليكسب كل منا ما يشاء ويدفع ضرائبه للدولة أى يتهرب منها ، وأن العمل ليس وحده مصدر الثروة • وأدركنا أخيرا أن الصهيونية أمانت دولة متحضرة ندخل معها فى علاقات طبيعية ونغمض أعيننا عما تفعله فى جنوب لبنان وعن احتلالها لفلسطين وبيعها لاراضيها وتشريد شعبها • تمزق العالم العربى أربا ، وانعزلت مصر قلبه النابض ، واكتشفت أنها خسرت فى حروب العرب الرجال والاموال ، وأن ما أنفقته فى معارك العرب كان أولى بها أن تنفقه للبناء والتعمير • أما حريائتنا فلا يجوز لها المساس بالكيان الصهيونى أو الاعتراض عليه والا اعتبر ذلك معاديا لاتفاقيات السلام ، ودعوة للمشاغبة ،

وبنا للكرامية بين أولاد العم ، وبالتالي ينتهى مشروعنا القومى .  
ونصبح شعوبا بلا هدف ، وتصبح الصهيونية هى الصوت الوحيد  
المسموع فى المنطقة ، تحل محل القومية العربية ، وتكون مفتاح القوى  
فى الشرق الاوسط ومركز الثقل فيه . وتقوم بدور مصر التاريخى حتى  
ولو بدت مصر فى أعقابها كحليف ومساعد لها .

فاذا ما تم ذلك انتهى دورنا فى تأييد حركات التحرر الوطنى فى  
العالم تلك التى بدأناها وأيدناها وقويناها وأصبحت جزءا من فخرنا  
فى حياتنا المعاصرة . بل تحولنا الى حركة تحرر مضادة ترى فى حروب  
التحرير استعمارا جديدا وتدخلها سوفياتيا وصراعا ايدىولوجيا بين  
القوى الكبرى . وقد كان فى القاهرة ابان المد الثورى العربى أكثر من  
ثلاثمائة ممثل لحركات المقاومة ومنظمات التحرير فى افريقيا . فبينتهى  
دور القومية العربية كرائدة لحركات التحرير فى العالم ، وتسبقنا  
شعوب أخرى تأخذ منا الريادة . فلا نحن أصبحنا ثورة وطنية ولا  
نحن أصبحنا قوة كبرى يثار عليها بل أصبحنا ثورة مضادة نهدم ما  
بنيناها بأيدينا ونتخذ من أعداء الامس حلفاء اليوم .

وهنا أيضا ينتهى التعاون المشترك مع المعسكر الاثتراكى الذى  
كان الحليف التاريخى لمعظم حركات التحرر الوطنى يمدها بالتأييد  
المادى والمعنوى بل اننا نعاديها ، ونعتبره لا يتل استعمارا وهيمنة  
عن الاستعمار الغربى الرأسمالى التقليدى ونصفه بأنه أصبح زعيم  
الثورة المضادة فى العالم يمنع تزويد السلاح ، ويرفض اعادة  
جدولة الديون ، ويريد دوران العالم الثالث فى فلكه ، وربطه بالمعاهدات  
والاحلاف ، يعادى القوميات ، ويثير الانقلابات ، ويجند العملاء .

وهذا لا يعنى أن المعسكر الاشتراكي خارج دائرة النقد وان الدول الاشتراكية لا تتأثر أحيانا مصالحها الخاصة كدول على دورها التاريخي كثورات ، ولكن نقد الثورة للثوار شيء ونقد الثورة المضادة للثوار شيء آخر . وهكذا نصبح بلا حلفاء ، ونقطع جسورنا ، وحلفاؤنا الجدد يؤيدوننا بالكلمات وبالنوايا الحسنة ، وجسورنا الجديدة لم يمر عليها عتاد بعد .

### ثالثا : الغرب كحليف طبيعي :

ولما كان السلام سيأتي بفضل تدخل الاستعمار وبمعاونته فان الغرب وهو موطن الاستعمار الاول يصبح حليفا طبيعيا لنا ، فنقدنا باصرنا في قضايانا المصرية ، وأرجع اليها أرضنا وأحيى اليها شبابنا ، وأرجع البسمة الي وجوه أمهاتنا وأخواتنا وزوجاتنا . نصبح جزءا من الغرب ، ويصبح الغرب مرجعنا الاول . لقد استرددنا أرضنا سلما بمعاونة الغرب وخسرناها حربا بمعاونة الشرق ! ثم نتع في « التغريب » بأيدينا ، تغريب وعينا القومي . ولما كان الغرب نفسه هدو الحليف الطبيعي للولايات المتحدة الامريكية ، فاننا أيضا نصبح حليفا لها ، وهي التي تملك بناصية مصيرنا القومي ، وببيدها ٩٩٪ من أوراق اللعبة في المنطقة ، وهي التي بيدها مفتاح الحياة والموت لنا ولاعدائنا !

ثم نتبنى نظام الغرب الاقتصادي ، وتصبح الرأسمالية النظام الاصلح لنا . والواقع أن الغرب لم ينصب نفسه مدافعا عن قضايانا الا بعد أن اطمأن الي أننا أصبحنا من حلفائه الاقتصاديين ، فتأتى رؤوس الاموال الاجنبية ، وتفتح الشركات العالمية فروعها لدينا ، ويفرض البنك الدولي شروطه ، ويطلب برفع الدعم عن الاسعار ،



وتعفى شركات الانفتاح من الضرائب لمدة معينة ، ويتم الاستيراد والتصدير بلا قيود ، ونعود من جديد الى اقتصاد ما قبل طلعت حرب • وتكون أغنى أمانينا لاجيال قادمة تكوين اقتصاد وطنى ، والغاء المعاهدة مع بريطانيا الجديدة ، ومقاومة المستعمرين الجدد • وكأن التاريخ لا يمثل بالنسبة لنا تراكما حضاريا • نعود كما بدأنا • ونبدأ كى ننتهى ثم نعود من جديد دون أن نكسب خبرة أو أن نتعلم من دروس التاريخ ، ودون أن يبقى لدينا رصيد سياسى ومخزون تاريخى يسمح لنا برؤية المستقبل حتى لا تتكرر أخطاؤنا • وفى نفس الوقت نفخر بأننا حضارة سبعة آلاف سنة • وما حققته الصهيونية أخيرا من إعادة دولة بنى اسرائيل هو فى الحقيقة تراكم طويل من خبراتهم التاريخية عبر آلاف السنين •

ثم نستورد مع النظام الرأسمالى مشاريع الغرب وقيمه الحضارية، فنتنشأ لدينا أنماط جديدة من الحياة ، نقلد بها غيرنا • فمجتمع الرفاهية لا يتدر عليه الا الاغنياء أى الاقلية المترفة فى مجتمعاتنا ، وزيادة الانتاج تتطلب قدرة على الانتاج لا نملك مواردها ولا أساليبها • ويبقى لنا زيادة الاستهلاك أى امتصاص اقتصادنا الوطنى وابتلاعه أولا بأول بلا عائد ولا ادخار • وتفرض قيم الاستهلاك نفسها علينا مع رغبة زائدة فى النهم والثراء ومظاهر الغنى وأساليب البذخ عند الطبقات التى انقلبت من الفقر الى الغنى دون جهد وبلا وقت وبغير أهلية • وتنتهى الامة كما وصف ابن خلدون • يصدر الغرب مشروعه القومى — أكبر قدر ممكن من الانتاج لأكبر قدر ممكن من الاستهلاك لأكبر قسط ممكن من الرفاهية — بعد أن ثبت فشله لديه بعد أزمة الطاقة ، وسيطرة الشعوب المتحررة على مواردها الاولية

وثرواتها الطبيعية ، وأزمة الحضارة الغربية ذاتها التي تعبر عنها ثورة الشباب وانحرافهم ووقوعهم في حلقات الذكر أو غرز الحشيش أو انضمامهم الى جماعات الرفض العلنى أو السرى •

وأخيرا ، تضيع هويتنا القومية ، ونتخلى عن تاريخنا الطويل ، ونستأصل جذورنا بأيدينا ، ويأمن الاستعمار مخاطر ثقلنا التاريخى وبقظة وعينا القومى التى يشوهها الغرب بدراساته الانثروبولوجية عن المآثورات الشعبىة والحضارات التديمة وأشكال التخلف وبدائيات الانسان • وتكون روحنا قد أصبحت أسيرة حتى يقضى عليها بالموت بطئا • ونكون أمام مجتمع يعرض بالنواجذ على هويته فى الطعام والشراب ، فى المسكن والملبس ، فى العادات والتقاليد ، يفخر بنقاء عنصره دون اختلاط الانساب ، ويعتز باستمراره عبر التاريخ بالرغم من حياة الجيتو بين الشعوب •

#### رابعا : الصهيونية كنموذج للتحديث :

فإذا ما استطاع السلام أن يبرز محاسن العدو وأسلوبه فى الحياة ، وزراعته للصحراء ، وبنائه للمستعمرات ، وتعميره للخراب ، وإقامته المدن الجديدة ، وإنشائه القرى السياحية ، وتخطيطه الموانئ على السواحل ، واستخراجه ثروات الارض ، أصبحت الصهيونية نموذجا لتحديث مجتمعاتنا ، ترسل اليها البعثات ، ونجلب منها الخبراء ، ونبعث اليها الافواج السياحية ، ونستقبل منها الوفود • وهما استطاعت الصهيونية القيام به من قبل فى أفريقيا على أنها نموذج للتحديث وتاومناه ، قامت به الصهيونية لدينا فى عقر دارنا وفى قلب العالم العربى وقبلناه • فبدل أن كان الغرب نموذجا للتحديث حلت الصهيونية

القريبة محله • ان أقصى ما نستطيع أن نعطيه هي السواعد الفئيه ،  
والايدى العاملة ، والمواد الخام ، والاسواق والاموال • أما الفن وأساليب  
الانتاج والعلم كل ذلك تقوّم به الصهيونية فتكون بالنسبة لنا الروح  
ونكون بالنسبة لها الجسد • هي مصدر الخبرة ونحن مادتها ولا حياة  
لنا بدونهم • ونعود الى دور رجال المال الاجانب وخبراء الغرب في  
حياتنا المعاصرة ، ونعود من جديد الى المطالبة بالخبرة الوطنية  
التي نفخر بها كل يوم في جامعات الغرب ومعاهده ومستشفياته  
ومؤسساته ومعامله •

فاذا ما تمت المقارنة بين حياتنا وحياتهم ، وفقرنا وغناهم ،  
وتخلفنا وتقدمهم ، وهمجيتنا وتحضرهم ، وجهلنا وعلمهم ، وخيانتنا  
وولائهم ، نشأ لدينا الاحساس بالدونية ، وأصبح أقصى مطمح لنا  
في الحياة هو اللحاق بهم وتقليدهم والوصول الى مستواهم • يصبح  
ما لديهم مقياسا لسلوكنا ومعايير لقيمتنا ، وبالتالي يضيع ما نأخذنا من  
أجله منذ فجر النهضة العربية من اعتزاز بالتراث ، واثبات للهوية ،  
ودفاع عن القومية ، ونصبح ضحايا العنصرية الحضارية • ونؤكد في  
أنفسنا العجز ، ونرى بأعيننا ما روجه الغرب عن الصدمة الحضارية  
أو الفجوة الحضارية • وان الفجوة بيننا وبينهم تتسع أكثر فأكثر كلما  
مر الزمان لان معدل لحاقنا بالتكنولوجيا المتطورة أبطأ بكثير من معدل  
انتاج الغرب لها • وبالتالي فالزمان والتاريخ بالنسبة لنا يعنيان مزيداً  
من التأخر • فالعالم يتقدم الى الامام ونحن نتقدم الى الوراء • ولما  
كانت الصهيونية جزءاً من العالم ومحركه الاول بأموالها وعبقريتها  
أصبحنا نحن خارج العالم بفقرنا وجهلنا •

فاذا ما تم ذلك قبلنا الصهيونية كفكرة • ورأيناها كما ادعت

الصهيونية دائما حركة تحرر للشعب اليهودى • فقد استطاعت تجميع اليهود من الشتات واتمامة دولة ، وكسب ثلاثة أو أربعة حروب • وأدركنا أن ما كان يروج بيننا من أن الصهيونية حركة استيطانية توسعية عسكرية عنصرية كان دعاية همجية ضد شعوب متحضرة • وبالتالي يضيع أكبر مانع كان يحفظنا من الغزو الصهيونى وهو الاعتقاد ، وهو ما تسعى اليه الصهيونية الآن بعد أن استولت على الارض ، أرض فلسطين ، وشردت الشعب ، شعب فلسطين ، ومحت الاسم ، اسم فلسطين • ويكون أكبر انتصار حققناه لها يضمن لها البقاء • لن تحتاج الصهيونية بعد ذلك الى جيوش وأساطيل بعد أن رأينا العربى الاسرائيلى واليهودى الاسرائيلى يعيشان سويا ، ونسبنا وضع اليهود الشرقيين داخل الدولة الصهيونية الذين يكونون أكثر من ٦٠٪ من السكان والذين يعيشون على هامش الحياة دون سلطة أو تمثيل فى المجالس النيابية أو فى السلطة التنفيذية أو فى قيادات الجيش أو طلابا وأساتذة فى الجامعات • نسبنا أن اليهودى لا يكون كذلك الا اذا كان بولنديا أو روسيا أو أمريكا •

وأخيرا ، تتم صهينة العالم العربى ككل ، وتصبح الصهيونية بديلا عن القومية العربية • تأخذ الصهيونية تاريخنا وتشكل حاضرنا وتصنع مستقبلنا • وتحقق حلم الصهيونية القديم بأن تكون الحضارة العربية والاسلامية جزءا من الحضارة اليهودية كما هو واضح فى دائرة المعارف اليهودية ، وأن تكون الحضارة اليهودية هى ممثل الحضارات السامية كلها ، ونموذجها الاوحد • ويدافع كل منا عن الصهيونى المضطهد • ويتول كاتبنا ورؤساء تحرير صحفنا أن اليهودى ليس ذلك الاجذب الظهر ، المقوس الانف ، الاصلح الرأس ، الاخف

الصوت ، المرابى الذى صوره شكسبير فى شخص شيلوك ولكنه انسان  
حسن المظهر والهندام ، حسن المعاشرة ، دمث الاخلاق • لا تصبح  
القدس المدينة التى كان العرب يتبولون على حوائطها كما يقول أحد  
كتابتنا بل المدينة الجميلة الحديثة النظيفة بعد أن استولى عليها اليهود •  
بل ويفتخر بعض قادتنا وكتابتنا بأن لكل منهم أصلا يهوديا وكان  
مجهولا لديه من قبل واكتشفه بعد السلام عن طريق الام أو عن طريق  
الزوجة حتى يتم الرباط بالدم عن طريق الرحم • فاليهودى هو من  
تكون أمه يهودية ، وينشأ فى رحم يهودى •

تلك هى مخاطر السلام ، فى بساطة ووضوح ، وبحماس الطاب  
ان لم يكن بعلم الاستاذ • فالامن المطلوب ليس هو الامن العسكرى  
بل الامن الحضارى ، وما نحن قد أعطيناه لهم ، جيل السلام •

## لا مفر من الصمود والحوار

لم تر مصر طول تاريخها ، حتى في أيام المماليك ، وضعا ثقافيا أسوأ مما جلبه الآن . فعلى الأقل ، حفظت مصر التراث الاسلامي في عهد المماليك في الموسوعات الكبيرة ، فيما يسمى بعصر الشروح والمختصات . أما الآن ، وبالرغم من النهضة التي بدأناها منذ مائتي عام ، والمكاسب الضخمة التي حصلنا عليها : العقل والحرية من الاصلاح الديني ( الافغانى ومحمد عبده ) ، والطبيعة والتقدم في الفكر العلماني ( شبلى شميل وفرح انطون ) ، والوطن والديمستور في الفكر القومي ( الطهطاوى ولطفى السيد ) . . . فاننا خسرنا ماكبناه ، خاصة في العقد الاخير ، فانتهى الاصلاح الديني الى محافظة عقائدية شعائرية صورية ، وانتهى الفكر العلماني الى وقوع في الوهم والخرافة والاستكانة والخنوع ، ووانتهى الفكر القومي الى وقوع في النظم الثيوقراطية والابوية القديمة .

انتهى الابداع نهائيا من حياتنا الثقافية ، الا بعض ومضات من ادبائنا الشبان ، تبقى من خلالها روح الامة . فالابداع مشروط بالحياة الثقافية الطبيعية ، حيث تسود التيارات الثقافية والعلمية ، يقارن بينها الفنان أو الأديب أو المفكر أو العالم ، ثم يختار في حرية تامة ، ينفعل بها جميعا ، يؤيد واحدا ويرفض الباقي ، أو يرفضها جميعا

ويشوق له تيارا خاصا ، ذلك لا يأتي الا في جو الحرية الفكرية والحياة الديمقراطية ، وهما لا يتوافران في مجتمعاتنا الحالية •

هذا بالاضافة الى ارتباط المبدع بالقضايا المصيرية للبلاد ، فلا ابداع من منازلهم ، ولا خلق من مواكب المتفرجين المصفقين • ولما كانت القضايا الوطنية المصيرية — مثل الحرب والسلام والرأسمالية والاشتراكية — حكرا على السلطة السياسية ، لا يتطرق اليها المواطنون ، فان مصادر الابداع قد تم القضاء عليها ، وأصبح المبدعون بلا وطن ، هائمون على وجوههم في الطرقات وعلى المقاهى وفي المنتديات ويكون حظهم •

بل اننا فتننا الحماس لعمل أي شيء •

والترجمات الزاهرة التي قام بها الطهطاوى وتلاميذه والبعثات التي أرسلها محمد على نكصنا عنها ، وظللنا نترجم بلا تخطيط وبلا هدف مقصود • وألغنا عن طريق الترجمة غير المباشرة • والسرقات وعدم ذكر المصادر ، وجمع المعلومات وترتيبها وتنسيقها ، فلا هي ترجمة أمينة كما كنا نفعل في الماضي ، ولا هو تأليف مبدع كما ينبغي أن يكون • وفي رؤيتنا للواقع ، غابت التحليلات النظرية التي تعتمد على أسس ثقافية ، بل وابتلعت هموم الدنيا عقولنا ، وركبنا الواقع بدلا من أن نسوده نحن ، وبالتالي عشنا بلا ثقافة • • ابداعا ، أو نقلا ، أو رؤية •

ومع ذلك ، فانه يمكن رصد أربعة اتجاهات ثقافية ، تظهر بين الحين والآخر في حياتنا العامة والخاصة : الاول : الاتجاه الديني المحافظ الذي تتبناه الدولة ، والذي يظهر في الدين العقائدى الشعائرى ،

والذى تغلب عليه الصورة دون المضمون \* \* وهو الطريق السهل الذى يعطى للناس تحقيقا سريعا لمتطلبات الايمان ، ويترك الطريق الصعب \* \* طريق تحقيق النظام الاجتماعى والسياسى الدينى ، أعنى قضيتى العدالة الاجتماعية والحرية \* .

والثانى : الاتجاه العلمانى التقدمى الذى ترفضه الدولة ، والذى أصبح محاصرا من السلطة ومحصورا عند الشعب ، وكأنه صرخة فى غير واد ، نظرا لعدم تأصيله فى تراث الامة \* .

والثالث : الاتجاه الوطنى التقدمى الذى ورثناه من ثوراتنا الاخيرة ، والذى بدأ يخبو ويتحول الى اتجاه مضاد ، والذى ظل حتى فى أوقات ذروته شعارات وأمانى \* .

والرابع : هو اليسار الاسلامى الذى يحاول صياغة قضايا المساواة والحرية ابتداء من تراث الامة ، داعيا الى تحريك الجماهير وتحذيرها على المدى الطويل ، خاصة بعد فشل الاتجاهات الثلاثة الاولى \* .

أما أزمة الحريات فى مجتمعاتنا الحالية ، فإنها ليست وليدة القوانين الاستثنائية والاستفتاءات الشعبية ، ولكن تمتد جذورها الى تراثنا الطويل الذى يكفر جميع فرق المعارضة باستثناء فرقة ناجية واحدة ، وهى الحكومة ، وتبرير العقل للمعطيات دون تحليلها ، وسيادة الرؤى الالهامية دون الحوار العقلى بين البدائل ، وحرفية التفسير ، والبدائيات اللغوية والنصية التى تغفل معطيات الواقع ، وسلطوية القصور ، وهرمية البنين النفسى لشعورنا \* كل ذلك — فى الواقع — يحتاج



اعادة بناء حتى يمكن تجاوز أزمة الحريات • وقد عرضنا ذلك في مقالنا « الجذور التاريخية لازمة الحرية والديمقراطية في وجداننا المعاصر » (١) •

وبالنسبة لتطبيع العلاقات الثقافية مع اسرائيل فان العلاقات الثقافية هي نتيجة للعلاقات السياسية — فالثقافة هي سياسة على مستوى النظر ، والسياسة ثقافة على مستوى العمل • وبالتالي فان ما يحكم طبيعة العلاقات الثقافية ، هو نفسه الذى يحكم طبيعة العلاقات السياسية • وعلى ذلك ، فسيأتى المثقفون والعلماء من الجانب الآخر بنية تحديثنا وتعليمنا وتثقيفنا ، وليس بنية الحوار المتكافئ بين الطرفين ، مما يسبب عند جماهيرنا عقدة « الخوافة » من جديد •

ومع ذلك ، فان مخاطر تطبيع العلاقات الثقافية تتمثل فى كل حياتنا • وستقرز الصهيونية ثقافتها بيننا ، يعاونها فى ذلك الاستعمار والرأسمالية • فمثلا ستعتقد جماهيرنا بأن الجهاد لن يؤدي الى شىء ، وأن الحرب خاسرة بالضرورة ، وبالتالي تضيع روح النضال ، وتظل شعوبنا تستجدى حقوقها من الاقوياء ، والفصال فيها والتجارة عليها والتنازل عنها شيئا فشيئا ، حتى نتخلى عنها بفعل الزمن ، ونتحول الى أقلية فى دارنا نتمثل حضارة الاقوياء •

ستقرز الصهيونية فى حياتنا تيمها ، فالصهيونية وسيلة تحديث لنا ، حركة تحررية للشعوب المضطهدة حتى ننسى عنصريتها وعسكريتها وعدوانها وتوسعها • نقبل الصهيونية أخيرا كفكرة ، حتى تتم صهينة العالم العربى من خلالها ، وتكون بديلا عن القومية العربية فى المنطقة •

---

(١) المستقبل العربى ، يناير ١٩٧٩ وأيضاً الدين والثورة فى مصر ١٩٥٢ — ١٩٨١ ، ٢ — الدين والتحرر الثقافى •

وسيدخل الاستعمار أيضا مع الصهيونية لاثبات فشل مشروعنا القومي الذي وضعناه بعد ثوراتنا الأخيرة العربية : معاداة الاستعمار والصهيونية والقضاء على الانتطاع والرجعية والرأسمالية • وبالتالي ننهي تعاوننا مع حركات التحرير العالمي ، ونغير أحلافنا من المعسكر الاشتراكي الى المعسكر الرأسمالي ، أو الرجوع الى الحليف التقليدي في الغرب ، والى اقتضادنا التقليدي في الرأسمالية • وتعمنا تميم الغرب الاستهلاكية ، وتضيع هويتنا التومية ، ويضيع ما حاولناه منذ طلعت حرب من محاولات انشاء اقتصاد قومي وصناعة قومية • سينبهر شبابنا باسرائيل الحديثة بعد تبادل الزيارات طلابا أساتذة وبعثات ، وتكون اسرائيل نموذج التحديث في العالم العربي ، وتذهب اليها العقول المهاجرة والعمالة ، وتأخذ رأس المال والخبرات ، وتكون الصهيونية هي الحليف الطبيعي لنا •

لقد حاولت الصهيونية ابتلاع الارض — أرض فلسطين — ثم تحاول الآن القضاء على الشعب — شعب فلسطين — بسياسة المستوطنات في الضفة الغربية وغزة والقدس ، وأستئصال شعب فلسطين من جنوب لبنان ، كما تحاول القضاء على مجرد الاسم • والآن تحاول تصدير البديل : اسرائيل والصهيونية ، تحاصر مصر وتعزلها عن العالم العربي ، فهي واسرائيل هما جزيرتا الحضارة وسط الشعوب الهمجية كما قال أحد كتابنا • ويفتخر كاتب آخر بأن جذوره اسرائيلية • ويدافع كاتب ثالث عن اليهود في التاريخ ، بأنه ليس صاحب الانف المقوس والصوت الاخنف والصلعة البيضاء ، وليس كل يهودى هو « شيلوك » شكسبير • وهكذا آتت العلامات الثقافية الطبيعية أكلها بيننا من قبل أن تبدأ رسميا •

هناك ضرورة لاستمرار الروافد الثقافية للنهضة التي بدأت منذ مائتى عام ، فالاصلاح الدينى يستطيع أن يربط بين العقيدة والثورة ، بين التوحيد والتحرر ، بين الحياة الابدية ومقاومة الصهيونية ، بين الروح والبدن ، حتى بتحول الاسلام فى حياتنا الى فلسفة للمقاومة والصمود . ويستطيع الفكر العلمانى اعادة تحريك دعواه الى العلم والتقدم والاشتراكية والحرية ، فهى أفكار ما زلنا نتخوف منها ونكفرها . ويستطيع ما حاوله لطفى السيد والطهطاوى من تأسيس نلأمة والدستور ، ودعوة لقيام الدولة الحديثة — أن يعيد ما خسرناه ، وأن يبين لنا أن الدولة ليست ارهابا وتسلطا وادارة فردية وقهرا وطنيانا وضياعا لحقوق الناس .

لا مفر أمامنا الا اجراء حوار حول الوحدة الوطنية ضد التسلط الثقافى وواحدية الطرف فى الرأس ، حوار بين اليمين واليسار ، بين الاتجاهات الدينية والاتجاهات العلمانية ، بين الاخوان والماركسيين ويدخل كطرفين فى الحوار ثورة يوليو — التى حاولت تطوير الواقع متجاوزة الأيديولوجيتين المعروفتين ، واليسار الاسلامى — الذى تعدد يكون فى النهاية بوتقة الحوار الوطنى وخلصته .

ولا مفر أمامنا الا من تحمل مسئولية الثقافة ضد الحرفية وضد ايقاع المثقفين فى التخصص المهنى ، وكأنهم آلات انجاز أو خبراء أجانب ، وضد التكسب وعمليات التجارة وأساليب البغاء فى حياتنا الثقافية ، وضد الهجرة الى الخارج ، ونزيف عقل الأمة فى العالم العربى أو فى أوربا وأمريكا ، فالمقاومة فى الداخل وليس فى الخارج ، وتغيير الامر الواقع خطوة أفضل من عشرات المجلات وجرائد المعارضة

في العواصم الاجنبية ، وضد الهجرة الى الداخل والانزواء والانطواء  
والاكتئاب والاحباط واليأس والجنون والانتحار .

لا مفر أمامنا الا من الصمود الذاتي داخل الدوائر الضيقة والقيام  
بمبادرات فردية في نشر محاولات الابداع للادباء والمفكرين الشبان .  
وان ما ظهر حتى الآن مثل « الفكر المعاصر » و « كتابات » و  
« اليسار الاسلامي » — عن تريب — لبوادر خير . وعادة تبدأ الثقافة  
في الازدهار في أحلك اللحظات التي تمر بها الامم ، وفي أقصى ساعات  
الهزائم ، فاذا ما عجزت الجيوش والنظم استطاعت الاقلام والعقول .



## قبل الانتفاضة وبعدها

لشد ما هو أقسى على النفس عندما يشعر المفكر العربي أن الأحداث قد سبقته ، وأن دوره يأتي بعد الأحداث لينظر لها بفكره الثورى ، ويزايد عليها لعله يستطيع أن يكون له دور وسط الأحداث التى طالما كان يرجو قيادتها وهو الآن يشعر أنه قد تخلف عنها • فإذا فعل فإنه لا يزيد على التنظير التقليدى أما بنظرية فى الثورة ضد الاحتلال الصهيونى والامبريالية العالمية باسم فلسطين مرة ، وباسم العروبة مرة ثانية ، وباسم الاسلام مرة ثالثة ، وهو ما عرفه الجميع من قبل • وطالما سمعنا وتحدثنا من قبل عن الوطنية والعروبة والاسلام ولم نحدث ثورة •

ومع ذلك ، وبالرغم من هذا الاحساس بالذنب أمام الاطفال والنساء والشيوخ : أنهم سبقوا المفكرين ، وقاموا بالثورة قبل التنظير لها ، وبالرغم من الاحساس بالتقصير النظرى ، أننا لانملك الا المفاهيم التقليدية للثورة بعد أن قامت بها الجماهير فى الاراضى المحتلة ، وأننا مازلنا قاصرين عن الابداع الثورى فى العمل والنظر — بالرغم من هذا كله فاننى أحاول أن أتجاوز هذا الحصار النفسى ، وأدلى بهذا الاعتراف أمام النفس ، وأقدم هذه الشهادة للتاريخ ، ليس ابراء للزمة أو تكفيرا عن الذنب ولكن عقدا للنية على الاجتهاد ، وعقد للعزم على أن تكون الانتفاضة ليس فقط الطريق الى دولة فلسطين المستقلة، ولكن أيضا بداية

صحوة الفكر العربي وتمدد به لنفسه وإدراكه لمدى قدراته على الفهم  
والإبداع •

تدل هذه الانتفاضة ، ما قبلها وما بعدها على عدة حقائق على النحو  
الآتى :

١ — أسقطت الانتفاضة نظريتين شائعتين سادتا الفكر السياسى  
فى المنطقة • الاولى استمرار الاجتلال العسكرى طالما كانت له القوة  
المسلحة وطالما سكنت الجماهير ؛ وتأقلمت معه ، وتعودت عليه ،  
وأصبح جزءا من حياتها اليومية حتى مع سياسة تهجير الشباب خارج  
البلاد ، والاستيلاء على الاراضى بالقوة ، وادمج الباقى فى النشاط  
الاقتصادى للنظام العنصرى • والثانية التثوير من الخارج عن طريق  
المتابلات والزيارات والمفاوضات الجانبية والرسائل المتبادلة ولجان  
التنسيق والنداءات والوعود • وهى كلها بلا مضمون ، تحركات بلا واقع  
يسندها • فلا مفاوضات بين الشعوب الواقعة تحت الاجتلال ومحتليها  
الا تحت ضغط المقاومة وخسائر العدو كما كان الحال فى فيتنام  
والجزائر • ثم بدأت الانتفاضة الفعلية على أرض الواقع ، وتحركت  
جماهير الشعب الفلسطينى لتبين أنها اصدق من النظريتين السابقتين •  
فلا الاجتلال مستمر ، ولا التثوير من الخارج قد تم •

٢ — قامت جماهير الشعب الفلسطينى بالانتفاضة من الاطفال  
والشباب والنساء والشيوخ وليس جيش التحرير الفلسطينى والمنظمات  
الفدائية الفلسطينية مما يدل على أن جيش الشعب ماهو الا بلورة  
لنضال الشعب • بدأت الانتفاضة بالحجارة لا بالرصاص ، وبالزجاجات  
لا بالمدفع الرشاش ، يحملها الاطفال والنساء والشيوخ لا رجال المقاومة،

وعلى نواحي الطرقات وغوق أسطح المنازل لامن الكمائن وعن طريق حرب العصابات ، فالشعب يثور على أرضه • ولا احتلال للارض الا فوق الاجساد • وبالتالي سقط تصور اعطاء أرض بلا شعب الى شعب بلا أرض • وثبت صحة تصور « أعطاء من لا يملك لمن لا يستحق » •

٣ — وأمام هذه الحركة الشعبية انهار الجند المدجج بالسلاح الذى تعود على مائة جند مثله وبما له من عدة وعتاد • لم يتصور مرة أنه سيقا تل طفلا أو امرأة أو شيخا بلا سلاح ، وبالتالي يتحول الى شرطة أمن ، وظيفته المحافظة على نظام وليس الدفاع عن أرض وسلامة دولة • أصبحت الترسانة العسكرية للعدو بلا هدف أو غاية ، دبابة فى مواجهة طفل ، وطائرة فى مواجهة قرية ، ومدفع مصوب الى صدر امرأة ، والحجارة فى وجه الجندى وفوق رأسه • امتهان لكرامة المقاتل الشريف ، ودعوة الى النزال بين ندين غير متكافئين ، غف الاحتلال يقابله لا عنف المقاومة ، حديد تقابلة حجارة • فانهار السلاح أمام نزع السلاح • وبهت العدو الذى تعود على السيطرة على السماء بسلاحه الجوى ونقل المعركة الى أرض غيره بأن أتته السيطرة على الاراضى المحتلة ومن داخل حدود الغزو والاحتلال • ثم يأتي دور الحوار • الطفل والمرأة والشيوخ يحاورون الجند ، ويتوجهون الى معتقداتهم العنصرية بعند أن تم « غسل الخ » على مدى أربعة عقود • وتهتز قناعات جنود الاحتلال وهم يواجهون خصما من نوع جديد ، جندى فى مواجهة مواطن ، سلاح فى مواجهة برهان • فيتزعزع منطق الصهيونية والاحتلال ، وتبدو العنصرية والعدوان واضحين للعيان • وتنهز المعنويات بعد أن بطل السلاح • فتحت الانتفاضة بذلك طريق نضال الشعوب ليس فقط أمام الاحتلال الخارجى بل أمام القهر الداخلى • وهاهو شعب



بورما الآن يسير في نفس الطريق الذي خطته الانتفاضة ، مواطن يقنع جنديا بأن يكون طليعة التحرر الشعبى لا أداة لقمع السلطة .

٤ — ليست الثورة ضد الاحتلال نظرية ثورية وطنية أو قومية أو اسلامية أو ماركسية بل هي فعل ثورى، تنصهر فيه الايديولوجيات النظرية ، وتتوحد في العمل الثورى الموحد . فالانتفاضة وحدة وطنية تتحقق بالفعل ، تعطى الاولوية للعمل على النظر ، وللعمل على القول ، وللموقف على الشعار . حدث ذلك تلقائيا وبدافع وطنى طبيعى دون نظرية مسبقة في الوحدة الوطنية أو الجبهة الوطنية أو الائتلاف الوطنى . وكان ذلك أيضا هو الفعل الثورى لاجى جهاد . شهيد الانتفاضة الذى رفض أن يشنت جهده في معارك نظرية ، وآثر أن يكون الشعب كله صفا واحدا في مواجهة الاحتلال .

٥ — استطاعت الانتفاضة أن تبني المؤسسات الثورية بفضل القيادة الموحدة للانتفاضة سواء في تنسيق العمل الثورى وتنظيم الاضرابات أو في تكوين نواة الائتصاد الثورى المستقل عن النشاط الاقصادى لنظام الاحتلال . فأصبحت الانتفاضة ليس مجرد حركة شعبية بل بناء في السياسة والاجتماع والاقتصاد والتاريخ . واستمرت الانتفاضة وقاربت على عشرة أشهر ومازالت مستمرة ، بالرغم من مراهنة الاحتلال على سرعة قمعها وتصفيتها وطردها . ومازالت الانتفاضة قادرة على ابداع أساليب ثورية جديدة كان أحدها فك الارتباط القانونى والادارى مع المملكة الاردنية حتى تعود القضية الى أصحابها ، وينتهى الخيار الاردنى التى راهن عليه حزب العمل . وينقشع اللبس عن ازدواجية التمثيل وازدواجية الهوية ، ويبدأ الخيار

الفلسطينى والتمثيل الواحد والهوية الفلسطينية ، شعبا وقيادة ، دولة وعاصمة •

٦ — وكانت احدى ثمرات الانتفاضة بداية التفكير الجدى فى الوقت المناسب للاعلان عن الدولة الفلسطينية المستقلة • فقد استطاعت الانتفاضة أن تبنى مؤسسات الدولة من القاعدة الى القمة : الوحدات المنتجة ، التنظيمات الجماهيرية ، أجهزة الاعلام ، اللجان الشعبية ، القيادة الموحدة ••• الخ • لبطالما كثرت النداءات من قبل لاقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ، ولم تجد الا آذانا صماء • ولكن بعد الانتفاضة ظهر بناء الدولة ومؤسساتها الشعبية والدستورية ، ولم ينقصها الا الاعلان والاعتراف الدولى • فبالمضمون يسبق الشكل ويفرضه ، والشكل وحده لا يعطى مضمونا • وأخذت قرارات القمة خاصته مقررات مؤتمر فاس مضمونها بعد أن كانت مجرد قرارات مثل سابقتها • واستطاعت المنظمة أن تطور ميثاقها من دولة فلسطينية ديمقراطية علمانية يعيش على أرضها كل من يشاء بصرف النظر عن دينه وجنسه ولغته الى دولة فلسطينية فى الاراضى المحتلة عاصمتها القدس وطبقا لقرار التقسيم فى الامم المتحدة عام ١٩٤٨ الذى أقر شرعيا ودوليا بانشاء دولة فلسطين المستقلة على أرضها •

٧ — لقد هزت الانتفاضة المجتمع الاسرائيلى ، وأخذ النظام العنصرى على غزة • فقد استعد العدو بالسلاح ، وانتظر المعركة على أرض الغير • ولكن الانتفاضة هذه المرة أنته من الداخل كحركة شعبية غير مسلحة فحاصرت النظام ، ووضعته فى مأزق تاريخى أمام شعبه المهاجر القادم من وراء البحار تحقيقا لاسطورة الميعاد التى تحطمت

على أرض الواقع . وبالتالى قويت الحركات الداعية الى السلام وازدادت مراجعات الصهيونية لنفسها ، وعلت الاصوات المنادية بحقوق شعب فلسطين من داخل الاراضى المحتلة قبل ١٩٤٨ ، وزادت الجماعات الرافضة للنظام العنصرى للصهيونية ، ودبت فى الجليل الاعلى روح المقاومة والنضال ، وعادت الى اذهانهم ذكريات فلسطين العربية قبل قيام دولة الاحتلال .

٨ - أثرت الانتفاضة على الساحة العربية . فوحدت العرب بعد أن فرقتهم الحروب الاقليمية والفزاعات الطائفية ومعارك الحدود والتخوين المتبادل بين الانظمة عبر أجهزة الاعلام . لم يستطع أى نظام عربى وأد الجنين الجديد بل اجتمع العرب على حمايته . فقد يكون هو المخلص لهم من أحزانهم وكروبهم . توتفت حرب الخليج ، هذا الفزيف الداخلى فى جسد الامة ، وقاربت الحرب الاهلية اللبنانية على النهاية ، وبدأت التجمعات الاقليمية العربية فى الظهور فى المغرب العربى بعد ظهورها فى المشرق العربى ولجان التنسيق فى قلب العالم العربى بين مصر والاردن والسودان والمغرب . وتعود مصر الآن تدريجيا الى مكانها الطبيعى فى قلب الامة العربية كى تنهى أسوء عقدين فى تاريخها الحديث . وتمسكت الشعوب العربية بأمل جديد بعد أن اضناها اليأس، وعمها العجز .

٩ - وأصبح الرأى العام العالمى أكثر قبولا ! حقوق شعب فلسطين أكثر من أى وقت مضى بعد أن شاهد العالم كله تكسير أصابع الفلسطينيين وأذراعهم ، وتشجيع جماهير شعب فلسطين شهداءهم ورفع اعلام فلسطين على أعمدة النور وأسطح المنازل ، وحوار النساء

مع جنود الاحتلال ، ورمى الاطفال بالحجارة ، وخروج الشيوخ حفاة من المخيمات مع الابناء وكأنهم يبعثون من جديد ، ودفاع الامهات عن الاطفال ضد ضرب جنود الاحتلال • والغرب لا يعرف الا لغة الوانع ، ولا يسمع الا لاقوال المنتصر • وبالرغم من تصور أجهزة الاعلام العربية خشية من تحركات الجماهير وأن تعم الانتفاضة العواصم العربية وأن تتحول المنطقة كلها الى انتفاضات متكررة فلقد حاصرت الانتفاضة أجهزة الاعلام العربية واضطرتها حياء الى أن تلتحق ، ولو الى حد قليل ، بأجهزة الاعلام الغربية تنقل عنها أخبار الانتفاضة •

وكما كانت معركة الكرامة اثار هزيمة ١٩٦٧ ميلادا للمقاومة الفلسطينية فان الانتفاضة بعد عشرين عاما ميلاد جديد للدولة الفلسطينية •



## الدين والثورة في الثورة العراقية

ان مهمة هذا البحث دحض الفرية التي تجعل من عرابي درويشا جاهلا بالدين خارجا على الشريعة ، وأن دروشته سبب هزيمته أمام جيوش الاحتلال .

أولا : مقدمة :

الدين لدى الشعوب التاريخية في مصر والهند والصين وفارس أو فيما يسمى حاليا بدول القارات الثلاث ، أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية هو مصدر قيمها ، ومنبع فكرها ، وأصل تراثها ، وموجه سلوكها ، تلجأ اليه ساعة الشدة ، وتنتجه نحوه في اللحظات الحاسمة من تاريخها . وهو أيضا عامل في تتدمرها أو تأخرها طبقا للوظيفة التي يؤديها فيها ، وطبقا لاستعمال مختلف الطبقات الاجتماعية له . تنثور به الجماهير ، وتتحكم به السلطة ، تواجهه به الشعوب في مقاومتها المحتل الاجنبي ، ويستغله المحتل الاجنبي من خلال السلطة الدينية طلبا لطاعة الجماهير وانصياع الامة .

لقد دخل شعب مصر في الاسلام لانه رأى فيه تحريرا له من تسلط الرومان واحتلال الاجنبي . ثم ارتبط لاسلام بتاريخها وحياتها وقوت يومها وعاداتها وتقاليدها حتى استعمله السلطان والخليفة والوالي

تأييدا لسلطته وطلبا لطاعته ، يلقي عليه علماء الازهر الرداء في أغلب الاحيان ونادرا ما يخلعونه عنه • وقد قام غالبية علماء الامة بالدور الاول ، الدين تأييدا للسلطة وتثبيتا للموضع القائم ، وقامت الاقلية بالدور الثانى ، الدين فى مواجهة السلطة وثورة على الوضع القائم •

ومنذ بداية النهضة الحديثة فى مصر منذ محمد على كان الدين مصدر التيارات الثلاثة الرئيسية فيها : الاول ، الاصلاح الدينى الذى بدأه الافغانى حيث كان الدين ثورة ضد الاستعمار الخارجى والتخلف الداخلى فى مظاهره المختلفة من طغيان وفقر وفتور • والثانى ، التيار العلمانى العلمى الذى بدأه شمىل لولا أنه ظن العلم والعقل والحرية والدستور والمدنية والعمران والتقدم ضد الدين وليس لب الدين • والثالث ، التيار الليبرالى لتأسيس الدولة الحديثة والذى بدأه الطهطاوى حيث ظهر الدين دعامة الدولة الوطنية الحديثة بما فيها من زراعة وصناعة ، وبما تقوم عليه من حرية ودستور وتعليم ونهضة عمرانية شاملة •

وبعد أن تجمعت الدول الاوربية كلها لضرب مصر فى شخص محمد على حتى لا يقوم فى هذه المنطقة أى كيان سياسى واقتصادى مستقل عن الشرق والغرب على السواء وبزعامة مصر وحتى لا ينهض الشرق من جديد فى مواجهة الغرب بعد أن تحدث للغرب فى تاريخه الحديث السيطرة على متمدات العالم وثرواته ومركز قياداته فى الشرق ، وبعد أن عجز السلطان فى تركيا عن الدفاع عن الامة الاسلامية فى مواجهة الصليبية الا وهو احتلال الشرق من جديد والمثل فى مصر — بدأت مغامرات الغرب على مصر منذ افتتاح قناة السويس وارهاق مصر

بالديون في عصر اسماعيل ثم فرض الرقابة المالية ثم تدخل الاجانب وقنصل الدول ثم خلع اسماعيل وتنصيب ابنه توفيق تمهيدا لاحتلال مصر كلها سواء وذهت ديونها أم لم توفها ، سواء حمت الاجانب أم لم تحمهم ، سواء أوقفت اصلاحات الطوابى في الاسكندرية أم استمرت فيها • فالاسطول الاجنبى قائم بمهمته في ضرب الاسكندرية واحتلال مصر مقرر في كلتا الحالتين ، وسواء حشد ناصر جيش مصر دفاعا عن سوريا أو لم يحشد فهو في كلتا الحالتين فريسة للعدوان في ١٩٦٧ ، وسواء عكر الحمل على الذئب الماء أم لم يعكر فالذئب آكله لا محالة •

وفي هذه الفترة بعد انكسار مصر بعهد محمد على وبداية وقوع مصر تحت سيطرة الدول الكبرى في عصر اسماعيل ثم في عهد ابنه توفيق بدأت مقدمات الثورة العرابية • وظهر الدين في وظيفتيه الاساسيتين : دين الثورة ودين الخيانة ، دين الانبياء ودين الكهنة ، دين الشعوب ودين الحكام ، دين الوطنية ودين الاستعمار ، دين الفقراء ودين الاغنياء ، دين المقاومة ودين الاستسلام ، دين التحرر ودين الاستعباد • كان دين الثورة هو الدين فهمه عرابى وصحبه ، وزعماء الثورة العرابية السبعة وبعض علماء الازهر ، وكان دين الخيانة هو دين السلطان والخيوى والانجليز وبعض مشايخ الازهر •

ولما أراد دين الخيانة تشويه دين الثورة اتهم عرابى وصحبه بالدروشة ، وانهم تاموا ليلة معركة النمل الكبير بالذكر حتى الصباح ، فأصبح الجند متعبين ، فلم يستطيعوا مقاومة الانجليز أهل اليقظة والدراية ، وأصحاب العلم والمعرفة دون ذكر لخيانة على يوسف الشهير بخنفس واعطائه خطة جيش مصر الوطنى بخط يد عرابى الى



جيوش الاحتلال • واذا صح أن عرابي قد استدعى عددا من رجال الطرق الصوفية أو أنهم هم الذين جاءوا اليه فأرسلهم الى الفرق يستحثونها ويستنهضونها على القتال حماسة لله وللدين والوطن أو أنه قرأ الادعية مع بعض رجال الدين في خيمته فان ذلك لا يعنى أنه ترك الجهاد واعتمد على النصر من عند الله دون أن يعد العدة لذلك ويأخذ بالاسباب • فالدين يعطى الجند روحهم ويشدذ همهم ويقوى روحهم المعنوية بالاغاني والانشيد الوطنية والموسيقى العسكرية • وقد أقيمت للحملة الانجليزية أيضا الصلوات في كنائس انجلترا وباركها كبير الاساقفة مع عدد من رجال الدين ولم يتهمها أحد بالدروشة أو الاتكال على الله • كما أنهم أنه خلط بين الدين والسياسة أو أنه عصى السلطان مولاه كما يعصى العبد سيده كما أفتى السلطان وترر الخديوى بناء على طلب الانجليز •

ان مهمة هذا البحث هي دحض هذه الفرية التي تجعل من عرابي درويشا جاهلا بالدين عاصيا للخليفة خارجا على الشريعة ، وأن دروشته سبب هزيمته أمام جيوش الاحتلال ، وبيان أن الدين كان منبع الثورة ومنطلقها وأن الثورة غاية الدين وهدفه النهائى •

### ثانيا : الدين بداية الثورة ومنطلقها :

كانت ثورة عرابي تتبع من الدين وتحكمها الشريعة • وكان الدين بداية الثورة ومنطلقها ، ومفجر شرارتها الاولى • ويظهر الدين كبذرة للثورة في ثقافة عرابي وتربيته الدينية واستشهاداه بالقرآن والحديث أو بالتاريخ الاسلامى وبمواطن البطولة والفداء فيه • كما يظهر في التزامه بالولاء للخلافة الاسلامية ولوحددة الامة الاسلامية بالرغم من

عيوبها ودفاعه عن الجامعة الاسلامية • كما يظهر أخيرا في دور مشايخ الازهر في الثورة سواء من ثار على الطغيان والاحتلال مع عرابي باسم الدين أو من اعتدل وأخذ موقفا وسطا ثم تراجع باسم الاصلاح أو من خان واستسلم وأفتى بالعصيان باسم الانجليز •

### ١ - الثقافة والتربية الدينية :

يمتد نسب عرابي الى الحسين سيد الشهداء من خلال السيد صالح البلاسى (نسبة الى بلاس من بطائح العراق) حتى الامام موسى الكاظم ابن الامام جعفر الصادق ابن الامام محمد الباقر ابن الامام على الزاهر زين العابدين ابن الامام الحسين سبط رسول الله وابن الامام على كما يذكر عرابي في مذكراته (١) • وكان عرابي يفخر بذلك قائلا ليعلم أنى عرابي شريف الارومة ، مصرى الوطن والنشأة والتربية، وهناك نشأتى ونسبى الشريف متصل بسيد الاولين والآخريين صلى الله عليه وسلم • وبالرغم من أنه لا انساب في الاسلام الا أن النسب يعطى احساسا للتأثر بأصل ثورته خاصة الذى ينتسب آل البيت وما فيه من ذكرى للشهداء ونماذج البطولة والفداء التى جسدها الامام الحسين سيد الشهداء •

وكان أبوه شيخ قرية رزنة أو أحد مشايخها ، ويذكر عرابي أيضا

---

(١) مذكرات عرابي : كشف الستار عن سر الاسرار في النهضة المصرية المشهورة بالثورة العراقية احمد عرابي فى عامى ١٢٩٨ - ١٢٩٩ انهجريتين وفى ١٨٨١ - ١٨٨٢ الميلاديتين بقلم زعيم الثورة العرابية احمد عرابي ، الجزء الاول ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٥٨ ص ٧ - ٨ ، ص ١٠ •

في مذكراته أنه كان شيخاً جليلاً رئيساً لعشيرته ، عالماً نقياً تقياً موصوفاً  
بالعفة والامانة • رتب درسا في الفقه في المسجد للعامّة بعد عصر كل  
يوم وبعد صلاة العشاء ليتفقه الناس في الدين ولتصح عبادتهم •

تعلم عرابي القرآن الشريف وبعض العلوم الدينية في المكتب الذي  
انشأه والده ثم في الجامع الازهر ثم العلوم العسكرية فيما بعد •  
اختره سعيد باشا ياورا له في زيارته الى المدينة المنورة • ولما انتدب  
الى الحجاز لأشرفه على قلاع البحر الاحمر أنشأ مكتبا لتعليم الاطفال  
الازاءة والكتابة والقرآن الكريم •

وكان متصفاً بالايان الشديد بالله وبتأييده للمؤمنين الصابرين •  
فبعد القبض على عرابي وزمليه اثر العريضة الموجهة الى رياض بمطالب  
الضباط الوطنيين انزعج على فهمي على نفسه وأولاده الصغار وكاد  
أن يرمى نفسه من النيل فثججه عرابي متمثلاً قول الشافعي :

ولرب نازلة يضيق بها الفتى

ذرعاً وعند الله منها المخرج

ضباقت فلما استحكمت حلقاتها

فرجت وكان يظننا لا تفرج

كما تمثل بأبيات أخرى للسيدة زينب • وما هي الا لحظة  
حتى جاء العساكر والضباط من أنصار الحركة الوطنية وأفرجوا عنه •

وكان شديد التقوى والايان • فبعد تأليف وزارة شريف أثر  
مظاهرة عابدين وطلب الوزارة من عرابي السفر الى رأس الوادي سار  
عرابي بطريق الحسينية حتى بلغ مسجد الحسين ووقف الآلاى مقابلا

للمسجد تعظيما واجلالا لسبب الرسول • ودخل عرابي المقام مع المضباط وأمر بوضع بيرق الآلاى على المضريح الشريف • كما أنه فى خضم المعركة مع الانجليز كان يبنى تأمين الحجاج الى الحجاز عبر السويس والحفاظ على المحمل الشريف وكسوة الكعبة •

ونظرا لثقافته الدينية فقد كان عرابي يفسر الحوادث التى يمر بها تفسيراً دينياً ويحكم عليها بمنظور العتيدة والشريعة • فكان يرى أن كل شر حل بمن آذوه من الشركاسة مثل خسرو باشا وعثمان رفقى ، انتقام من الله ، ولكنه كان يرفض القتل غيلة والقصاص دون حكم شرعى • ولقد نهر عرابي وهو ناظر للجهادية عبد الله فكرى عندما سأل عن قتل الخديوى قائلًا له أننا لا نقتل أحداً بغير حكم شرعى • وفى رسالة بلغت الى جلادستون تصويراً لآراء عرابي على أنها ليست تكراراً للعبادات المتداولة فى أوروبا الحديثة ولكنها تقوم على أساس معرفة بالتاريخ والتقاليد الحرة للفكر العربى ، تلك التقايد الموروثة عن الاسلام •

وكان فى حياته الخاصة حتى فى أحلك لحظاته فى سجنه وفى منفاه وبعد عودته متمسكا بإيمانه وبصلاته • لم يجدوا فى السجن معه الا تميمية لحفظ أبنائه من الصرع • وكانت مسبحة لا تفارقه • يدعو الله لزملائه أن يلهمهم الشجاعة • يرفع يديه لله شاكراً ومصلياً له • وكان أول ما فعله عرابي بعد سماع الحكم عليه بالنفى وعودته الى سجنه أن صله لله شاكراً وأطال سجوده • ولما علم أن مكان نفىه جزيرة سرنديب فرح واستبشر • وقد حدث عرابي بلفت عما يذكره التاريخ القديم من قصة هبوط آدم وكيف أنه حل بهذه الجزيرة فصارت تعرف

• جنة آدم • كما ذهبت حواء الى الحجاز فصارت تعرف بجنة حواء •  
• وكان يقول « انى أخرج من مصر بستان الدنيا لاذهب الى سرنديب •  
• جنة آدم » • ولما توفي عبد العال حلمى رأى عرابى من كراماته اجتماع  
سراب الطير فوق نعشه تسير بسير الجنازة حتى وورى التراب !

وفى سرنديب ، عاش بين المسلمين العرب أو الهنود وكان مجط  
أنظارهم • يزور أضرحتهم مثل ضريح السيد شهاب الدين ، ويؤم  
مساجدهم ، وهم يحتفون به باستيراد الطرابيش ، وبطلق مدفع بجوار  
المسجد عندما يصلى فيه يوم الجمعة من كل أسبوع • يفتتح مدارسهم  
كما افتتح مدرسة ميردانة الإسلامية التى بناها المسلمون على  
نفقتهم •

وبعد عودته من المنفى ، شكر الله ، وسارت المركب « باسم الله  
مجريها ومرساها » وقبل أرض الكنانة ، كنانة الله العزيز الحكيم ،  
وصلى والهج بأنواع الدعاء الى الله سبحانه وشكر له عودته سالما  
بعد مرور تسعة عشر عاما مكرها ذاق فيها الفراق وألم الغربية •  
وكان يصلى الجمعة فى جامع الزماح بالناصرية أو بالسيدة زينب أو  
بالحسين وهو بلحيته البيضاء يشع من وجهه علامات الايمان والورع  
والمسبحة لا تفارقه • وكان يرى مصادرة أملاكه وأمواله لا تتفق مع  
العدالة ولا مع حكم الشرع ويكرر حديث « مال المسلم على المسلم  
حرام » • كان يتلو القرآن فى أواخر أيامه ، ويحرص على أن يؤدى أبنائه  
الصلوات فى أوقاتها • وكان يؤمهم ، ويحرم على الذكور منهم التحلى  
بالذهب ، ويحفظهم القرآن ، ويحبذ لهم الاحتشام والجد • غضب  
لان أحد أبنائه حلق لحيته ولم يرض عنه حتى أطلقها • وقد تراء عليه

أحد أبنائه « نهج البلاغة » وهو غلام \* وقد صدر مذكراته كما يفعل أئمة الاعلام ومشايخ الاسلام بحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله قائلًا « الحمد لله الناصر في الخلق فضله ، الباسط فيهم بالجوهر يده ، نعمده في جميع أموره ، ونستعين به على رعاية حقوقه ونشهد أن لا اله غيره ، وأن محمدًا عبده ورسوله ، أرسله بأمره صادقًا ، وبذكره ناطقًا ، فأدى أمينًا ، ومضى رشيدًا ، وخلف فينا راية الحق ، من تقدمها مرق ، ومن تخلف عنها زهق ، من لزمها لحق \* أحمدته تعالى الذي جعل الحمد ثمنًا لنعمائه ، ومعاذًا من بلائه ، وسبيلًا إلى جنانه ، وسببًا لزيادة احسانه ، والصلاة على رسوله نبي الرحمة ، وسراج الامة ، وامام الائمة ، المنتخب من طينة الكرم ، وسلالة المجد الاقدم ، وعلى آل بيته مصابيح الظلم ، وعصم الامم ، ومناثر الدين الواضحة ، مثاقيل الفضل الراجحة ، صلاة تكون داء لفضلهم ، ومكافأة لعملهم ، وجزاء لطيب فرعهم وأصلهم ما أنار فجر وهدي نجم » \*

## ٢ — الخلافة الاسلامية او الجامعة الاسلامية :

وصفت الدول الاوربية الدول العثمانية بأنها الرجل المريض الذي لا يأس من شفائه حتى يموت وتقطع أوصاله فتستولى كل دولة أوربية على جزء من الغنيمة \* وقد تم ذلك والرجل المريض مازال حينًا يرزق \* فاقتطعت تونس والجزائر والمغرب والهند وآن الاوان لانقطاع مصر والشام والحجاز \* وكانت آسيا الشرقية قد تم انتطاعها من قبل على يد هولندا والبرتغال منذ سقوط غرناطة ١٤٩٢ \* ولقد تبعنا نحن هذا الوصف للدولة العثمانية ولم نحاول اعادة كتابة تاريخها من منظور إسلامي ووطني \* فقد كانت الدولة العثمانية بالرغم من كل عيوبها

رمزا للوحدة الاسلامية ، تقف في مواجهة نظام الدول الاوربية رمزا للتحدي واثباتا للهوية الاسلامية ضد التغريب والتميع في الآخر • تتعلق بها قلوب المسلمين في مصر والهند ، وتحافظ على فلسطين ضد بدايات الغزو الصهيوني •

وقد حاول عرابي مالم ننتبه اليه حتى الان أن يقوم بثورة وطنية في مصر وفي نفس الوقت المحافظة على الوحدة الاسلامية سواء سميت الخلافة الاسلامية أو الجامعة الاسلامية أو الجامعة الشريفة وهي الأسماء الجديدة التي ورثتها مصر تحت تعاليم السيد جمال الدين الافغانى •

رفض عرابي كل من خرجوا على « الدولة العلية » مثل خسرو باشا وحتى ابراهيم باشا في تلك الفتنة الدهماء التي دكدكت سياج الاسلام وكسرت شوكة الدولة العلية الحامية لجميع الموحدين • صحيح أن عرابي يذكر نفسه عربيا وأنه من أبناء العرب والامة العربية ولكنه يصف ذلك كواقع ونشأة وليس كمبدأ وعقيدة • يرى عرابي أن الدولة العلية خير ملاذ للدفاع عن المسلمين ضد أطماع الدول الاوربية • لقد أوجس خيفة على مصائر البلاد ومطامع انجلترا لالتهام وادي النيل كما فعلت فرنسا بتونس بدعوى التوازن الذي تدعيه مع أوروبا • فعرض مخاوفه على أمير المؤمنين ليحيط علما بما كان جاريا في مصر • وبعد مذكرة فرنسا وانجلترا بحجة حماية السلطان والخدويوى ضد الحركة الوطنية رأى عرابي الاتجاه الى السلطان والتمسك بمبدأ الجامعة الاسلامية حماية للامة • ويقول بلنت أن الناس كلهم قد اتجهوا الى السلطان كمنقذ لهم، وأصبحوا ينظرون الى عرابي على أنه عضد السلطان

في مصر والحصن الحصين الذي تمتحن فيه الامال بعد أن يأسوا كل اليأس من توفيق • ولم يكن هذا الاعتماد مجرد خطة سياسية بل كان عقيدة للحركة الوطنية في مصر منذ عرابي حتى مصطفى كامل وحزب مصر الفتاة • يقول بلنت أن عرابي كان يعتمد على السلطان • فقد وجد المصريون أنفسهم لأول مرة مترابطين • وقد ألتى الشيخ محمد عبده ومن معه في زمرة الحزب الوطنى الذى سبقهم بخطوات • وشعر الناس جميعا حتى الشراكسة بالاشمئزاز من التدخل الاجنبى • وأن أشد الناس نفوذا مثل الشيخ الهجرسى كانوا يرون عرابى على حق في اعتماده على السلطان • ولهذا كسب عرابى كسبا عظيما • ودار الكلام دائما عن الجامعة الاسلامية • وكان عرابى يرى أن الدفاع عن المصريين هو في نفسه دفاع عن السلطان ضد أطماع الدول الاجنبية • وبالتالي فان وحدة المسلمين خير ضمان لوقوفهم أمام عدوى المشترك • لذلك كان عرابى يظهر الطاعة والولاء باستمرار لأمير المؤمنين حامى حمى الديار • وكانت بينهما المراسلات من خلال المشايخ ذوى الحظوة عند السلطان • وكان دائم التكرار على أنه لم يشق عصا الطاعة كما يدعى الاوربيون بل طالب بالاصلاح باسم الذات الشاهانية حتى يعلم الجميع أن البلاد سلطانا شرعيا هو صاحب السيادة العظمى على البلاد المصرية وأن الخديوى هو نائبه فقط بعد أن كانوا لا يعرفون لهم حاكما شرعيا غير الخديوى • وكان جنود عرابى يهتفون في رأس الوادى يعيش السلطان • فقد كان عرابى يعتبره رئيسا دينيا شرعيا له وللامة المصرية • وكان السلطان يعتبره هو المدافع عن مصر في مواجهة الدول المسيحية • وكان عرابى في دفاعه عن البلاد منفذا لاوامر الخليفة أمام دينه • ولقد تحدث طلبه بك أمام الوفد العثمانى باسم عرابى



مؤكداً على هذا المعنى وبأنهم « معترفون بسيادة مولانا السلطان الاعظم خاضعون لاميرنا الخديوى • وكما أن الدولة العلية ترى مصر قلب الدولة وكذلك نرى الدولة محل سطوتنا ومركز آمالنا ودار الخلافة الاسلامية • واننا نرجو أن تجتمع كلمة المسلمين في سائر الاقطار وتتحد قلوب المؤمنين لتكون يدا واحدة في وتاية دولتنا من جميع النوازل أعازها الله منها • ولاشك في أن أخواننا المسلمين يجدون في بث الاتحاد بينهم وجمع الكلمة على تأييد ملكنا وسلطاننا المعظم خلد الله سلطانه » (٢) •

ولقد حاول اعداء الحركة الوطنية الايقاع بين السلطان وعرابى فأرسال طلعت باثنا الشركسى الى القسطنطينية ليقول أن مصر في حالة ثورة ، وأن هناك اقتراحا لانشاء امبراطورية عربية ، وان أحمد عرابى والحكومة البريطانية قد اتفقا بينهما على هذا الامر • فأتصل عرابى بالعالم الورع الشيخ محمد ظافر كاتم سر السلطان ومشيره الدينى واخبره بحقيقة الامر • فاقتنع السلطان وطالبه بالدفاع عن البلاد بكل ثمن ضد الاحتلال والا كان نصيب مصر نصيب تونس ، وأنه لا يعنيه من يكون حاكم مصر اسماعيل أو حلیم أو توفيق • وكتب محمد ظافر « حيث أن حفظ الخلافة واستقامتها فرض على كل واحد منا فيجب على كل مصرى السعى بمزيد من الاهتمام وراء تثبيت سلطتنا لمنع خروج مصر ووقوعها في قبضة الاجانب الطامعين كما وقعت ولاية تونس في أيدي الفرنسيين ، فنحن نضع ثقتنا فيكم يا ولدى لاستعمال قوتكم وعمل كل ما فى الامكان لمنع حدوث شىء مثل ذلك • فكن على حذر دائماً ،

ولا تغض النظر طرفة عين عن هذه النقطة المهمة ، ولا تتركوا أية طريقة أو وسيلة من وسائل الاحتياطات والطرق المتميزة في عصرنا هذا ، واضعا نصب عينيكم دائما الغرض الذى ترمى اليه الا وهو الدفاع عن ملتكم وبلادكم » (٣) •

ومع ذلك ، حافظ عرابى على حرية الحركة على أرض مصر وعلى استقلال البلاد في اطار الوحدة الاسلامية • لقد أساء الاتراك حكم مصر واضطهدوا أنصار الحركة الدستورية والمنادين بالحرية في بلادهم • لذلك لا يجب على القسطنطينية أن تتدخل في شئون مصر • هناك فرق بين الحكومة العثمانية وبين السلطة الدينية للسلطان • فهو كأمير للمؤمنين تجب له الطاعة والاجلال اذا عدل • يقول عرابى :

« نحن جميعا أبناء السلطان ونعيش معا كما تعيش أسرة في بيت • ولكن كما هو الحال في الاسرة لكل منا نحن أهالى الاقطار الاسلامية حجرة مستقلة يترك لنا أمر تنظيمها حسب اردتنا حتى لايسمح للسلطان نفسه بالتدخل في ذلك • ولقد اكتسبت مصر هذا الوضع بمقتضى ما منحته الفرمانات ، وسنحرص على أن تحتفظ به • ونحن اذا طالبنا بأكثر من ذلك فاننا نركب متن الشطط وربما فقدنا حريتنا فمدانا تاما » (٤) •

---

(٣) محمود الخفيف : أحمد عرابى ، الزعيم المفترى عليه ، المركز العربى للبحث والنشر ، القاهرة سنة ١٩٨١ ص ٢٢٨ •

(٤) المصدر السابق ص ١٠٤ •

### ٣ - دين الثورة والمقاومة :

كان الدين عند عرابى ثورة ضد الظلم ومقاومة للاجنبى وجهادا ضد اعداء الامة ، اعداء الحرية والاستقلال فى الداخل والخارج • وكان يمثل ذلك الفهم الثورى للدين مع عرابى خطيب الثورة السيد عبد الله النديم ، والشيخ عليش ، والشيخ حسن العدوى وغيرهم من علماء الازهر الشرفاء • وكانوا كلهم تحت أثر أفكار السيد جمال الدين الافغانى •

ففى كتاب عرابى لجلادستون يقول « نحن الجند الان فى وضع كاذبى كان فيه أولئك العرب الذين أجابوا الخليفة عمر حين سألهم فى شيخوخته عما اذا كانوا راضين عن حكمه ، وعما اذا كان فيه قد استقام على طريق العدالة • قالوا يا ابن الخطاب : أنك استقامت على الطريق حقا ولهذا احببناك ولكنك لست تعلم اننا كنا قريبين منك ، وكنا على أهبة لو أنك سلكت سبيلا معوجة لنردك الى الطريق السوى بسيوفا » • كان الدين لديه هو المعارضة عن طريق الامر بالمعروف والنهي عن المنكر أسوة بالصحابة • لتد قامت الحكومات الاسلامية على المبادئ وليس على الاشخاص ك، فيقول الخليفة الاول :

« ياأيها الناس ، أنى وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنتم فأعينونى وان أسأت فقومونى » • ويقول لهم الخليفة الثانى « من رأى منكم فى اعوجاجا فليقومه » • فيرد عليه عرابى « لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفا » ، فيقول الرسول « ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده » لذلك كان الدين عند عرابى ثورة على الظلم • وعلى هذا الاساس فهم

ثورة المهدي في السودان عندما سئل عنه وهو في المنفى هل هو المنتظر عند المسلمين فأجاب بأن كل داع الى الخير والصلاح هو مهدي . لقد خُشت انجلترا من ثورة المهدي على ستين مليوناً من المسلمين في الهند أن تجمع ثناتهم . ويرى عرابي أن مجرد وجود تائد انجليزي على جيش يكون من صالح المهدي فإنه يحكم بكفر المصريين الذين يقاتلون المسلمين تحت قيادة مسيحية ويستبيح قتلهم بسبب هذه القيادة . واذا استولى على اسلحة هذا الجيش وذخيرته فإنه يصبح قويا يخشى جانبه . لقد اقترحت انجلترا تعيين عرابي أميراً على السودان تابعا للتاج المصري للسيطرة على ثورة المهدي ولكن هلكت حملة هس مما عطل الاقتراح . كما اقترحت أيضا تعيين عرابي سفيرا مؤقتا الى المهدي لرفع الحصار عن غوردون على أن يعزل توفيق ويعين أمير غيره يستطيع الاتفاق مع المهدي ، وأن النية متجهة الى اعادة اسماعيل بشرط أن يكون عرابي رئيس وزرائه باعتباره زعيم مصر المختار . ولكن عرابي رفض العرض ، وآثر الاستمرار في المنفى ، ورفض العودة الى الحكم تحت رئاسة اسماعيل الذي لا تتفق آراؤه مع آراء الحركة الوطنية . ثم وئد الاقتراح بعد مقتل غوردون بالخرطوم .

وقد سار بعض مشايخ الازهر في طريق الثورة . وكان في مقدمتهم الشيخ عليش والشيخ حسن العدوى . فقد أفتى الشيخ عليش بأنه لا يصح أن يكون توفيق حاكما للمسلمين بعد أن باع مصر للاجانب باتباع ما يشير به عليه القنصلان . ولذلك وجب عزله . وان مصر تؤيد عرابي . كما أفتى الشيخ حسن العدوى بشرعية عصيان الخديوي . فتال أنه بأمر الله ورسوله لن تطاع أوامر الخديوي . وان الوقت قد حان لنشوب حرب مقدسة . وقد أيده الشيخ عليش أيضا . ويقول

عرايى أنه فى الاجتماع المشهود الذى تم فى وزارة الداخلىة أثر توجيه الانذار الانجليزى والذى حضره ممثلو الامة جميعا أنه تلتى فى هذا الاجتماع فتوى شرعية من المشايخ حسن العدوى ومحمد عيش ومحمد أبو العلا الخلفاوى مؤداها أن الخديوى بانحيازها الى العدو المحارب الى بلاده يعد مارقا عن الدين وبعدم الاعتراف بعزل الخديوى لعرايى • وهذه الفتوى بمثابة خلع توفيق من منصبه • لذلك أصدر عرايى بعدها قرارا حزبيا بعدم طاعة الخديوى أو تنفيذ أوامره « حيث أن الخديوى خرج عن قواعد الشرع الشريف والقانون الحنيف » • وبالتالى تم اعلان الحرب المقدسة ضد الانجليز بناء على فتوى مشايخ الثورة • صمم عرايى على المقاومة وفقا لقانون الله وقانون الانسان اذ يقول « أنه اعتد هو نفسه العزم فى مجلس موقر على مقاومتها ، وأن قانون الانسان وأن كلمة الله لينهيان عن هذه الاعمال الهادمة للشرف ، ولا يمكن أن يكون مثل هذا الرجل مسلما ولا أن يحكم فريقا من المسلمين » • رفض عرايى التسليم قائلا « والله لا نسلم البلاد لاحد وفيها ذو روح يتنفس ، والله يؤيد بنصره من يشاء » • كما صمم عرايى على المقاومة الى آخر رمق من حياته « • اننا اذا متنا جميعا فسوف يدخلون بلدا خربة ، وسيكون لنا مجد الاستشهاد فى سبيل وطننا • وقد وجدت فى أوراق عرايى فتوى موقعا عليها من كبار العلماء مؤداها أن الخديوى بقبول اللائحة (٥) قد انحرف عن الشرع أو صورة سؤال استفتاء من العلماء عن جواز عزل الخديوى • وقد أورد فيها العلماء

---

(٥) سقوط وزارة البارودى ، وابعاد عرايى الى أوروبا وعلى فهمى وعبد العال حملى الى داخل البلاد المصرية • وقد رفضها مجالس النواب •

آية « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولى منكم فإنه منهم » • لذلك لم يآبه عرابى بقرار البصيان الذى استصدره الانجليز من السلطان تائلا « لقد اجمعت الامة كلها على ضرورة وقف توفيق باشا لخروجه على الشرع الحنيف والقانون المنيف ، وطلبت الاستمرار فى أعمال الدفاع عن الوطن بقرار رفع الى جلالة السلطان • أبعد هذا نكون عصاة ؟ أننا كنا ندافع عن وطننا بطريقة تقرها شريعة الله والانسان • وكل من يقول غير هذا كائنا من كان فهو عبد الهوى والمال • وأضيف الى ذلك أن علماء الاسلام والمسلمين فى كل بلاد العالم ييسلمون أنا لم نتعد حدود ما أنزله الله فى كتابه • وهم يستتكرون مانلقى من سوء المعاملة لانه يتنافى مع العدل » • ولقد أرسل عرابى برفقية الى توفيق بعد مذبحة الاسكندرية ينتهى منها بقوله « فلهذه الاسباب يا مولاي تكون حكومتكم الخديوية المصرية محاربة لدولة الانجليز بوجه الحق والشرع ••• والامر لمن له الامر ••• ان الذين يخونون وطنهم لا يكون جزاؤهم العقاب وفق قوانين الحرب فحسب بل سيلعنون فى الآخرة » • ويقول عرابى فى مذكرته الى محاميه برودلى « وكما أن الخديوى توجه الى الاسكندرية بعد خروج الاهالى والعساكر منها تحت الحرس الانجليزى فاما أن يكون أسيرا وأما أن يكون انحاز الى الجيش المحارب لبلاده • وفى كلتا الحالتين لا يجوز ترك البلاد بلا حاكم حسب أحكام الشرع الشريف الاسلامى • اذ أن فى الحالة الاولى وهى الاسر لا يجوز أن يكون أسيرا وحاكما ينظر فى مصالح البلاد كما أنه لا يجوز ترك البلاد فوضى بلا حاكم ينظر فى مصالح أهلها • وفى الحالة الثانية وهى الانحياز فكتاب الله يحكم عليه بخروجه عن جماعة المسلمين وبذلك

لا يصح أن يكون حاكما عليهم « • (٦) ويتول في نهاية المذكرة « ان هذا الشخص لا تجيز له شريعة قومه أن يكون أميراً عليهم أبداً » •

ولم يستسلم عرابى كما يروج المعرضون أنصار الخديوى والانجليز كما لم يضعف مشايخ الثورة ، ويدافع عرابى عن مهمة الاستسلام بقوله « واذا تقطعت جميع الاسباب فكيف أسلم نفسى ؟ ألم تكن أرض الله واسعة فأهاجر فيها ؟ أو لم أكن أتوجه الى لندرة فأحتفى فيها ؟ أن فى ذلك تذكرة لمن يتذكر • فالحق والحق أقول أنى لست بعاص وازما قمت وتامت البلاد أى الامة المصرية فى طلب تحرير بلادها مع غاية الشرف وحفظ الناموس لا لغاية شخصية كما يفترى المبطلون بل أنى مكاف بحفظ البلاد من طرف الحضرة السلطانية حيث تبين عظمة اخلاصى وسوء مقاصد الخديوى ••• ثم أنى صرت قائد الجيش فى المدافعة عن البلاد بوجه الشرع والقانون وأمر الخديوى والمجلس أولا وقرار الامة ثانيا وليس بعد ذلك دليل ولا برهان » •

كما تثبت الشيخ حسن العدوى وقد شارف على الثمانين فى المحاكمة عندما سأله رئيسها اسماعيل أيوب الم يوقع بخاتمة على قرار يقضى بأن سمو الخديوى توفيق باشا يستحق العزل ؟ استعاد الشيخ حمية الشباب وانتكا على المنضدة وبسط يده ونظر فى وجهه وقال « لم

---

(٦) مذكرة عرابى الى محاميه بعنوان « هذا تقريرى عن الحوادث التى حصلت فى مصر » من تاريخ يناير ١٨٨١ لغاية شهر أكتوبر ١٨٨٣ مقدم من طرفى الى وكيلى الشرعى المستر برودلى ليدافع عنى أمام المحكمة المصرية ( مخطوط بمدرسة الدراسات الشرقية والافريقية بلندن برقم ١٤١٣٩٤ ) •

أر الورتمة ولكنك اذا أحضرت الى ورقة تحتوى على مثل هذا المعنى فانى  
أبادر بالتوقيع عليها وختمها بخاتمي فى حضورك الآن • اذا كنتم  
مسلمين تستطيعون أن تنكروا أن توفيق باشا قد خان بلاده وذهب الى  
الانجليز لم يعد يصلح لان يحكمنا » •

وقد راع دوريش باشا مندوب السلطان دور المشايخ فى الثورة ،  
وأظهر دهشته ونفوره مما رأى من تحمس الناس وجرأتهم وبخاصة  
علماء الازهر الذين أظهروا عطفهم الشديد على عرابى ومبادئه • وقد  
ذهب وفد كبير من العلماء الى درويش يحملون مكتوبا موقعا عليه منهم  
ومن عدد عظيم من الناس يطلبون فيه رفض الانذار الاجنبى وبخاصة  
ما جاء فيه عن أبعاد عرابى • واغلظ درويش فى مخاطبة الشيخ الذى  
تكلم باسم العلماء وهو الشيخ محمد خضير • وحسب درويش أنه  
بذلك أخاف العلماء • فقد اجتمع طلاب الازهر فى اليوم التالى  
بسبب ما علموا من اهانة علمائهم ، وتعددت الاجتماعات فى جهات من  
المدينة ، وبدأ الناس يظهرون حنقهم وسخطهم على الوفد التركى  
وبخاصة أن عددا من الاعيان أرسلوا اليه يحتجون على مسلكه نحو  
رجال الدين •

وأثناء المعركة انكب العلماء يقرأون البخارى فى الازهر  
والحسين ، ويدعون بالنصر لعساكر عرابى والهزيمة للانجليز • وكان  
أمام الخديوى الشيخ الصانح العالم الايبارى فى طبيعة المتهبين غير  
وطنية فنشر قصيدة ابراهيم دريد فى غارة التتار على بغداد فى أيام  
الخليفة العباسى المعتصم وهى عبارة عن دعاء وابتهاال ، وقد أضاف  
اليها أبياتا من نظمه • فكان من الناس من يترؤها ويتلوها بعد قراءة  
البخارى • وطالب من محمد عبده نشرهما فى الجريدة الرسمية حتى يطلع



عليها الجيش إذ من المعروف عند الناس أن هذه الحرب حرب المسلمين ضد الكفار (٧) \* وقد القيث الخطب الحماسية والأشعار الوطنية من مشايخ الثورة مثل الشيخ أحمد عبد الغنى من علماء الأزهر ، والشيخ على المليجي ، والشيخ محمود إبراهيم خطيب أسيوط ، والشيخ محمد أبو الفضل خطيب المسجد الحنفى ، والشيخ حميده الدمنهورى ، والشيخ عبد الوهاب أبو عسكر ، والشيخ محمد فتح الله ، والشيخ أحمد سيف البارى \* فمن قصيدة الشيخ أحمد عبد الغنى فى مطلعها \*

لعمرك ليس ذا وقت التصابى  
ولا وقت السماع على الشراب  
ولكن ذا زمان الجـد وافي  
وذا وقت الفتوة والشباب  
ووقت فيه الاستعداد فرض  
لتنفيذ الأوامر من عرابى

وتال الشيخ على المليجي فى خطبة له « قد مرت بنا فى الزمن السالف أيام غير صافية العيش للمسلم وما ذاك الا لعدم الحمية الاسلامية فى حكامه الذين كانوا كالليل المظلم اذ كانوا منهمكين فى ميادين حظهم الدنيوى وعن الدين غافلين \* وقد ظهرت الآن البشائر بعز المسلمين وسطوتهم حيث قد اعتدل حكام الوقت أيدهم الله بالأخذ فى أسباب قوة الدين ورد ما ضاع من شوكتهم باذلين المهمة فى التوصل الى مايبعد الامة عن التشويش ولما يكونون به آمنين اذ قد شرع رئيس

---

(٧) الامام محمد عبده : الكتابات السياسية ، حققها وقدم لها د. محمد عمارة ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ص ٤٦١ .

المجاهدين أحمد عرابى المؤيد بنصر من عند ربه فى الموافقة عن حوزة الامة ورد من كانوا فى تشويشها اول سبب وباع نفسه وجيشه للجهاد فى سبيل الله » • وقال الشيخ محمود ابراهيم فى خطبة له بأسبوط « أما بعد ، فان الانجليز قد طاشت عقولهم وعميت بصائرهم فلم يحسنوا الضروريات • تاموا بسوق أموالنا وديارنا نفيسها ، وساقوا الينا من زيف المعارضات خسيسها ، وقابلوا تحيتنا بخداع ، وفتشوا اكنافنا لغدر اضمروه ليوم النزاع ، ونحن لما جبلنا عليه من محاسن الايمان وفيينا لهم بعقد الذمة والامان فعاملناهم بالحسنى وجبرنا ما كان فيهم ضعفا ووهنا فلما صحت أبدانهم وعمرت أوطانهم فلم يقنعوا بذلك بل طالبوا التصرف فينا تصرف المالك ، فسأك الله أن يكون بعبادة أحمد عرابى باشا هو المشار اليه فى حديث « بيعت الله على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الامة أمر دينها » • فان البشائر دلت عليه ليمزق البغاة كل ممزق ، ويحىى المنذوب والمفروض للدين الموفق ، وتموت البدع التى أسود القطر بظلماتها ، ويختفى بلاء الظالم بأرجائها ، وحاش أن يجعل الله ديار أهل بيت نبيه فى ذمة كافرين ، جعل الله سعادة أحمد عرابى باشا وجنده الظافرين » • وفى خطبة الشيخ محمد أبى الفضل التى القاها فى الجامع الحنفى بالقاهرة « قد تميز المغث من السمين ، واستبان أن الانجليز جاءوا محاربين يريدون — لا أمكتهم الله — سلب الاموال وهتك الحرم ، وقد جاءوا بمكر وخداع يصطادون بشاكرهم الاوطان من غير قتال أو دفاع كما هو ديدنهم القبيح فى كل إقليم • فيئذ لذلك العقلاء والشجعان ، وذبوا عن الاعراض والاطوان » • وفى خطبة الشيخ حميدة الدمنهورى « أعدوا لاعدائكم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ماترهبون به عدو الله وعدوكم ، وكونوا لدين الله من المنتصرين تفوزوا برضى المولى اللطيف الخبير • وقوموا

لمحاربة أعداء الله وأعدائكم الطغاة البغاة ، وقاتلوهم حتى لا تكون  
فتنة ، ويكون الدين كله لله ، فان انتهوا فان الله بهما يعملون بصير •  
الجهاد فرض الآن علينا واجب لدخول الاعداء في بلادنا محاربين •  
فمن أتى بواجب الجهاد أحرز فضله ، ومن تطوع خيرا فهو خير له •  
فالسعيد من سارع الى اغتنام الاجر من الله العلى الكبير » • ومن  
خطبة أخرى للشيخ محمد أبو الفضل ومصرنا هذه قد كادت أن تكون  
دار حرب لا دار سلام ، فقد أهين فيها الوطنى وعظم اللثام حتى  
صاروا رؤساء الدواوين فطغوا وبغوا وحق عليهم المثل السائر : وعلى  
الباغى تدور الدوائر • فحكموا بالبنود والنوانين • فعظم البلاء واشتد  
وزاد الكرب واحتد ، وكان ما علمتم من الحركات ، وكم لله فى الحركات  
من بركات • وقد نظم الشيخ أحمد سيف البارى قصيدة جاء فيها :

إذا ما رؤية رفعت لمجد تلقاها عرابينا يميننا

ونظم الشيخ السيد المرصفى قصيدة أخرى جاء فيها فى مطلعها •

ياصاح قم واشكر الهك واحمد فائدين منصور على يد أحمد

وتال بعضهم معرضا بواسلى وسيمور قائد الحملة الانجليزية على  
الاسكندرية فى بيت السموع •

وأنا لقوم لانرى القتال سبة اذا مارآه واسلى وسيمور (٨)

وقد شارك المفكرون والخطباء علماء الامة وشيوخها وعلى رأس

---

(٨) مذكرات عرابى : كشف الستار عن سر الاسرار ص ٢٠٣ — ٢٠٥ .

هؤلاء خطيب الثورة العرابية السيد عبد الله النديم (٩) . فقد سافر الى الاسكندرية قبل وصول الوفد التركي وخطب الناس خطبة كان لها عظيم الاثر في اذكاء الروح الوطنية واثارة شعور الوطنيين على المذكرة المشتركة والسفن الاجنبية . كان يستهزئ المهتم بأحاديثه وخطبه مستشهدا بالقرآن والحديث وتاريخ المسلمين بين فرق الجيش حيث سافر من كفر الدوار الى التل الكبير لاستقبال عرابي هناك .

وقد شارك الناس مشايخ الثورة وخطباءها وشعراءها . أصبح على لسان كل مصرى نداء « الله ينصرك يا عرابي » والتي أخذها برودلي شعارا للثورة العرابية . وكانوا ينهضون اذا ما مر عرابي أمامهم ووقفوا على جانبي الطريق مرددين هذا الشعر مضيفين اليه عدة ألقاب مثل رئيس الحزب الوطنى ، قائد الجيش الوطنى ، حامى حمى الديار المصرية . الخ . لم تحفل الامة بعزل الخديوى لعرابي بل زادها تمسكا به . وكان الناس والفلاحون والبدو وكان شبان القاهرة يمرحون فى المدينة ليلا يتغنون بمدح عرابي . وفى أى احتجاج ذكرت فيه الحرب كان الناس يدعون الله طالبين النصر لعرابي جامعين التبرعات للاخوة المجاهدين اذا لم تكلف مقاومة الانجليز الخزانة العامة مليما واحدا بل كانت التكاليف كلها من تبرعات الاهالى والامراء الوطنيين . حتى أرملة سعيد أهدت عرابي خيمة زوجها مشفوعة بأصدق أمانيتها أن يؤيده الله بنصره .

وكان النساء والصبية على خط السكة الحديدى يرددون

---

(٩) لم نشأ ذكر اقواله لانه موضوع دراسة خاصة مستقلة عن « الدين والثورة عند عبد الله النديم » .

أغنية أولها : يامولانا ياعزيز ، اهك عساكر الانجليز ثم يهتف أحد الشباب : الله ينصرك فتردد الجموع : ياعرابي •

وحتى اللحظة الاخيرة صمد مشايخ الثورة وقادتها • ويتضح ذلك في سؤال أحمد طلعت مدير المطبوعات في المحاكمات عن نشر جريدة الطائف التي يحررها النديم مقالات في الطعن على الخديوى واجابته بأن ذلك كان تعبيرا عن القلق العام من مسلك الخديوى وانها عبرت عما يقوله الصبية في الشوارع • وفي سؤاله اذا كان يقرر ما في الصحيفة أجاب بأنه قد تقرر في المجلس العام الذي انعقد بوزارة الداخلية والذي شهدته العلماء والقواد والاعيان ان الخديوى خرج على الشرع المقدس • ولما كان أحمد طلعت مصريا فإنه لم يكن في وسعه الخروج على اجماع الناس ومعاقبة جريدة الطائف مخالفا ما في نفسه من اعتقاد واجماع •

ولم يفت في عضد مشايخ الثورة وعلماؤها ما أصابهم من نفى وتشريد • فقد قضى بتجريد عدد من العلماء من رتبهم وشارات شرفهم وامتيازاتهم ومنهم الشيخ حسن العدوى وابنه الشيخ ابراهيم العدوى والشيخ محمد أبو العلا الخلفاوى ، والشيخ أحمد عبد الغنى • ومع ذلك ظلوا على اتصال بعرابي فكانوا يرسلون اليه الكتب في المنفى • ولما انتهت مدة نفى الشيخ محمد خليل الهجرسى وهى خمس سنوات الى الحجاز وعرضت عليه الحكومة العودة الى وطنه رفض حتى يعود عرابى وحتى يموت توفيق أو ينزل من عرشه • وكان اذا سمع عن أحد من رجال الثورة الباتين انحرافا عن مبادئها كتب الى عرابى ليسقطه من حسابه مثل أمين الشمسى الذى كتب فيه الشيخ الهجرسى « أنه أسيف على ضياع بعض أمواله وتغير بعض أحواله بسبب هذه المسألة

ولا أسف له على ألهم الأكبر من ضياع التطر وما حصل بأعظم رجال الدين في هذا الأمر لان أمثاله في خدمة الدنيا فقط • أسأل الله الكريم بجاء هذا النبي العظيم أن يردكم الرد الجميل مع الحظ والنصر والسعد الجزيل « • وظل الشيخ الهجرسي يزور عرابي بعد عودته من المنفى مع شاعر النيل حافظ ابراهيم •

#### ٤ — دين الاعتدال والتراجع :

وشارك في الثورة العرابية أولاً بعض مشايخ الأزهر نظراً لما رأوه في عرابي من اعتدال أولاً وحرص على مصالح الأمة • وكان عرابي في ذلك الوقت في تصورهم ذا منهج اصلاحي مثل رياض باشا ودستوريا مثل شريف باشا حتى لقد اكتسب عرابي ثناء القناصل عليه لاعتداله . ولكن ما أن أصر مجلس النواب على مناقشة الميزانية تثبيتنا لسلطته ولحق الأمة فالنتازل بداية لتنازلات أخرى حتى بدأ مشايخ الاعتدال في التراجع •

وكان أكبر ممثل لدين الاعتدال والتراجع هو الشيخ محمد عبده بعد أن انضم الى الثورة العرابية ثم تراجع عنها • فكان له الاثر في تخفيف لهجة الصحف بعد وزارة شريف وتراجع الوطنيين عن لائحة مجلس النواب (خلاف لائحة ١٨٦٦) وعدم النظر في الميزانية • ونشط في معاونة شريف قائلاً « لقد ظللنا ننتظر حريتنا مئات السنين أفيصعب علينا أن ننتظر بضعة أشهر أخرى » •

وقد أعلن شريف مبدأ حكومته القائم على الاعتراف بحقوق السلطان والامتيازات التي حصلت عليها مصر ، والاعتراف بالخديوى حاكماً دستورياً ، والتسليم بتعادة المراقبة الثنائية ثم انكار كل اتجاه

ثورى ، ومنح الحرية الدينية والسياسية لجميع سكان البلاد ، والسير على قاعدة الحكومة المسئولة أمام مجلس نيابى •

وكان تأييده لوزارة رياض الاصلاحية من قبل نظرا لان رياض لم يكن يخالجه أدنى شك فى سكون المصريين الى الطاعة ! وبالرغم من أن الشيخ محمد عبده كان من تلاميذ السيد جمال الدين الافغانى وكان داعيا للشورى وللحكم الدستورى. الا أنه كان يرى أن مصر لم تنتهيا بعد لذلك • وكان يميل الى حكم رياض ويرأه المستبد العادل الذى ينهض به انشرق • ولم تكن الثورة من رأيه ، وكان قانعا بالحصول على الدستور فى ظروف خمس سنوات • فلم يوافق على عزل رياض • لذلك نقم على عربى فيما بعد ، ونفر من العسكريين • وأن نشر التعليم أولا ليجعل الدستور يقوم على أساس سليم • وفى القصيدة التى نظمها فى السجن عن حادثة عزل رياض يقول الاستاذ الامام •

وانما الفكر يعنى نفس صاحبه  
عن الجيوش اذا صحت مبادئه  
وبينما انا لاه فى محادثتى  
مع المعالى أقول الامر مافيه  
قامت عصابات جند فى مديننا  
لعزل خير رئيس كنت راجيه  
ذاك الذى أنعش الآمال غيرته  
وخلص التطر فارتاحت أهاليه  
قاموا عليه لامر كان سيدهم  
يخفيه فى نفسه والله مبيديه

كان الرئيس حليف العدل منقبة  
وسيد القوم يهوى الجور يأتيه  
جروا مدافعهم ، صفوا عساكرهم  
نادوا بأجمعهم سل ما ترجيه  
فنال ما نال وانقضت جموعهم  
أما النظام فقد دكت مبانیه  
ثعالب الشر هبت من مراقدها  
وأسدت من قوام العدل باقبيه  
تفلت الحـكم من أيـد مدبرة  
وصار فوضى شقيت الناس يجريه  
مانوا أماني تبيكنسى وتضحكنى  
حرية ونظام الشورى عاليه  
حديثهم صخب ، أسرارهم لجب  
لا عتل ، لا فهم أين الفج تبغيه

فلما نشبت الثورة وهزم عرابي كان ما يهم محمد عبده هو براءته  
وبيان خلافه مع زعماء الثورة • فأنكر على عرابي زعامته وقدم فيها  
وبين أنه خائف تنقصه الشجاعة صاحب مطامع شخصية ، درويش  
ملتج • لقد استبعد الامام أن يكون عرابي من طلاب الدستور لذاته  
بل للمحافظة على نفسه بعد حادثة قصر النيل بعد أن كان عرابي  
هو الذي روج لمظاهرة عابدين وأذاع أخبارها في الجريدة الرسمية •  
ويقول عنه « أما عرابي فلم يكن يخطر بباله ولا يهتف به في منامه أن  
يطلب اصلاح حكومة أو تغير رئيسها • فذلك مما كان يكبر على وهمه أن



يتعالى اليه • وانما الذى احاط بفكره وملك جميع مقاصده هو الخلاف على مركزه مع شدة البغضاء لمن كان من أمراء الجراكسة والمنافرة من عثمان باشا ! ويصور الاستاذ الامام عرابى وكأنه مهووس مصاب بعقدة الاضطهاد فيقول « هذه أحاديث عقل ينبو عن فهمها ذهن شخص مثل عرابى تمثلت له جنائته فى صور أغوال فاغرة الافواه محددة الانياب ولزمه خيالها فى يقظته ومنامه • فهو فى فزع دائم يخيل له العزل والموت فى كل شىء يراه • يلتفت يميناً وشمالاً فلا يرى الا سيوفا مسلولة أو حبلاً منصوبة ، ولا يسمع من هواجس نفسه الا صيحة واحدة : الخلاص ، الخلاص ، الهرب ، الهرب ! ولم يتمثل فى مخيلته مهرب أو فى له من طلبة تشكيل لمجلس النواب على الصورة التى قدرها له فى نفسه » • بل أن عرابى فى نظر الشيخ قد استعمل الجند لتحقيق اطماعه الخامسة قائلاً « استحثه الحرص على ادراك المطلب أن يفضى به الى ضباط الجيش وأن يثير فى احلامهم الضعيفة تمثيل الامانى من العزة والسلطان والصعود الى أعلى مراتب المناصب وأن كل ذلك لا ينال الا بمجلس النواب فلكى يأمن عرابى على وظيفته طالس بنفى عدوه ، فانتهى بالبلاد الى الخراب » • يقول الشيخ « ركب به الجبن طريقاً عمياً ، يخبط فيها خبط العشواء ، ويسوقه الرعب ، ويقوده الوهم وضعف الحكومة يمهده ، والرغائب الخرقاء تساعده الى أن أودت به وبالبلاد خطيئته » (١٠) • ويصور محمد عبده فى قصيدته عصيان عرابى وتخاذله قائلاً :

---

(١٠) محمود الخفيف : احمد عرابى المفتري عليه ص ٦٥ .

وبينما الظفر معبود بوحدتهم  
مال الأمير لأمير كان ينويه  
واستدبر الجيش واستدغى لحضرته  
زعيم عسكره ييلو مغازيه  
فقال أتمد فلا حرب ولا حرب  
فليصرف الجيش فوراً لاتبقيه  
غرابه أريب وانهارت عزائمه  
إذا كان جيش العدا بالثغر ماليه  
وخالف الأمير واستعصى بقوته  
وناصب الشر هولى القطر واليه

ومحمد عبده بقصيدته هو المروج لهذه الشائعات عن عرابي  
« الدرويش » التي تلقاها الاستعمار وذاعها من بعده اذ يقول :

وقائد الجند شهم في مكالمه  
اشنل قلبا اذا الهيجا تناديه  
يستطلع الرأى والتدبير في حلم  
من المنامات جيل الله هاديه  
ما كان احسنه شيخا بزاوية  
يغشى النساء بوعظ كان يمليه  
أما البلاد فـواغمني لحالتها  
لم يبق فيها سوى أمر وتنبيه  
وقائد الجند وافانا بلحيته  
يسيل رعبا وثوب العار كاسيه

وسلم السيف واستجدى بغفلته  
عفوا من الحنق المعزوز خديويه  
تخوف الذل فاستدعى مطيته  
ركضا اليه فوافاه موافيه

وبناء على طلب عباس حلمي الثاني كتب الاستاذ الامام مذكراته  
عن عرابي وأهداها الى ملك مصر المعظم عباس حلمي باشا الافخم  
ويقول في مقدمتها « هذا متمام الذاكر لنعمتك ، العارف بقدر منتك ،  
العاجز عن الايفاء بحق شكرك ، التالي في سره وجهره الآيات حمدك ،  
طوقنتي احسانا لم أتأمله اذ أمرتني أمرا ما كنت أتخيله ، أمرت  
أن أكتب ما شهدت وما سمعت وما علمت وما اعتقدت في الجوادث  
العراقية من عهد نشأتها الى عهد نهايتها \* \* » وقد كتبت هذه المقدمة أيام  
كانت صلة الامام بالخديوي طيبة في أول الامر . فلما دب بينهما الخلاف  
أمسك عن اتمام تاريخ الثورة العراقية \* وفي الاجزاء التي كتبها كان  
مرتفقا بتوفيق يتلمس له المعاذير \* وبعد المنفى جمع بلنت بين عرابي  
ومحمد عبده بحديقة الشيخ عبيد وشهد اللقاء على فهمي \* تعانق  
الزعيم والشيخ ولكن عرابي أغلظ للامام حين تشقق الحديث الى الثورة  
وحوادثها ولامه على مصانعة الخديوي في بعض ما كتب \*

وقد شارك على مبارك محمد عبده في دين الاعتدال والتراجع  
فقد كان على مبارك أحد أعضاء الوفد الذي أرسلته الجمعية العمومية  
الى الاسكندرية عتب اجتماعها الاول \* ولكن الخديوي عساد وأرسله  
ويقترح معه تأليف لجنة صلح خديعة منه لعرابي \* وكان جزاؤه اسناد  
وزارة الأشغال اليه بعد اقاله وزارة راغب اثناء الحرب \* أما

الآخرون مثل الشيخ الامبابة والشيوخ درويش التركى وسلطان باشا وربما اديب اسحق ( على ماذكر عرابى فى مذكراته ) فانهم كانوا بين دين الاعتدال والتراجع ودين الخيانة والاستسلام والعجيب أن يدين محمد عبده سلطان باشا وهو المشارك معه فى نفس الدين ، دين الاعتدال والتراجع ويذكر آية « يوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا • يا وليتى ليتنى لم آتخذ فلانا خليلا • لقد أضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى وكان الشيطان للانسان خذولا • »

#### • — دين الخيانة والاستسلام :

وكان يمثل هذا الدين بعض مشايخ الازهر مثل الشيخ العباسى والشيخ الامبابة والشيخ الابيارى وبعض علمائه مثل الشيخ حمزة فتح الله ، وبلغ الذروة فى الفتوى التى استصدرها الانجليز من السلطان بعصيان عرابى •

كان من مطالب الجند فى مظاهرة عابدين عزل الشيخ العباسى فتم عزله ولكن بعد هزيمة عرابى إعادة توفيق شيخا للجامع الازهر بغداد اقالة الشيخ الامبابة علاوة على منصب الافتاء . مع أن الشيخ الامبابة بعد أن أرسل برقية الى بلنت ينبئه فيها بوحدة الامة عاد وتبرأ منها وأذكرها • لذلك استثنى درويش باشا رسول السلطان من غضبته على مشايخ الثورة الشيخ الامبابة شيخ الجامع الازهر والشيخ العباسى والشيخ البحرأوى والشيخ السادات الذين آثروا الانحياز للخديوى • وقد تمارض الشيخ الامبابة شيخ الاسلام كيلا يخرج فى حضور درويش بين الخديوى والحزب الوطنى • وقد البسه درويش الحلبة العثمانية له ولبعض العلماء الذين لم يقفوا بجانب عرابى جزاء لهم •

وقد بلغ ذروة دين الخيانة والاستسلام عندما طلب الانجليز من السلطان اصدار فتوى لعصيان عرابى فيذهب بذلك ما جاءه من مكانة فى نفوس الناس من ناحية أنه المدافع عن حقوق أمير المؤمنين • وقد ظفر الانجليز بالفتوى المكونة من ثمانى نسطاط ، وتنص الثامنة فيها على ، « أن معاملة عرابى باشا وحركاته وأطواره مع حضرة السادات الاشراف هى مخالفة للشريعة الاسلامية الغراء ومضادة لها بالكلية » (١١) وفيها أيضا « وان تصرف الدولة العلية السلطانية بالنظر الى عرابى باشا ورفاقه واعوانه يكون بصفة أنهم عصاة ، ويتعين على سكان الاقطار المصرية حالة كونهم رعية مولانا وسيدنا الخليفة الاعظم أن يطيعوا أوامر الخديوى المعظم الذى هو فى مصر وكيل الخليفة ، وكل من خالف هذه الاوامر يعرض نفسه لستولية عظيمة • وأرسات منها مئات الالوف من النسخ الى الهند والافغان والحجاز والعراق والترك ومصر والمغرب الاقصى وجميع بلاد الاسلام بواسطة أبو سلطان باشا • وقد أحدثت هذه الفتوى بالعصيان فعلها فى التواد والجنود على السواء • فتذمر بعض أمراء العسكرية وقالوا بأنهم اذن عصاة على السلطان مخالفين لكتاب الله وسنة رسوله كما فعل محمد على باشا رأس العائلة الخديوية وابنه ابراهيم ، ومن مات منهم مات عاصيا لا اجر لسه مثل الذين ماتوا من المصريين فى الدولة العلية • فنصحهم عرابى بأن هذا المنشور مخالف لاحكام الدين الاسلامى لانهم يقاتلون أعداء المسلمين الذين يريدون الاستيلاء على البلاد الاسلامية وأن الجهاد فى سبيل حماية الدين والمال والوطن فرض واجب عليهم وأن سلطان المسلمين لا يسمح بمثل هذا المنشور وانما هو دسياسة انجليزى تمكثوا من انفاذاها بواسطة

الرشوة • ولو فرض صدور مثل ذلك من سلطان المساميين لوجب على المسلمين خلعه لمخالفته أحكام الدين • الا أن تلك النصائح لم تؤثر في الذين يجهلون أحكام الدين ، ولكنهم أظهروا قبول ما أوضحه عرابي لهم وأسروا العذر والخيانة والحساب على الله (١٢) • وقد أثرت هذه الفتوى في نفوس الجند الذين كانوا يعتقدون أن جهادهم كان وطنياً دينياً في وقت واحد • فهم جند مصر وجند السلطان خليفة المسلمين الذي يعتدى الانكليز الكفرة على حقوقه • وبمجرد صدور الفتوى أبرق عرابي الى السلطان ليعبر عن ولاءه له وللخلافة وأنه وقد حمل حملاً على الحرب يمتلك كل ما يلزم لقهراً أعدائه وذلك بفضل المساعدة المقدسة وما تفيض به مصر من خير وأنه لا يصدق ما يؤكد أعداء وطنه ودينه من أنه سيجد فرقا عثمانية في طريقة فان ذلك سيضعبه أمام الضرورة القاسية التي تجلعه يعامل أخوانه في الدين معاملة الأعداء • والحقيقة أن السلطان كان راغبا عن هذا القرار لما يكون له من أسوأ الاثر في العالم الاسلامي ولأنه كان على يقين من أن عرابي إنما يدافع عن حقوقه في مصر • وأراد السلطان أن يظهر شيئاً من الغضب فمنع ارسال عدد من البغال كانت انجلترا قد اشترتها لحملتها في مصر • ولكن بعد اجتماع دوفرين به تراجع السلطان • ثم حاول السلطان عمل قرار آخر يقوم على النصح لعرابي ومناشدته ولاءه مناشدة أخوية فغضب دوفرين ، وحذر القرار ، وتنصت انجلترا من مؤتمر الآستانة بحجة أن القرار لم يكن في الصيغة المطلوبة • كما أصدر الخديوي بيانا للامة يبين فيها أن نية الامة الانكليزية ظاهراً وباطناً هو الاصلاح

---

(١٢) محمود الخفيف : احمد عرابي ، الزعيم المفتري عليه

وأنه لا غاية لها في الاستيلاء على البلاد ولا على الفتك بأهلها لعداوة دينية ولا غير ذلك مما يزيّف العصاة — حسب قول الخديوى — تنفيرا منهم العامة وتبغيضا لهم في الامة الانكليزية على حسن مقاصدها ! ولا يزال « العاصون » على حالهم من المقاومة وتجسيم الحال الى زيادة الخراب حتى اعتبرتهم السلطة السنية عصاة مخالفين للاحكام الشرعية . فمن أطاعه استوجب رضا الله ورضاه . ومن أبى وخالف وركب رأسه فقد عرض نفسه الى التهلكة التى نهى الله عنها وتحقق الخديوى أنه من العصية الباغية ، أمرهم كأمرهم ! .

وقد آثر مهندس الثورة العرابية وبانى استحكاماتها محمود فهمى الوقوع فى الاسر لشدة ما هاله من منشور السلطان بعصيان عرابى . وفى ليلة الثلث الكبير ، كان عرابى يؤدى صلاة الفجر عندما سمع صوت المدافع . وفى المعركة لم يكن هناك الا الاهالى المتطوعون مع الشيخ محمد عبد الجواد وأخيه الشيخ أحمد عبد الجواد . ولما امتنع الجند عن القتال بعد ما قرأوا منشور « الجوائب » بالعصيان ذكرهم عرابى بحماية الدين والعرض والشرف والوطن . ولكن ذلك لم يجذ نفعا بل تفرقوا فرارا . ومهما أراد منعهم من الفرار وحرصهم على الثبات والصبر على قتال العدو وذكرهم بالشرف الاسلامى والعرض والوطن فانهم كانوا يلقون بأنفسهم فى التركة !

ودخل توفيق العاصمة مع الانجليز ومعه سلطان باشا ورياض باشا وكبار المصريين من العلماء ورجال الدولة والاعيان . وتقديم الشيخ عبد الهادى نجا الابيارى من يدى الخديوى ودعا له بالتأييد والبصر مع ترديد الحاضرين لدعائه . وأعطى السلطان النياشين للمخينة التى كان مقررا أن تعطى لعرابى . وأول من حظى بالمثل

محمد سلطان باشا رئيس الحزب الوطنى السابق والذى كتب يوما بأبى المصريين فأصبح من أعوان الخديوى والانجليز وأخذه جزاءه عملات ذهبية مزيفة محشوة بالرصاص . لقد كان سلطان من قبل يدعو الى الروية أى عدم اسقاط الوزارة مثل محمد عبده بعد استحكام الازمة بين وزارة البارودى والخديوى أثر نزع رتبة عثمان رفقى ودعوة المجلس دون اذن من الخديوى . ولكن يبدو أن دين الاعتدال والتراجع قد تحول الى دين الخيانة والاستسلام عند البعض كما تحول من قبل الى دين الثورة والمقاومة أثر تقدم انجلترا وفرنسا بمذكرة تتعهد بالسلطان والخديوى ضد الحركة الوطنية مما جعل المعتدلين من الوطنيين ينضمون الى العسكريين .

ولكن الشيخ حمزة فتح الله هو الذى انبرى لتوثيق دين الخيانة والاستسلام مستشهدا بالقرآن والسنة ! فيقول عرابى « من الاتوال الماثورة ما روى عن النبى ( ص ) أنه قال : لا تعلموا أولاد السفلة العلم » وهو قول حكيم ، لانهم يتخذون العلم ذريعة لتضليل العامة وآلة لتلبيس على الناس . ينصرون الباطل على الحق ابتغاء حطام يسير أو ابتسامة أمير ، أضلهم الله على علم فهم لا يهتدون » . وهو مقال الشيخ حمزة فتح الله الذى كان حائكا ثم تعلم ثم ترك العلم وانقطع لفن الصحافة وأنشأ جريدة البرهان . وقد ذهب مع الخديوى الى الاسكندرية وتحيز للانجليز ، وكتب مقالة مفتراة فى جريدة « الاعتدال » متضمنة الاكاذيب والمفتريات قال فيها « ربنا لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا . عباد الله لستم تجهلون أننى طالما ناديت فى جريدة البرهان بأن لا سبيل لنجاح الأمة الاسلامية سوى أتمام الدين المبنى على مكارم الاخلاق . والذى من مقتضياته حسن المعاملة ، والرفق



بالذميين والمستأمنين والمعاهدين والمصلحين ، وهم الاقسام الاربعة  
التي أن جميع الاجانب في البلاد الإسلامية لم تخرج عنها ومن  
مقتضياته أيضا ما يستطاع من القوة ومن رباط الخيل ، وأنه لا ريب  
في أنه يدخل في القوة المدافع وغيرها من أنواع العدد الحربية  
انجديزة المناسبة لكل زمان ومكان ، وكذا جمع ما يتصور العقل أن فيه  
نكاية للخصم . غير أنه لسوء الحظ كانت تلك الآية الكريمة الآمرة باعداد  
ما ذكر انما نزلت على خصوص الاجانب فعملوا بها دوننا ، ورفضناها .  
نحن كغيرها من شعائر ديننا وحدود ربنا تبارك وتعالى حتى بلغ من  
تضلع البغاة الجهال من الفنون الحربية ، وخبرتهم بطرق النكاية للعدو  
أن يقابلوا الآلات الانجليزية الحديثة العهد المصنوعة منذ أشهر  
وأسابيع بالآلات عتيقة مضى عليها من الاجيال ما أكلها به الصدا .  
فأواه ثم أواه . . . ( ويعلق عرابي « ولكن هو الجهل حتى ينبح الكلب  
مولاه » ) فلو أننا فرضنا المستحيل من كون هذه الحرب دينية والحالة  
هذه وانما بأمر الخليفة الاعظم أو نائبه الخديوى الاكرم توجب شرعا  
مخالفة أمرها بها لانها حينئذ عبارة عن المخاطرة بالبلاد والعباد .  
( ويعلق عرابي : يريد الشيخ تسليم البلاد للعدو بلا قتال ) ويستمر  
الشيخ « وقد نهانا الله تعالى أن نلتى بأيدينا الى التهلكة . وكيف وهذه  
الحرب كما قدمنا شيطانية ناشئة عن حب الذات والمصلحة الشخصية ،  
وعن الجنون الذي أتى به الآن عرابي تخلصا من سوء العاقبة .  
وان كانت أفعاله كلها جنونا محضا من البداية للنهاية . على أن الحروب  
الدينية المرضية في الحقيقة لله ورسوله لا تحتم نصر أربابها اذ  
لا يجب على الله تعالى شيء وتلك سنته عز وجل في المرسلين والانبياء  
أن تكون الحرب بينهم وبين أعدائهم سجالا أى تارة لهم وتارة عليهم وان  
كانت العاقبة لهم بلا ريب . وذلك لتقتدى الامم بأعمالهم فيبينون  
المسببات على الاسباب لان للشرائع السماوية خصوصا الشريعة

المحمدية المطهرة تشوقنا زائداً لذلك أى لابتناء المسببات على أسبابها حرصاً على الأمة أن تغلق باب الأسباب فيختل نظام هذا الوجود ويبطل العمران وأن كان الكل بيد الله وهو خلقكم وما تعملون • فأما الآن قد سد باب الخوارق والمعجزات إذ قد ختمت النبوة بمحمد عليه الصلاة والسلام ، وأما الكرامة فلم ينصر بها الحسين عليه السلام ولا غيره من البضعة المقدسة مع الأجماع على كونهم على الحق • ولعل عرابي يزعم أنه أكرم على الله من الحسين وجزبه ! ويا عجبا لهذا الجاهل كيف خاطر بدماء المسلمين وأعراضهم وبلادهم ( ويعلق عرابي : جهل الشيخ أن الحرب شرعية واجبة أقر بها مجلس عال تحت رئاسته الخديوي توفيق باشا ودرويش باشا المندوب السلطاني فلا لوم على الجاهلين ) استنادا على خرافات المنام واضغات الاهلام • فاستمال بذلك عقول الجهال ، وفتح باب الحرب مع الاجانب بعد شدة نهى الخليفة الاعظم ونائبه الخديوي الاكبر عنها ، ومع أنه ليس لدينه من القوة سوى ما ينشره من الاكاذيب • أنك يا عرابي لما وقعت في يدك ويد جهالك الآلات الحربية وصرتم نفس القوة التي من شأنها أن تكون عوناً للحكام على تثبيت النظام وردع الاشرار وليس للحكومة اذ ذاك قوة أخرى تكسر بها شوكتكم امتلات نفسك الخبيثة بالشروز ، فطمعت في المستحيل وما ليس اليك سبيل ، واستعملت أنت وجزبك للحصول على ذلك الوسائل ولكنهم صاروا بعناية التوفيق كلما أوقدوا نارا لهذه الحرب أطفأها الله ( ويعلق عرابي : اشرك الشيخ الضال وحرف الآية الكريمة لغير معناها ) • باع دنياه وآخرته بثمن بخس • لا رعى الله الغنى من سبيل الخيانة والتزلف ، وحبذا الفقر مع الامانة والقناعة ، حتى اذا أغلت في وجوههم المطالب عمدوا الى وسيلة أخرى الا وهي اتهام الجراكسة الكرام ظلما وعدوانا بالمؤامرة على

الفتك بعرابي فصار هو الخصم والحكم واکراههم بانواع العذاب على الاقرار بما نسب اليهم وبأن لهم فيه شركاءهم فلان وفلان لجملة من الاعيان والعائلة الکريمة الخديوية • بحيث أن سير الجهادية في تحقيق هذه القضية كان يشبه سير الوحوش في البرية لان تلك المؤامرة لو ثبتت على الجراکسة ولم تكن بقصد الفتك بعرابي بل كانت بقصد الفتك بامبراطور مثلا بالنسبة للامور الدنيوية أو نبي مرسل بالنسبة للامور الدينية لكان تحقيقها أخف من ذلك التحقيق ، وأراك يا عرابي لو أصبت يوم ضرب الاسكندرية زورقا للانجليز فضلا عن سفينة مما زعمته أحزابك لكبرت نفسك عن دعوى النبوة فكنت تدعى الالوهية ولا تعدم من يؤمن بك من الجهال ! نعم أنك قد اكتسبت الشهرة الفاسدة بأعمالك غير أن لك في ذلك أمثالا كثيرين منهم ابليس اللعين وعافر الناقبة الذي هو أشقى الاولين وابن ملجم أشقى الآخرين • فان كان في شهرة هؤلاء شرف لهم فأنت أيضا كذلك (١٣) •

وكذلك تميز للشيخ حمزة شاعر المتحيزين الى الاعداء وصنيعة المستبدين مصطفى باشا صبحى البوشناقى • قال في مطلع تصيدته التى سماها « صدق المقال في مثالب البغاة الجهال » :

تبين عقبى غيه كل معتدى

وامسى العرابي وهو بالذل مرتدى

وكذلك فعل اثنان من مرتزقة الادباء : أديب اسحق اللبنيانى

طمعا في الاستجداء وهو تلميذ الافغانى النجيب المدافع عن الوطنية  
والحرية والدستور • وقدرى بك الشامى الذى كان مع درويش باثا  
حتى لا يرجع الى بلاده خاوى الوفاض • وكذلك بشارة تقلا صاحب  
جريدة الاهرام الذى ظنه عرابى معه قبل الثورة فاذا به يزوره فى سجنه  
شامتا ويقول : « أى عرابى ماذا صنعت ؟ وماذا حل بك ؟ » • ونم يرد  
عليه عرابى لانه ذو وجهين • وكذلك شاعر الامراء أحمد شوقى بقوله

صغار فى الذهاب وفى الآياب      أهذا كل شأنك يا عرابى ؟

ويرى عرابى أن الشعراء يتبعهم المغاؤون • فتد كان بعض الشعراء  
وعلى رأسهم الشيخ على الليثى يؤيدون النهضة المصرية ويتزعمون بها  
ويحثون الناس على نصرتها والتمسك بمساعدة الجيش المصرى • وقد  
جاء الشيخ على الليثى الى خط النار فى كفر الدوار وقام فى طائفة من  
العلماء ومشايخ الطرق يدعو الله بالنصر لعرابى وهم يؤمنون عليه  
ويقول فى دعائه : اللهم أشدد وطأتك عليهم وأنزل بهم بأسك الذى  
لا ترده عن القوم المجرمين • اللهم أنا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من  
كل شئ قدير • ثم جاء الشيخ بعد هزيمة الجيش المصرى ودخول  
الانجليز مصر يعتذر للخديوى عن نفسه وأمثاله بقصيدة قال فيها  
ستين بيتا وكلها مدح وتملق للخديوى توفيق منها :

من رآه يقول توفيق مصر

أبصر الناس بالاور وأعدل

مالنا كلنا سوى القل منا

قد ساكنا سبيل غاو مضلل

ياترى من يقوم عنا بعذر  
إذا أطعنا الغواية في كل محفل  
يا عظيم الجناب ، يا خير ملك  
سعدته قد أباد من تقول :

وقد نسج على منواله الشيخ عبد الرحمن الابياري قاضى  
الاسكندرية والشيخ محمد بسيونى يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم  
حبا فى الحياة وخوفا من بطش الغالبين \* وعبد الله باشا فكرى الذى  
فكر فى قتل الخديوى مرة تقدم بتصيدة يتصل فيها من كل ما نسب  
اليه ويطأ رضاه منها :

مليكى ومولاي العزيز وسيدي  
ومن ارتجى آلاء معروفة العمرا  
لئن كان أقوام على تقولوا  
بأمر فقد جاعوا بقولهم نكرا  
حلفت بما بين الحطيم وزمزم  
وبالباب والميزاب والكعبة الغرا  
ولكن محتوم المقادير قد جرى  
بما الله فى أم الكتاب له أجرى (١٤)

فعفا عنه الخديوى وأرجع اليه معاشه وأطيانه \* ولذلك كانت من

ضمن الاصلاحات التي اقترحت على عرابي ( وقد كان ذلك لسوء المحظ من اللورد دوفرين ) انتخاب مشايخ البلاد بمعرفة الاهالى من الذين اشتهروا بالعفاف وحسن المعاملة حيث أن كثيرا من المشايخ الموجودين طبعوا على سلب أموال الاهالى ليدلوا بها الى الحكام في سبيل ترقيتهم واعتبارهم \*

### ثالثا : الثورة نهاية الدين وغايته :

كما أن الدين هو بداية الثورة ومنطلقها فان الثورة أيضا هي نهاية الدين وغايته \* فالدين يشعل الثورة ، والثورة تكون الصورة الجديدة للدين \* الدين هو المنبع والثورة هي المصب \* فالدين هو البداية والثورة هي النهاية \*

وتكون العلاقة بين الدين والثورة أيضا علاقة منهجية \* فبينما يكون الدين مستتبطا من النصوص الدينية من أعلى الى أدنى تكون الثورة مستقررة من الواقع من أدنى الى أعلى \* وفي هذه الحالة يكون الدين هو الغرض العلمى الذى تحققه الثورة وتجد صدقه فى الواقع \* ويخضع المنهج الاستنباطى الأولى لانتقاء النصوص طبقا للمصلحة الشخصية للمفسر أو يؤول النصوص المعارضة له \* بينما يخضع المنهج الثانى لوضع المفسر واختياره احدى قوى الصراع دون الاخرى \*

وتد ظهرت الثورة عند عرابي فى الوطنية ومقاومة الاجنبى الذخيل أو المحتل وفى الحرية والدستور والشورى والمجالس النيابية باسم الامة فلاحيا وجيشها وأعيانها ووجهائها \* ولولا هذا الاختيار الوطنى لما أمكن للدين أن يتحول الى ثورة أو أن تكون الثورة المصب النهائى للدين \*

## ١ - الوطنية :

كان أهم ما يميز الثورة العربية أنها ثورة وطنية وأن رجالها هم رجال الحزب الوطنى وأن عرابى قد أخذ لقب زعيم الحزب الوطنى • وقد لاحظت ذلك بقوله أنه لم يلاحظ في حديث عرابى كما هو الحال عند مدحت باشا حديثا عن السكك الحديدية والترام والعمران بل حديثا عن النهضة القومية • وقد كانت الوطنية هي سبب حسن العلاقة بين عرابى وسعيد • فقد كان كلاهما يحب المصريين • وتذكرت خطبة سعيد في أحد المحافل في رأى عرابى أول حجارة في الحزب الوطنى وشعاره « مصر للمصريين » • وقد قال سعيد في هذه الخطبة ما يذكره عرابى على النحو الآتى « أيها الاخوان ، انى نظرت في أحوال هذا الشعب المصرى من حيث التاريخ فوجدته مستعبدا لغيره من أمم الارض • فقد توالى عليه دول ظالمة كثيرة كالعرب الرعاة ( الهكسوس ) والاشوريين والفرس حتى أهل ليبيا والسودان واليونان والرومان ، هذا قبل الإسلام • بعده تغلب على هذه البلاد كثير من الدول المقاتحة كالامويين والعباسيين والفاطميين من العرب ومن الترك والاكراد والشركس • وكثيرا ما أغارت فرنسا عليها حتى احتلتها في أوائل هذا القرن في زمن بوناپرت • وحيث أنى أعتبر نفسى مصريا فوجب على أن أربى أبناء هذا الشعب وأهذبه تهذيبا حتى أجعله صالحا لان يخدم بلاده خدمة صحيحة نافعة ويستغنى بنفسه عن الاجانب • وقد وطدت نفسى على إبراز هذا الرأى من الفكر الى العمل » (١٦) • عمل عرابى مع الحركة الوطنية التى كان محورها منزل السيد البكرى نقيب الاشراف • وقد كان رجالها من الناقمين على رياض ، يجتمعون في أواخر عهد اسماعيل ثم اجتمعوا سرا بعد ذلك في حلوان هربا

من العيون • وتآلف منهم حزب سمي جمعية خلوان ثم صار يعرف بالحزب الوطني • وكان من أبرز رجاله محمد سلطان الذي خان وسليمان أباطة مدير الشرقية وحسن الشريعي مدير المنيا ، ومحمد شريف واسماعيل راغب وعمر لطفى ( الذي دبر حريق الاسكندرية بالتعاون مع الخديوي ) • وقد نشروا في أواخر ١٨٧٩ أول بيان سياسي طبعوا منه آلاف النسخ ووزعوه على الناس • وقد أوفد الحزب أديب اسحق الى أوروبا ليدافع عن مبادئ الوطنيين • فأنشأ في باريس جريدة القاهرة بعد أن عطل له رياض مصر والتجارة ، مدافعا عن الدستور كقاعدة للحكم والمبادئ الحرة وعملا على منع الاجانب من التدخل في شئون البلاد سياسيا وماليا • أصبح عرابي محور هذه الحركة ، وكانت تهتف له في ميدان محطة مصر وهو في طريقه الى رأس الوادي بعد مظاهرة عابدين • وخطب عرابي فيهم قائلا « أنا أخوكم في الوطنية ، وهأنذا واقف بين الاهل والخلان وقد بلغكم ما طلبناه من قطع عرق الاستبداد وتحرير البلاد وأهلها » • وكان السيد حسن موسى العقاد قد نفى من تبلي الى السودان لانتقاده قانون المتاملة • وكذلك تم تجريد الفريق شاهين باشا الوزير السابق من رتبته وألقابه لاتهامه بالاتصال بالوطنيين ، ونفى أحمد فتحي الى السودان للجريرة التي كتبها بالمطالب الوطنية • بدأ رجال الحزب الوطني يخطبون ود عرابي ، وبدت الامة كلها ملتفة حوله • وقد بعث بلنت الى بطرس باشا وأبي يوسف ومحمود الفلكي والشيخ محمد عبده والشيخ المهجسي وعبد الله النديم رسالة يقول فيها « هل الحزب الوطني في جانب عرابي الآن ؟ الحكومة الانجليزية تدعى ذلك • اذا اختلفتم ضمننكم أوربا » • وقد تلقى بلنت برقية من الشيخ الامبابي شيخ الجامع الازهر ، شيخ



الاسلام بأن الخلاف قد سوى بين الوزارة والخديوى وأن الحزب  
الوطني راض عن عرابي ، وأن الامة والجيش متحدان •

وقد لخص عرابي المطالب الوطنية في العريضة التي كتبها مع  
الضباط ( بعد عزل عثمان رفقى ناظر الجهادية الشركسى أحمد عبد الغفار  
وعبد العال حلمى ووضع شركسين مكانهما • • شاكر طمازة وخورشيد  
نعمان ) وتقديهما الى رياض باشا شاكين تعصب عثمان رفقى لجنسه  
واجحافه بحقوق الوطنيين • فقد ظن الشركسية انهم يملكون مصر ،  
كما ملكها المالك من قبل • وفي هذه العريضة يطلب عرابي أربعة مطالب :

١ — عزل ناظر الجهادية وتعيين غيره من أبناء الوطن عملا  
بالقوانين •

٢ — تشكيل مجلس نواب من نبيهاء الامة تنفيذا للامر الخديوى  
الصادر عقب ارتثائه مسند الخديوية •

٣ — ابلاغ الجيش العامل ١٨٠٠٠٠ تطبيقا للفرمان السلطانى

٤ — تعديل القوانين العسكرية بحيث تكون كافلة للعمل والمساواة  
بين جميع الموظفين بصرف النظر عن اختلاف الاجناس والمذاهب •

وهى نفس الاصلاحات التى ظل يطالب بها عرابي حتى قبل المنفى  
والتي حدث فيها بلنت وهى :

١ — ضرورة وجود مجلس نواب تام السلطة على أساس الانتخاب  
كما هو الحال فى الامم المتعدنة مسئولة أمام الوزراء ، وينعقد لمدة  
محدودة لا تنقص عن خمس سنوات •

- ٢ — ضرورة المساواة بين المصريين في المعاملة ولا الضرائب •
- ٣ — الغاء السخرة بحيث يؤجر الناس على ما يؤدون من أعمال لان حياة الفقير توقف على عمله اليومي •
- ٤ — الغاء الربا في القرى •
- ٥ — وضع تانون عادل يطبق في المحاكم ولا يعندى عليه أحد •
- ٦ — أن تكون الوظائف في الدولة للوظنيين جميعا على أساس الاهلية والاستعداد •

ويختتم عرابى حديثه مع بلنت انه اذا وافقت انجلترا على هذه المطالب فانه لا يبالي بالنفى أو بأى شىء آخر يخبؤه له التدر •

وقد كانت الحركة الوطنية المصرية بقيادة الحزب الوطنى وعلى رأسه عرابى موجهة ضد أعداد الامة المصرية الخديوى والانجليز وأوربا والاستعمار بوجه عام • فقد انحاز الخديوى الى الانجليز • وعندما سألته أحد الميرالات عن مصير الاسكندرية لو ضربها الانجليز فهز كتفه وقال ستين سنة ! ولما قال الضابط ان السكان سيحرقونها وطالبه بالتوسط لدى الاميرال ومخاطبة محافظ المدينة قال الخديوى : « فلتحرق المدينة جميعها ، ولا يبقى فيها طوبة على طوبة ، حرب بحرب ، كل ذلك يقع على رأس عرابى وعلى رؤوس أولاد الكلب الفلاحين ، وسيذوق الاوربيون الملاعين عاقبة هروبهم مثل الارانب فى مواجهة الوطنيين » • ولقد دافع الخديوى عن الانجليز ، وأصدر بيانه مؤيدا فتوى السلطان بعصيان عرابى مبينا أن غرض الانجليز ليس

الاستيلاء على البلاد والفتك بأهلها لعداوة دينية كما يذيعه العصاة  
تنفيرا منهم للعامة وتبغيضا لهم للامة الانجليزية على حسن مئاصدها .

وكانت أوروبا كلها وفي مقدمتها إنجلترا ضد الحركة الوطنية .  
فقد اعتبرت إنجلترا واقعة النتل الكبير انتصارا لاوروبا . فلو أن  
الجيش الانجليزي هزم فيها لكان ذلك كارثة على جميع الدول التي  
يتلقاها التعصب الاسلامي كما قال جرانفيل . لقد كانت صحف  
أوروبا تسخر من ثورة مصر . وقد أصيبت الحركة الوطنية بخيبة أمل  
كبيرة في أوروبا التي طالما كانت نموذجا للجريئة والثوري والمتقدم . كيف  
يكون ذلك كله مضمونا داخل أوروبا ويكون مرفوضا خارجها تتنكر له  
أوروبا عندما تحاول غيرها من الشعوب الملحق بها . وكما يقول  
بيرون « لا تثق في طلب الحرية بالفرنجة » . وتعتبر مذكرة عرابي  
الى محاميه عن خيبة الامل هذه أصدق تعبير . فقد كان حلم مصر  
الاعتماد على حكومة الانجليز وهي أمة عظيمة مشهورة بالعدل ومحبة  
الانسانية ومحرة الرقاب من الاستعباد . فكانت مصر سيئة البخت ،  
ولطالما دافعت عنها اطماع الطامعين . كانت مصر تعتقد اعتقادا  
جازما بأنه لا يأخذ بيدها وينشلها من نير الاستبداد والاستعباد ويوصلها  
الى بحبوحة الحرية الا حكومة الانجليز . ويقول عرابي في مكان  
آخر « الحرب العوان ، وما أدراك ما الحرب العوان ؟ هي حرب  
الانجليز الامة التي فيها نصراء الانسانية ، الامة المحامية عن  
المظلومين ، الامة المحرة لرقاب العباد المستعبدين ، الامة المحافظة على  
اتباع الحق والقوانين . مع من ؟ مع مصر ! البلاد التي لا ينكر أحد  
ما فيه أهلها من الاستعباد ، وما تجرعه من غصص الاستبداد ، البلاد  
التي طالما سفكت دماء أهلها بغير وجه شرعي ، وبغت وتفنتت في

أنواع المظالم ، البلاد التي لا يعتبر حكامها شرعا ولا قانونا ، البلاد التي عبدت حكامها من دون رب العالمين ، البلاد التي كانت تظن أن لا منقذ لها من جب المظالمين ، ولا موصولها الى فضاء الانسانية الا دولة انجلترا الشفوقة على النوع الانساني فخاب أهلها ، وبعد أن قربت أبنائها من فم ذلك الجب ، وظنوا أنهم ناجون اذ جاءهم الحرث الانجليزي فأوتم القبض على من خرج من الجب والقاه في قراره لتنهسه الافاعي خلافا لما هو معهود في رجال الانجليز من الشفقة والرافة على النوع الانساني » • كما استسلم عرابي في النهاية بعد المداولة وانتيقن بأن دولة الانجليز لا تريد الاستيلاء على مصر ! وبالتالي فلا لزوم للدفاع اعتمادا على أن دولة انجلترا موصوفة بحب الانسانية والاعتدال في كل أمر ، وأنها متى تحققت الامر ووقفت على أفكار أهل البلاد لا شك أنها تسعى فيما يوجب تحريرهم وراحتهم وحفظهم ، اعتمادا على شرف دولة الانجليز ، وحرصا على حفظ البلاد من الدمار • ويقول عرابي في نهاية مذكرته لمحامييه « سلمنا سيوفنا الى ذمة انجلترا وشرفها • فصوت أولادنا وصوت الانسانية يطالبون انجلترا وكل انجليزي بحقوقنا ••• ولكن حرصا على البلاد ، وحققنا للدماء ، واعتمادا على شرف انجلترا وأنها لا تريد الاستيلاء على البلاد المصرية قد أبطلنا المدافعة وسلمنا أنفسنا لذمتكم وشرفكم » • ويوجه نداء أخيرا قائلا : فيا حضرات المحامين عن ذوى الشرف ••• ويا حضرت نصراء الانسانية والمحامين عن الحق بأنفسهم وبأموالهم من غير أن تأخذه فيه لومة لائم ••• المحافظين على شرف الانسانية بانجلترا هذه هي الحوادث على قصد من الحق والانصاف بدون شك فيها ولا ريب ، وليس بعد الحق الا الضلال المبين •

وقد كانت الثورة العراقية تدرك أن مصر قلب المشرق وأن تحرر مصر هو تحرر للمشرق •

وقد كان الشرقيون مرادفين للمصريين أو المسلمين كما كانت الجامعة الإسلامية والجامعة الشرقية عند الأفغانى مترادفين • المشرق في مواجهة الغرب نظرا للصورة المزرية التي كانت للمشرق في ذهن الاوربيين مما يدل على عنصريتهم وعنجهيتهم وأنانيتهم واستعمارهم • فقد اتهم الانجليز شعوب المشرق باقسي التهم • كان الاوربيون جميعا ناقمين على المشرق ، مصر الحضارات ، وكان قاداتهم مثل جلادستون يزعمون أنهم يريدون الاخذ بيد الشرقيين لينهضوا من سباتهم وتعليمهم مبادئ الحرية والشورى والحياة النيابية ! لان الشرقيين لا يصلحون أنفسهم بأنفسهم • وكان اللورد سالز بسفوردي يقول « عجباً لعرايى ! لا ينهض مصلح من المشرق الا نادرا ! » • وقد كتب أحد معاونى مالث تيريرا يقول فيه : « أن الحاكم المشرقي اذا حرم كبراجه وحظر عليه أن يسجن من يشاء عجز عن سياسة قوم اعتادوا منذ القدم أن يخضعوا لحكومة فردية قوية » • والحقيقة أن هذا الهدف التمدنى كان مجرد دعاية للمغرب يخفى وراءه النية الحقيقية وهى الاستعمار والسيطرة على مقدرات الشعوب غير الاوربية ومواردها وثرواتها • اذ يستمر هذا التقرير قائلا أن الطريق الذى سارت فيه الحركة ( الوطنية ) منذ عام جعل الفلاح يعتقد أنه يستطيع الوصول طفرة الى ما يسمونه له حرية فى حين أن ما اكتسبته هذه الحركة من قوة جديدة باسلام أزمه الأمور الى طائفة من الخياليين النظريين جعل أثرها فى السلطة على وجه العموم أثر الماء نصبه على قطعة من السكر » • وكان جيمنا شديد العداء لمصر بل ومن أشد أعداء الاسلام قاطبة • وكان هذا اليهودى على

صلة برجال المال من الدائنين • وكان يحيط به في باريس ، بقرز  
ولسون ونوبار يوحيان اليه بما يريان • وكان بطبعه يميل الى القوة  
في كل مايتعلق بالشرق والشرقيين • وكانت سياسته قد صبغت بالصبغة  
الدينية وكرهية للمسلمين أن ينهضوا وتقوى بينهم أواصر الاخاء  
فيكونون بذلك حائلا بين فرنسا وأطماعها في الشرق • وقد استغل  
الاوربيون في ذلك دينهم واستشراتهم وقساوستهم كوسائل لتحقيق  
أغراضهم • وكان الادميرال سيمور قائد الحملة قد أبرق الى حكومته  
بأن عرابى يجمع السلاح ويعلن أن النبو يوحى اليه كل ليلة وأنه سوف  
يضع الاسطولين في فخ وذلك بسد البوغار بالاحجار •

وفي الحملة الحبشية والكارثة التى وقع فيها جيش مصر ، اتهم  
لورنج القائد الامريكى بالخيانة اذ كان يتصل عن طريق أحد القساوسة  
بالاحباش ليطلعهم على كل شىء • كما استدعت الادميرالية البريطانية  
أدوارد بالمر أستاذ اللغات الشرقية بجامعة كامبردج لاداء عمل الخيانة  
والاتصال بالاعراب لمعرفة اللغة العربية وبالمطقة • فقد كان من قبل  
عضوا في جمعية اكتشاف فلسطين • وكانت مهمته ضمان البدو شرقى  
المنارة الى جانب الجيش البريطانى والاستفادة من تبايلتهم للرشوة •  
وقد أتى الى الاسكندرية وتشاور مع سيمور فذهب الى يافا متنكرا في  
زى عربى ثم الى غزة • واتصل بقبيلتى الطياحة والطرابين • ثم ذهب  
الى يافا في زورق بريطانى عليه علم بريطانى ثم أتى الى السويس  
متنكرا في زى عربى وتظاهر أنه أحد تجار الابل واشترك مع الجنود  
البريطانيين في السويس • ثم ذهب الى الصحراء ليقطع اسلاك التلغراف  
وأحراق الاعمدة لقطع وسائل الاتصال بين عرابى وتركيا • ثم التقى  
بالكابتن جل الذى اعطاه ٢٠٠٠٠ جنيه لتوزيعها على البدو • وكان قد

اتصل في شرق القناة بأكبر مشايخ البدو سعود الطحاوي ومحمد البقنى  
وقد أخذ الاسمين من الخديوى • ثم لقى حتفه بعد أن استولى العربان  
على أموالهم وتتلوه هو وزميليه بالرصاص •

لذلك كان عبد الله النديم في جريدة « الطائف » يهاجم البهرج  
الزائف الذى أخذ يلمع في مصر والذى سماه الاوربيون مدنية يكونون  
منه سلاحا للدس والقضاء على استقلال البلاد • الوطنية اذن هو  
الاساس الذى يرتكز عليه الدين • وقد أورد عرابى في مذكراته أن هذه  
الحركة سوف يقيض لها الله من يفهمها حق من الجيل التادم • وقد  
ضمنها ذكر جميع من فتحوا مصر وتغلّبوا عليها منذ الفراعنة حتى  
الاحتلال البريطانى وكيف تخلّصت منهم مصر جميعا • « فعلى الناشئة  
المصرية أن تجد وتجتهد وتعمل ليلا ونهارا على استرداد مجدها  
واستقلالها وحرّيتها المسلوبة منها ، ومطالبة الانجليز  
بالجلاء حتى ينكشف عنها هذا البلاء • ثم اذا دعوا الامة المصرية  
الى التباعد من التمدن الغربى المزيف فلا نفعل المنكرات التى نهى الله  
عنها ، ونأمر بالمعروف الذى أمر الله به • وأن نترك  
الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وأن نقيم شعائر الدين الحنيف  
ونحى مناسكه • فلا عز ولا سؤدد بغير الدين • وهو وحده يكفل لمن  
اتبعه باخلاص هناء الدنيا وثواب الآخرة • ثم أناشدهم أن يشدوا  
أواصر الاخاء بين أبناء وطنهم ويخرجوا ما فى قلوبهم من غل وضغينة ،  
ويعملوا يدا واحدة ورجلا واحدا لرفع شأن بلادهم واعزاز كلمة  
دينهم • فاذا فعلتم كل ما ذكرت وأرهنتم أذانكم للمسمع  
واصختم الى نصائح من حنكته التجارب فعرف من تقلب  
الحدثان الطريقة المثلى والدواء الناجح واستفاد من تضارب

الاحوال أية عـدة يجب أن يتذرع بها ويتخذها مـخـبأ يقيه هـو ادى الزمان • هنالك يـخرج الله اعداكم ، ويولى عليكم خياركم والله على كل شى قدير » • وأوصى عرابى بنشر مذكراته حتى يعلم الناس حقيقة أعماله وآرائه من خير لمصر وأن يطالبوا بحقوقهم حتى يمن الله عليهم (١٥) •

## ٢ — الحرية والدستور والمجلس النيابى :

كان اخنيار عرابى ومطالبته بالدستور وبالمجالس النيابية دعامة ثانية مع الوطنية تعبر عن واقع الامة المصرية وتحميها من تأويل الدين لصالح الاستعباد والاستبداد الداخلى أو الخارجى • وقد كان الدفاع عن حرية المواطن واستقلال البلاد مبدأ دائما فى حياة عرابى قبل الثورة وأثناء الثورة وبعد الثورة • لما طالع الكتاب الذى أهده اليه سعيد عن تاريخ نابليون مترجما الى العربية لم يكن ما يهمه هو الجيش المدرب الذى فتح به نابليون مصر فى ثلاثين ألفا كما استنتج سعيد بل « حاجة البلاد الى حكومة شورية دستورية » أى الاساس الحضارى الذى يقوم عليه التقدم المادى • وكان معجبا ببيرون نصير الحرية بالرغم من أنه كان يدافع عن حرية اليونانيين لا عن حرية المصريين ، فالحرية مبدأ واحد وشامل لا يعرف التجزئة • ومن هنا أتت كراهيته لاستبداد الشراكية والمصريين على السواء • وكان عرابى يتعجب من كثرة العجائب فى الحكومات المستبدة المظالمة ومنها عدم مساواة المواطنين الذين يؤدون نفس العمل ولا يأخذون نفس الاجر ،

---

(١٥) لم ينس عرابى مصر وهو فى منفاه فى سرنديب فقد أرسل اليها أنواعا من البن اليمنى لزراعتها وكذلك أحسن أنواع المانجو والموز الاحمر والاصفر الماضع وأنواع الحبهان والقرنفل والمغلا الطيبة الرائحة •



وهو ما يفسر ارتفاع مرتبات الجراكسة في الجيش وانخفاض مرتبات الوطنيين • كانت الحرية مقرونة بالعدل فيقول عرابي ردا على خسرو الشركسي « وما بي والله من شراسة ولكني جبلت على حب العدل والانصاف وبغض الظلم والاجحاف » • وقد بلغت ذروة دفاع عرابي عن الحرية في مظاهرة عابدين العسكرية ومطالبها بحقوق الامة : اسقاط الوزارة المستبدة ، وتشكيل مجلس نواب • فلما قال الخديوي « كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها وأنا ورثت ملك هذه البلاد عن آتائي وأجدادي وما أنتم الا عبيد اجساناتنا » قال عرابي : « لقد خلقنا الله احرارا ، ولم يخلقنا تراثا وعقارا • فوالله الذي لا اله الا هو أننا سوف لا نورث ولا نستعبد بعد اليوم » • لم يكن عرابي من أنصار الملكية أو الخديوية بل من دعاة الشورى وحرية الرأي وحق الامة في إقامة دستور ومجلس نيابي كامل السلطات • وقد كان ذلك معروفا عن عرابي في أواخر عصر اسماعيل • فبعد مظاهرة الضباط في فبراير ١٨٧٨ بزعامة البكباشي لطيف سليم عندما توجه هو ورفاقه الى وزارة المالية للمطالبة برواتبهم المتأخرة واعتدائهم على نوبار وحضور الخديوي لتفريق المتظاهرين ثم اتهام عرابي بتدبير ذلك قرر عرابي ورفاقته الاتحاد وخلع اسماعيل فتلك أفضل وسيلة لحل القضية ويوفر على البلاد ويلات أقلها حمل اسماعيل خمسة عشر مليوناً من الجنيهات معه في منفاه بعد خلعه • لم يكن هناك وقتئذ من يقود هذه الحركة أو ينفذها • ولقد عم الفرخ بعد خلع اسماعيل ، ولو أمكن تنفيذ تلك الحركة بالفعل لامكن التخلص من أسرة محمد على كلها ، فلم يكن فيها حاكم صالح الا سعيد • « وكنا نستطيع أن نعلن قيام جمهورية • وقد اقترح الشيخ جمال الدين على الشيخ محمد عبده أن يقتل اسماعيل

عند جسر قصر النيل ووافق محمد عبده على ذلك » • وقد تضمن برنامج الحزب الوطنى ذلك نصا يقول « والمصريون يعلمون أن الصمت على حقوقهم لا يخولهم الحرية فى بلاد ألف حكامها الاستبداد وكرهوا الحرية • فأن اسماعيل باشا لم يمكنه من الظلم الا سكوت المصريين • وقد عرفوا الآن معنى الحرية الحقيقية فى هذه السنين الاخيرة فعقدوا خناصرهم على توسيع نطاق التهذيب • وهم يرجون أن يكون بواسطة مجلس شورى النواب — الذى انعقد الآن — وبواسطة حرية المطبوعات بطريقة ملائمة ، وبتعميم التعليم ونمو المعارف بين أفراد الامة (١٦) » •

### ٣ — الفلاحون هم شعب مصر :

عرابى فلاح قنا الحركة القومية ، وكان على معصمه وشسم أزرق على عادة الفلاحين • وفى تلك الوقت كان لفظ فلاح قبل عرابى يعنى الجاهل الغبى الفقير القذر ، وكانت تهمة الضباط الشراكسة لجنود مصر ، وكانوا يسمونهم « فلاحين شغالة بالمتاطف » ! وكان الخديوى يسميهم « أولاد الكلب » الذى سيقع على رؤوسهم بتيادة عرابى خراب البلاد أى اهتزاز عرشه • يقول عرابى « وكانوا يطلقون علينا لفظ فلاحين اذلالا وتحقيرا وهم أهل البلاد ، هم الحزب الوطنى حقيقته » • ولكن فى الثورة العرابية ظهر الفلاحون على أنهم أصحاب البلاد والحزب الوطنى ، فاذا كان جمال الدين الافغانى قد أيقظ الخافلين فى المدن فان عرابى قد أيقظ أهل القرى • ولن نتحرك مصر الا إذا تحرك أهل القرى ، اتصل عرابى بعدد كبير من مشايخ القرى وأعيانها ، وكانوا يدعون الى

تحرير الفلاح ، وأخذ الناس يذكرونه بقولهم « الوحيد » • وقد بدأت آراء عرابى عن نهضة مصر من خلال فلاحيتها أيضا أثناء صلته بسعيد وعلى رأسها المساواة بين طبقات الامة وما يجب للفلاح من احترام باعتباره العنصر الغالب فى القومية المصرية • هذا الدفاع عن حقوق الفلاح هو الذى جعل لعرابى ميزة على مصلحى العصر • فقد كانت حركة الازهر ترمى الى اصلاح حال المسلمين عامة بغير تمييز بينما كانت حركة عرابى فى جوهرها قيامها على القومية والعنصر الوطنى الغالب فيها وهم الفلاحون • لتد عارض عرابى أن يحفر الجنود الرياح التوفيقى سخرة ، وكان الغاء السخرة الذى أدعاه كرومر لنفسه من المطالب الاساسية لدى عرابى ضمن مطالبه لاصلاح احوال الفلاحين مثل :

١ — ابطال السخرة التى أنزلها الاغنياء من الباشوات التبرك بالفلاحين •

٢ — ابطال احتكار هؤلاء الاغنياء مياه الري عند زيادة النيل •

٣ — حماية الفلاحين من زبانية الربا من اليونانيين معتمدين على عيوب المحاكم المختلطة •

٤ — انشاء مصرف زراعى تحت اشراف الحكومة •

من حق مصر اذن تكوين حركة قومية مصرية من أبناء الفلاحين فهم مصدر كل سلطة لانهم عماد الثروة ودافعوا الضرائب وهم أهل البلاد الحقيقيون •

#### ٤ — الجيش الوطنى :

اذا كان الفلاحون هم شعب مصر فان الجيش هم أبناء الفلاحين المدافعون عن حق مصر ، ومن ثم كان الجيش الوطنى هو ممثل الامة والمدافع عن حقوق الشعب . وقد ظهر ذلك بوضوح فى الثورة العرابية ثم فى الثورة المصرية الاخيرة فى ١٩٥٢ . كان الوطنيون بزعامة شريف أولا ، وكان العسكريون بزعامة عرابى . ولكن بعد مظاهرة عابدين العسكرية توحدت الامة شعبا وجيشا عندما ذهب عرابى الى الخديوى على رأس الجند يحمل اليه مطالب الامة والجيش معا وبالتالي أصبحت الثورة تجمع بين السيف والقلم ، والتقى الوطنيون بالعسكريين كأبناء أمة واحدة ، واتفقوا على المطالبة بالدستور كحركة قومية واحدة بلغت ذروتها فى يوم عابدين ، يتولى عرابى واثر « مخاوفنا على البلاد توجهنا الى الخديوى ، وذلينا العريضة بامضائى وامضاء اخوانى على فهضى وعبد العال حلمى وأحمد عبد الغفار نيابة عن الجيش ، وأحمد أبو مصطفى وأحمد الصباحى وعثمان فوزى وغيرهم من وجوه الامة بالنيابة عن جميع المصريين » . لقد عرض عرابى باسم الجيش والامة يوم عابدين طلبات عادلة تتعلق باصلاح البلاد وضمان مستقبلها فى مظاهرة عادلة لا يبد منها لضمنا حرية الامة وسعادتها . وقال عرابى يؤمئذ : « جئتك يا مولاي لنعرض عليك طلبات الجيش والامة وكلها طلبات عادلة ... اسقاط الوزارة المستبدة ، وتشكيل مجلس نواب ، وابلاغ الجيش الى العدد المعين فى الفرمانات السلطانية ، والتصديق على القوانين العسكرية التى أمرتم بوضعها » . كما قال فى مواجهة القناصل « أن الامة قد أنابت الجيش عنها ... هذه هي الامة وما الجيش الا جزء منها » . وقال مخاطبا قنصل انجلترا « أعلم يا حضرة القنصل

أن طلباتى المتعلقة بالاهالى لم أعمد اليها الا لانهم أقامونى نائبا عنهم فى تنفيذها بواسطة هؤلاء العساكر الذين هم عبارة عن اخوانهم وأولادهم • فهو القوة التى ننفذ بها كل ما يعود على الوطن بالخير والمنفعة • وانظر الى هؤلاء المحتشدين خلف العساكر • انهم الاهالى الذين أنابونا عنهم فى طلب حقوقهم • وأعلم علم اليقين أننا لا نتنازل عن طلباتنا ولا نبرح هذا المكان ما لم نتفد • وعندما استفسر القنصل عن استعمال القوة أجاب عرابى : « ومن ذا الذى يعارضنا فى أحوال داخليتنا ؟ فاعلم أننا سنقاوم من يتصدى لمعارضتنا أشد المقاومة الى أن نفنى عن آخرنا » • وعندما تساءل القنصل عن هذه القوة أجاب عرابى عما هو فاعل اذا لم تجب طلباته قال عرابى : « عند الاقتضاء يمكن أن نحشد مليوناً من العساكر يدافعون عن بلادهم ويسمعون قولى ويلبون اشرارتي » • ولما طلب القنصل من عرابى عما هو فاعل اذا لم تجب طلباته قال عرابى : « أقبول كلمة أخرى • لا أقولها الا عند اليأس والقنوط » • وقف عرابى اذن بجيش مصر دفاعاً عن حق شعب مصر ولم يتوان عن استعمال القوة اذا اقتضى الامر بل أنه كان صمم على قتل الخديوى اذا ما حاول الخديوى قتله • وقد عاب الاستعمار وأعوانه على عرابى تدخله فى شئون السياسة • وكان قد وعد شريف الا يفعل • ولكن الاستعمار أكل مصر كلها سواء تدخل عرابى فى السياسة أم لم يتدخل • وقد كان قلق الاستعمار المستمر من تدخل الجيش فى المسائل الوطنية ، وكان هم جلاستون هو ما يترتب على ذلك من نتائج : وحدة الامة جيشاً وشعباً فى مواجهة الاستعمار •

#### • — الوحدة الوطنية :

فى اللحظات الحاسمة من تاريخ البلاد عندما يهددها الخطر

الخارجي خاصة تظهر الوحدة الوطنية في شعب مصر ممثلة في وجهاء الامة والتجار والاعيان والنواب والمديرين والمشايخ ، وممثلة في وحدة شعب مصر بصرف النظر عن الدين والعقيدة وتصبح الامة ويصبح الوطن محور التقاف الجميع ، ينتسبون اليه ويتحددون به ولاء وانتماء وهوية .

ولقد ذهبت الامة كلها وعلى رأسها عمر مكرم والشيخ عبد الله الشرقاوى على رأس جمهور المصريين لالباس محمد على شارة الحكم ، الكرك والقفطان ، دون أن يرجعوا في ذلك الى السلطان باعتبارهم ممثلين عن الامة . وقد تكرر نفس الشيء في الثورة العرابية . فقد كان عرابى حامى حمى الامة من المظالم مؤيدا من العلماء وممثلى الامة . وقد ذهب عرابى الى شريف ليعرض عليه تأليف الوزارة ، وهدده بأنه سبظب غيره قائلاً : « ولا تظن أن ليس بالبلاد سواك . ففيها بعون الله العلماء والحكماء » . وكان للحركة الوطنية في ذلك الوقت مركزان : مجلس شورى النواب بزعامة سلطان باشا ومركز أهلى هو بيت السيد البكرى نقيب الاشراف حيث كان يلتقى الاحرار من العلماء والنواب والاعيان وضباط الجيش الناقمين على الخديوى والساخطين على الدخلاء . فلقد اجتمع احرار النواب والعلماء والاعيان والتجار في بيت السيد البكرى وعزموا على التوجه للخديوى بما يسمى باللائحة الوطنية معترضين على مقترحات ريفرز ولسن بشأن اعلان افلاس مصر مقررين بأن ايراد مصر كفيل بسداد ديونها ، ويطالبون الخديوى بتقرير مبدأ مسؤولية الوزارة أمام المجلس وتأليف وزارة وطنية تقوم مقام الوزارة الاوربية . وقد وقع عليها ستون من أعضاء المجلس ومثلهم من العلماء . كما اجتمع سلطان باشا الذى كان يمثل الاعيان مع شريف والوطنيين وعرابى وعلماء الازهر وزعماء حركة الاصلاح وزعماء النواب على ضرورة اسقاط وزارة







# الدين والثورة

فني مصر  
١٩٥٢ - ١٩٨١

- ١- الدين والثقافة الوطنية
- ٢- الدين والتحرر الثماني
- ٣- الدين والنضال الوطني
- ٤- الدين والتنمية القومية
- ٥- الحركات الدينية المعاصرة
- ٦- الأصولية الإسلامية
- ٧- اليمين واليسار في الفكر الديني
- ٨- اليسار الإسلامي والوحدة الوطنية

To: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)